الجامعة الأردنية
كلية الآداب / قسم اللغة العربية وآدابها

الحياة الأدبية والثقافية في نابلس وما حولها في العصر العباسي

دراسة قام بها

"نزار وصفي اللبدي"

إشراف

الأستاذ الدكتور / محمود ابراهيم

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في
اللغة العربية وآدابها
لكلية الآداب في الجامعة الأردنية

٢٠ تموز ١٩٨٧م

الاهداء

إلى والديّ، اللذين علّماني أنّ حُبَّ الوطن من الإيمان ونَقَشا في ذاكرتي أنّ الوطن أرض قبلَ كُلّ شيء؛ وإلى تلك السواعد الّتي امتدّت وتمتدّ كُلّ حين انطلاقاً من هذا المفهوم، من أجل تحرير الأرض واعادة كرامة الأمّة .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

مُقـــدّمـة

نابُلس مدينةٌ قديمةٌ لا يُعرفُ تاريخٌ دقيقٌ لبنائها ، تعاقبتْ عليها أُمَـــمٌ وحضاراتٌ تركتْ فيها آثاراً واضحةً ، وقد انضوتْ تحتَ لواءِ الأسلام في بداياتِ سِنِيِّ الفَتْحِ فشهِـدتْ مواكِبَ الصّحابةِ ، وغدتْ كُورةً مِن كُوَرِ جُندِ فِلسطين ، وهو من أجنادِ ولايةِ الشّـامِ ، وتأثّرت بكُلِّ التّطوّراتِ السّياسيةِ والتغييراتِ الاجتماعيةِ والاقتصاديـةِ والعسكريةِ الّتي كانت تَطرأُ على الدولةِ الأسلامية ، وأثّرتْ هيَ بدورها بما أوتيتْ من طاقـاتٍ في مسيرةِ تلكَ الدّولـةِ .

والجانبُ الّذي قامتْ عليه هـذه الدّراسةُ ، هو الحياةُ الأدبيةُ والثّقافيـةُ في هـذه المدينةِ وما حولها في العصر العبّاسي ، مُنذ قيامِ الدّولةِ العبّاسيةِ سنةَ مائةٍ واثنتين وثلاثـين ، إلى سُقوطِ بغـدادَ بيـدِ التّتار ، وانتهـاءِ الخلافةِ سنـةَ ستّمائةٍ وسِـتٍ وخمسـين للهجـرة .

ولهـذه الدراسةِ مُبرّراتٌ ، يُمكـنُ ايجازُهـا في النّقاط التّاليـة :

★ إنّ من المُفيد والواجبِ أن يتعرّفَ المرءُ الذي ينتمي إلى بُقعةٍ جُغرافيّةٍ مُعيّنـة في الوطنِ العربيّ الكبير ، على الدّورِ الذي اضطلعتْ به تلكَ المنطقةُ في المسيرةِ الثّقافيةِ والفكريّةِ للأُمّـةِ العربيّةِ الأسـلاميّـة .

★ لم تَظهـرْ في حدودِ ما أعلمُ ، دراسةٌ مُستقلّةٌ مُتخصّصةٌ عن الحيـاةِ الأدبيـةِ والثقافيّةِ في المنطقة ، والمعلوماتُ الدالّةُ على هذه الحياةِ ، إنّما جاءتْ في صـورةِ مادّةٍ مُبعثـرةٍ في كُتُـبِ التّراثِ العـربيّ .

★ إنّ فـي عَرْضِ النّتاجِ الثّقافيّ والأدبيّ لهذه المنطقة ، في ظِلّ الحُكـمِ العبّـاسي ما يُثبتُ عَراقةَ انتمائها إلى الأمةِ العربيّةِ الأسلاميّةِ لُغةً وفكراً ، ويَدْحَضُ أيما ادعاءاتٍ مُغايرةٍ لهذه الحقيقة ، بغضِّ النّظرِ عن مصادرِ هذه الادّعاءات ، ولا سيّمـا أن منها ما يتصيّـدُ الأدلّةَ المواتيةَ ، ويَعتمِدُ على التّعميمـاتِ الّتي تجعـلُ مِن الجُـزءِ الصّغـيرِ مِنْ حقبِ التّاريخِ ووقائعِـهِ كُلّاً كبـيراً .

أمّـا أهمّ القضايا التي عالجَتْها هذه الدّراسةُ فهـي :

- رَصدُ الحركةِ الأدبيّةِ والثّقافيّةِ في المنطقةِ في العصر المذكـور .
- الكشفُ عن مدى تأثّرِ الحركةِ الأدبيّةِ والثقافيةِ في المنطقة بالتّطوراتِ السّياسيةِ والاجتماعيّةِ والاقتصاديّةِ خلالَ فترةِ الحُكم العبّـاسيّ .

• التعريفُ بأعلامِ الأدب والثقافة في المنطقة ، وبيانُ اسهاماتهم في المجالات المختلفةِ ثم تتبُّعُ آثارِهم : المطبوعةِ منها والمخطوطةِ .

ولقد وجدْتُ صعوبةً في لملمة مادّة هذه الدراسة ، معتمداً في ذلك على مصادر التراث التي حوت نُتَفاً متناثرةً من انتاج المنطقة الأدبيّ والثقافي ، فكان لا بدّ من جُهد دؤوب من أجل الوصول إلى المعلومات التي تتطلّبها هذه الدراسة ، ولا سيّما أنني لم أعثر على دراسة مستقلةٍ واحدةٍ عنيت بأدب المنطقة وثقافتها، إذ إنّ جُلّ ما تقدّمَ من دراسات قد تناول فيها أصحابُها الحياةَ الأدبيةَ والثقافيّة في فلسطين عامة ، أو في جزءٍ من أجزائها ، ولكن دون أن تحظى منطقة نابلُس باهتمام خاص ، ومن بين الدراسات الحديثةِ التي عُنيَتْ بالحياة الثقافية في فلسطين تلك الدراسةُ التي أعدّها المرحوم أحمد سامح الخالدي عن المعاهد المصرية في بيت المقدس ، ومنها كذلك كتابه "أهل العلم والحكم في ريف فلسطين"، ومنها دراسة بعنوان " تاريخ التعليم في فلسطين من الفتح العربي إلى آخر عهد الأيوبيين " قام بها سليمان إسحق عطيّة ، ونال عليها درجة الماجستير من جامعة القاهرة سنة ألف وتسعمائة وثلاث وخمسين . ومن الدراسات الحديثة كذلك ، الدراسةُ المعجمية التي قام بها الدكتور هاني العَمَد في كتابه "معجم النابهين في جنوبي بلاد الشام: فلسطين والأردن" وتشتمل هذه الدراسةُ على أسماءِ عَدَد كبير من الأعلام في كل فن ، ابتداءً بالعام الأول الهجري .

أمّا المصادرُ الأولى التي اعتمدتُ عليها في جمع مادّة هذه الدراسةِ فجُلّها من كتب التراجم . ولقد كان كتابُ " الذيلِ على طبقات الحنابلة " للحافظ ابن رجب ، وهو من أبناء القرن الثامن الهجري ، من أكثر هذه المصادر عوناً لي ، إذ إنّني وجدت فيه كثيراً من التراجم لعلماء المنطقة ، وقد أورد مادّته بتفصيل لا يوجد عند غيره ، ممّا جعلني أعتمد عليه اعتماداً كبيراً في التّعرّفِ على سِيَرِ الكثيرين من العلماء النابُلسيين .

ومن هذه المصادرِ ، كذلك كتابُ " مرآة الزّمان " لسبط ابن الجوزي وقد كان هو الآخر ، عوناً كبيراً لي في هذه الدّراسة ، لاشتماله على كثير من تراجم علماء المنطقة ، بل إنّ لهذا الكتاب ميزةً خاصةً به ، لأنّ صاحبَه كان معاصراً لكثير من أولئك العلماء النابُلسيين الذين ترجم لهم ، فقد عاش عُمُرَه في القرن السادس وأدرك جانباً من القرن السابع غير أن ما يؤخذ على هذا الكتاب ، أنّ صاحبَه قد جمع فيه كثيراً من الأخبار التي يصعُب تقبّلُها ، إذ نَسَبَ إلى الكثيرين ممّن ترجَم لهم مالا يتقبّلُه العقلُ من أخبار .

ومن المصادر الهامّة التي أفادتني في هذه الدّراسة ، كتابُ " الذّيل على الروضتين " لأبي شامةَ المقدسي ، وهو كتاب في التراجم ، ترجم فيه صاحبُه لكثير من معاصريه ممّن عاشوا في ظِلّ الدولتين النّوريةِ والصّلاحيّةِ ، ومنهم علماءُ من منطقة

نابلس ، مما جعل لهذا المصنف ميزة المعاصرة ، علاوةً على ما عُرف عن أبي شامة من تَحَرٍّ وضَبْط. والجدير بالذكر أن ابن رجب اعتمد في كتابه " الذيل على طبقات الحنابلة " على هذين المصدرين السابقين اعتماداً كبيراً في روايته لكثير من الأخبار ذات الصلة بالأشخاص الذين ترجم لهم ، وإنما قدمت الحديث عن كتاب ابن رجب لأنني أخذت عنه أكثر مما أخذت من المصدرين الآخرين ، لأن الفترة الزمنية فيه أكثر مقداراً منها في هذين المصدرين. ومن المصادر التي أخذت منها، كتاب " القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية " لأحمد بن طولون ، من علماء القرن التاسع ، وهو وإن يكن متأخراً ، إلا أنه يمتاز عن المصادر السالفة بأن صاحبه قد قصره على بقعة جغرافية معينة، مستعرضاً طبيعتها وتاريخها والحركة الثقافية والعلمية فيها ، مترجماً لعدد كبير من علمائها . ولعل في إسم الكتاب ما يوحي بأهميته بالنسبة إلى هذه الدراسة ، إذ إن الصالحية التي أضيف إليها عنوان الكتاب تمثل المأوى الأول الذي أوى إليه عدد كبير من العلماء النابلسيين الذين فروا من وجه الصليبيين ، ولأنها استمدت اسمها من صلاحهم ، فسميت بالصالحية ، وهم الذين عمروها ، وجعلوا منها مركزاً من مراكز الاشعاع الثقافي في ذلك العهد . وقد تحدث المصنف في كتابه عن كل ذلك حديثاً مفصلاً ، محللاً أسباب الهجرة ومحدداً وقتها ، ذاكراً أسماء الذين هاجروا اليها من العلماء النابلسيين . وقد تحدث بإسهاب عن دور كل من هؤلاء العلماء في الحياة الثقافية في بلاد الشام في القرنين السادس والسابع الهجريين وما يليهما . وقد اعتمد ابن طولون في كتابه هذا على أخبار المتقدمين، فنقل كثيراً من مادة كتابه عن سبط ابن الجوزي ، والحافظ ابن رجب ، وأبي شامة المقدسي، ولا سيما ما يتعلق من هذه المادة بالتراجم .

ومن المصادر التي استعنت بها في هذه الدراسة ، كتاب " تذكرة الحفاظ " للإمام الذهبي (٧٤٣ هـ) ، وهو كتاب في التراجم كذلك ، وقد اشتمل على ترجمات كثيرة لعلماء نابلسيين ، وجدوا في العصر العباسي . ويمتاز هذا الكتاب بأن صاحبه لم يكن يذكر فيه إلا ما ثبت لديه من الأخبار ، اضافةً الى أنه قريب عهد من الفترة المعنية بالدراسة . وقد نقل كثيراً من الأخبار عن سبط ابن الجوزي وأبي شامة المقدسي واليونيني .

أما كتاب " شذرات الذهب " لابن العماد الحنبلي ، فهو غنيٌّ عن البيان، إذ يمكن القول بأنه من أوسع كتب التراجم ، وقد استفدت منه فائدةً كبيرة ، إذ لم تكد تفلت منه ترجمة لعالم من علماء المنطقة ، وقد تراوحت هذه التراجم لديه بين الأيجاز والاتساع، ونظراً لكونه متأخراً زمنياً ، فإننا نجده يعتمد على سابقيه اعتماداً كبيراً وبخاصة على سبط ابن الجوزي ، فهو ينقل عنه أحياناً نقلاً حرفياً. وقيمة هذا المصدر بالنسبة إلى هذه الدراسة ، تكمن في اشتماله على سني العصر العباسي جميعها .

ومن مصادري التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة ، كتاب " فوات الوفيات "

للصّفدي وهو أيضا" ، كتابٌ في التّراجم ، وقد كان مُعينا" لي في التعرّف على عدد من الشعراء النابُلسيين إذ وَجدتُ فيه أخبارا" وأشعارا" ، وتراجم لشعراء لم يتسنَّ لي العُثور عليها في غيره من المصادر .

ومن المصادر المتأخرة التي استعنتُ بها في جانب مهم من هذه الدراسة ، كتاب "كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون" لحاجي خليفة ، فقد أفدتُ منه كثيرا" في التعرّف على الكثير من مؤلفات العلماء النابلسيين ، مع تعريف أحيانا" بهذه المؤلفات من حيث مضمونُها ونُسَخُها ، والشروحُ المختلفةُ التي وُضِعَت عليها إن وُجِدَت ، إلى غير ذلك من الأمور التي هي مفيدة للباحث .

أمّا فيما يتعلق بأقسام هذه الدراسة ، فقد أقمْتُها على مَدْخل وثلاثة فُصول ، وقد عَرَضتُ في المدخل مادةً مُجْملةً عن تاريخ المنطقة قبل الاسلام وبعده ، وذكرت أهم الأحداث التي مرّت بها المنطقةُ ، وبيّنتُ مكانتَها الدينيةَ باعتبارها جزءا" من أرض الاسراء ، وألممْتُ كذلك بايجاز بالوضع الاقتصادي والاجتماعي لأهل المنطقة في ظل الحكم العبّاسي ، وتحدثت عن أهم ما كان يميز الحياة الثقافية في المنطقة في ذلك العهد .

وفي الفصل الأول تحدّثت عن الحياة الثقافية في المنطقة وقسمت الفصلَ إلى قسمين ، تحدثت في الأول منهما عن علوم الحديث والزهد ، مبرزا" الدور الهامّ الذي كان لعلماء المنطقة في هذا المجال ، وتحدثت في الثاني عن علوم الفقه والقضاء في المنطقة ، وترجمتُ لأشهر الفقهاء النابلسيين .
وتناولتُ في الفصل الثاني ، الحياةَ الأدبيةَ في نابلس وما حولها ، فتحدثت عن دور علماء المنطقة في علوم اللغة ، ثم استعرضْتُ مسيرةَ الشّعر ، وترجمتُ لعدد من الشُّعَراء النابلسيين .
وفي الفصل الثالث ، والأخير ، قُمتُ بدراسة تَقويميّة للنّتاجَيْن الثقافي والأدبي في المنطقة في العصر العبّاسي ، عَرَضْتُ من خلالها لأهمّ ما كان يميز هذين النّتاجَين ، وفي اطار هذه الدراسة التقويمية ، سَلّطْتُ الأضواءَ على كتابين أحدهُما مَطبوعٌ وهو كتاب "المُغني" لابن قدامة" ، والآخرُ مخطوطٌ ، بعنوان "من أحاديث الشعر" لعبد الغني بن عبد الواحد . وأوردت في هذا الفصل كذلك مجموعة من الشواهد لشعراء نابُلسيين ، عاشوا في الفترة الّتي تُعنى بها هذه الدّراسةُ .
وأنهيتُ الدراسةَ بخاتمة موجزَة لَخّصْتُ فيها النتائجَ التي توصّلتُ إليها ثَمَرةَ جهْدي في هذه الدراسة .
وألحقت الدراسة بعد هذا كله بفهارسَ تفصيليةٍ للآيات والأحاديث ، والشعر والقبائلِ والأماكن والأعلام ، وأتبعْتُها بثَبَتٍ للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها

وبعد ،

فإنني وإن أكن قد صرفت إلى هذا البحث جهدي ، وحشدت إليه كل طاقتي ، لا أدعي أنني بلغت به كل ماينبغي له ، فما أنا إلا متعلم ، والمتعلم يخطئ ويصيب ، وما أتمناه ، أن يظهر من بين الدارسين من يكمل نقص هذه الدراسة لتحقيق الغاية المرجوة منها .

ولأستاذي الدكتور محمود ابراهيم الفضل في إخراج هذه الدراسة إلى النور ، فلقد كان لحدبه علي وسهره على تنقيح هذه الدراسة ، خير معين لي طوال مدة البحث ، فإليه أزجي شكري وأقدم احترامي سائلا المولى عز وجل أن يديم عليه ثوب الصحة والعافية وأن يمده بمزيد من العون ليبقى كما هو نعم المرشد والموجه لمن ينعمون باشرافه على دراساتهم .

وبالله التوفيق ،

مـــدخـــل

نابُلُس مدينة قديمة (١)، تعرّضت لما تعرّضت له أرض فلسطين من إغارات وهَجَمات عبر التاريخ، فتعاقبت عليها أمم شتّى وحضارات مختلفة، وذلك لما كانت تتمتّع به من القدسيّة، ولما تمتاز به من أهميّة في الموقع وخصوبة في الأرض ووفرة في انتاج المواد الغذائية .

فقد ذكر ابن العبري في حديثه عن اليونان القدماء ما نصُّهُ : " وفي هذا الزمان ، أخرب هورقانس مدينة شمرين ، وهي نابُلُس (٢) " . وفي موضع آخر قال : " وفي أيام الدولة السابعة المنتقلة من ملوك اليونانيين الوثنيين إلى ملوك الافرنج ، وفي عهد أغوسطوس قيصر ، جدد هيرود يس مدينة نابلس " (٣) وفي موضع ثالث قال ابن العبري : " وفي أيام الدولة السابعة أيضا " ، وفي أواخر أيام زينون قيصر ، عصى السَّمَرَة بنابُلُس ، ونصّبوا لهم ملكا " قتل جمعا " كبيرا " من النّصارى ، فسيّر عليهم زينون جيشا " وقتل الخارجي السامري " (٤) .

وإذا كانت نابُلُس وغيرها من مدن فلسطين قد تعرضت قديما " لغزوات أمم من خارج المنطقة ، فقد تعاقبت عليها كذلك موجات من الساميين ، اتخذوا فلسطين بسائر مدنها مستقرا " لهم ، فنشأت حضارات عربية زاهرة على أرضها . وقد كان الكنعانيون أقدم من نزل فلسطين من الساميين ، وذلك في حدود القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وهم الذين أطلقوا اسم شكيم على نابلس (٥) .

وفي نطاق حركة الفتوحات الاسلامية الأولى ، وبعد الفراغ من محاربة المرتدين في الجزيرة العربية ، وجّه أبو بكر الصّدّيق ، رضي اللهُ عنه ، عمرو بن العاص إلى فلسطين ، وعلى يديه تمّ فتح عدد من مدنها . وفي هذا يقول البلاذري :

---

(١) انظر في قدم المدينة : محمد بن واضح اليعقوبي ، سنة ٢٨٤ هـ ، البلدان المطبعة الحيدرية ، النجف ، ط٣ ، ١٩٥٧ ، انظر ص ٨٥ .

(٢) ابن العبري ، غريغوريوس بن أهرون ، تاريخ مختصر الدّول ، دار الرائد اللبناني ١٩٨٣ انظر : ص١٠٣ .

(٣) المصدر السابق : ص١٠٩ .

(٤) المصدر نفسه : ص١٤٦ .

(٥) مصطفى مراد الدّباغ ، بلادنا فلسطين ، الديار النابلسية ، دار الطليعة بيروت ، ط ١٩٧٠ ، انظر المقدمة .

" حدّثني أبو حفص الدّمشقي ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن أشياخه ، وعن بقيّة بن الوليد عن مشايخ من أهل العلم ، قالوا : كانت أوّل وقعة واقعها المسلمون الروم في خلافة أبي بكر الصدّيق ، رضي الله عنه ، أرض فلسطين ، وعلى الناس عمرو بن العاص ، ثم إن عمرو بن العاص فتح غزّة في خلافة أبي بكر ، ثم فتح بعد ذلك سَبَسْطِيَة ونابُلُس ، وعلى أن أعطاهم الأمانَ على أنفسهم وأموالهم ومنازلهم ، وعلى أنّ الجزيةَ على رقابهم والخراجَ على أرضهم ..." (١) . ويورد الواقدي مثلَ هذا ، ويذكر أنّ أبا بكر تُوفّي في العام نفسه ((٢) ، وهذا يعني أنّ الفتح قد تمّ في السنة الثالثة عشرةَ للهجرة ، وهي السّنة التي لحق فيها أبو بكر بربّه .

إلّا أن الطّبري يرى أنّ فتحَ نابُلُسَ قد تمّ في السّنة الخامسة عشرةَ من الهجرة في عهد عمرَ بن الخطّاب ، رضي الله عنه ، وعلى يد عمرو نفسه (٣) . وقد أخذ الكثيرون عن الطّبري وذهبوا إلى ما ذهب إليه . ويَميلُ الدارسُ إلى الأخذ برأي البَلاذري ، الذي كان حريصاً على توثيق روايته ، فضلاً عن أنّه متقدّم هو والواقدي على الطّبري بزمن غير يسير ، وهما بذلك أقربُ إلى تاريخ الفتح منه ، إضافةً لما عُرف عن البلاذري من تَحَرٍّ وضبطٍ وتحقيق .

بقيَتْ نابُلُس تستظِلُّ أفياءَ الحُكم الاسلامي ، تتأثّر بالتقلّبات التي كانت تطرأ على الدولة الاسلاميّة وتؤثّر فيها ، إلى أن اجتاح الصليبيون فلسطين ، فوقعَتْ نابُلُس فيما وقع من المدن في أيديهم ، وكان سقوطُها عامَ خمسمائةٍ وأربعةٍ للهجرة (٤) ، لكنّهم أُجْلوا عنها ، ثم عاودوا الكرّة فاستولوا عليها عامَ خمسمائةٍ وسبعةٍ وستين (٥) . وبقيَت في أيديهم الى أنْ حرّرها السّلطانُ صلاحُ

---

(١) البلاذري ، أبو الحسن أحمد بن يحيى ، فتوح البلدان ، رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٩ . انظر ص١٤٤ .

(٢) الواقدي ، أبو عبد الله بن عمر ، فتوح الشام ، المنسوب إلى الواقدي ، دار الجيل للنشر ، بيروت ، ١٩٥٣ . انظر ص٢٠ .

(٣) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك ، دار الفكر بيروت ، ١٩٧٩ ، انظر : ج ٤ ص٥٧ .

(٤) القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (٨٢١ هـ ، صُبح الأعشى ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر ، انظر ج ٤ ، ص١٧٧ .

(٥) ابن قاضي شُهْبَة ٨٧٤ هـ ، الكواكبُ الدُرّيّة في السيرة النّوريّة ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ط ١ ، ص ٢٠٦ .

الدين الأيوبي عام ثلاثة وثمانين وخمسمائة (١) على يد القائد حسام الدين بن عمر بن لاجين . وفي هذا يقول مجير الدين الحنبلي : " وسار حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين * على سمت نابلس ، ووصل الى سبسطية فتسلمها ووجد مشهد زكريا - عليه السلام - وقد اتخذه القسوس كنيسة ، فأعاده مشهدا " كما كان . ثم قصد نابلس وأعمالها ، وكان معظم أهلها وجميع سكان نواحيها مسلمين وكانوا في شدة عظيمة من الأفرنج" (٢) . وممن ولاهم السلطان صلاح الدين أمر نابلس بعد ابن لاجين ، سيف الدين علي ابن أحمد المشطوب من كبراء أمرائه (٣) . ومن الولاة البارزين الذين تولوا أمر المدينة ، سيف الدين علي بن أبي الفوارس القيمري (٤) .

وهكذا بقيت نابلس تنتقل من والٍ الى آخر في ظل الدولة الأيوبية إلى أن داهمها التتار فيما داهموا من ديار العالم الاسلامي ، وذلك على أثر سقوط الخلافة في بغداد سنة ستمائة وست وخمسين للهجرة . غير أنها ما لبثت أن عادت إليها حريتها بعد أن عاثت فيها عساكر التتار فسادا ، فقد استعيدت عام ستمائة وثمانية وخمسين على يد الأمير مجير الدين بن سيف الدين ابن أبي زكري . وفي هذا يقول أبو شامة المقدسي : " وفي ربيع الآخر ، رجعت عساكر التتار التي كانت قد عبرت على دمشق بعد ما عاثت في بلاد حوران وأرض نابلس وما حولها ... ، وممن قتل في هذه المعركة بنابلس ، الأمير مجير الدين بن سيف الدين بن أبي زكري وكان شجاعا " . بلغني أنه قتل من التتار قبل أن يقتل جماعة بسيفه ، وما زال يضرب به حتى خطف النصل من يده ، فصار يقاتلهم بنفسه ، يضرب بالدبوس ويتقي به الضرب ، ويرفس برجله من يصل إليه من الفرسان حتى قتل سبعة عشر أو تسعة عشر ثم قتل ، رحمه الله ، وكان التتار يتعجبون منه ، وأتوا بنصل سيفه إلى دمشق

---

(١) صبح الأعشى : ج ٤ ، ص ١٧٧ .

(٢) الحنبلي ، مجير الدين ٨١٥ ، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل أعاد نشره مكتبة المحتسب بعمان ١٩٧٨ . (انظر : ص ٣٢٤ ، ج ٢) .

(٣) وانظر النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، ج ٢ ص ١٤٤ .

* محمد بن عمر بن لاجين ، ابن أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي (ست الشام بنت أيوب) (انظر : القلائد الجوهرية ، ج ١ ، ص ٨٧) .

(٣) الحافظ ابن كثير ٧٧٤ هـ ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ط٢ (انظر : ج ١٢ ، ص ٣٥٢) .

(٤) النعيمي ٩٢٧ هـ . الدارس في تاريخ المدارس ، مطبعة الترقي ، دمشق (١٩٥١ ، انظر : ج ١ ، ص ٤٤٥) .

ووقف عليه أسراؤهم (١) .

ولقد كانت نابلس ذات مكانة دينية ، شأنها في ذلك شأن أنحاء فلسطين كلها، إذ من المعروف أن فلسطين قد وصفت في القرآن الكريم بأنها أرض مباركة فهي مهد الرسالات السماوية ، وإليها كان الأسراء ، فقد أسري برسول الأسلام محمد، صلى الله عليه وسلم، من مكة إلى بيت المقدس ، ومنها عرج به إلى السماء . وفي حادثة الأسراء نزل قول الله تعالى : "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ، لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير" (٢) . فأرض نابلس المتصلة بأرض بيت المقدس ، أرض مقدسة ، لأنها حول المسجد الأقصى كما يفهم من تفسير الآية الأولى من سورة الأسراء . وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم المتواتر ما يشير إلى قدسية هذه الأرض . فقد روي عنه قوله " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى" (٣) ونقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه صلى إلى بيت المقدس قبل هجرته إلى المدينة سنتين ، وصلى إليها بعد هجرته سبعة عشر شهراً " (٤) . وفي أهل بيت المقدس وما حوله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله ، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله لا يضرهم من خذلهم ، ظاهرين على الحق، إلى أن تقوم الساعة" (٥) .

---

(١) أبو شامة المقدسي ، عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان المقدسي الذيل على الروضتين ، انظر : ص ٢٠٤ .

(٢) الآية رقم (١) من سورة الاسراء .

(٣) انظر : العسقلاني ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر ، فتح الباري بشرح صحيح البخارى ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، سنة ١٣١٦ هـ ج ٣ ، ص٤٢ ، والحديث من رواية أبي هريرة ، رضي الله عنه . وقد روى الحديث عن أبي سعيد الخدرى بصيغة مختلفة قليلاً " ، جاء فيها لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام ومسجد الأقصى ومسجدى " .
انظر : المصدر السابق ، ج ٢٣ ، ص ٤٦ وانظر كذلك : ولي الدين التبريزى مشكاة المصابيح ، محمد ناصر الدين الألباني ، منشورات دار المكتب الاسلامي بدمشق ، ط١ ، ١٩٦١ ، ج ١ ، ص ٢١٩ .

(٤) انظر : الجامع الصحيح (مسند الامام الربيع بن حبيب) طباعة دار الأيتام الاسلامية بالقدس ط٣ ، ١٣٨١ هـ ، صفحة ٥٨ .

(٥) ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ ، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية حبيب الرحمن الأعظمي ، المطبعة المصرية الكويت ١٩٧٣ ، ط١ ، انظر : ج ٤ ، ص١٦٤ . ولمزيد من الأدلة انظر : المقدسات الاسلامية في فلسطين ص٩ وما بعدها .

أمّـــا وضعُ المنطقة الاقتصادي والاجتماعي فيمكن إيجازُه بما يلـــي :

كانت نابُلُس تعتمد في اقتصادها على ماتُنتجُه أرضُها الخصبةُ ، فهي مدينـــة حَسَنةُ التّربةِ طيّبةُ الهواء ، موفورةُ الماء ، كثيرةُ الأعين والأشجار والفواكه ، ومعظـــمُ الأشجار بضواحيها الزّيتونُ (١) ، وهي بوجود العيونِ فيها تَختلفُ عن سائر مـــدن فلسطين حسبما ذكره ابن حوقل إذ يقول : " فمياه فلسطين من الأمطار والطّل ،لا سَقيَ فيها ، إلّا نابُلُس ، فيها مياهٌ جارية (٢) " ، ولهذا كانوا يسمونها دمشق الصغرى (٣) وفيها قال ابن فَضْـلِ اللّه العُمَري : " مدينة يَحتاجُ إليها ولا تَحتاجُ إلى غيرها"(٤) . ووصفها ابن أبي طالب الأنصاري بأنّها " مدينة خصبة بين جَبلين ، مُتسعةٌ مابينهمـــا ، ذاتُ مياهٍ جارية ، وكأنها قَصـرٌ في بستان ، وقد خصّها الله تعالى ، بالشجرة المباركة وهـي الزيتون ، ويُحملُ زيتُها إلى الدّيار المصرية والشاميّة وإلى الحجاز والبراري مع العُـــربان ، ويُحمل إلى جامع بني أميـة منه في كلّ سَنة ألفُ قنطار بالدّمَشقي ، ويُعملُ منه الصابونُ الـرّقّـي ، ويُحْمَلُ إلى سائر البـلاد التي ذكرنا وإلى جزائر البحـــر الرّومي ، وبها البطّيـخُ الأصفرُ الزائدُ الحلاوة على جميع بطيخ الأرض" (٥) . ومثـل هـــذا (٦) أورده ابنُ بُطوطةَ المُتَوَفّى عام سبعمائة وستة وخمسين . أمّـا أهلُهـــا فقد كانوا ـ كما يقول اليعقوبي ـ " أخلاطاً من العرب والعجم والسّامرة " (٧) والعـرب منهم يَنتَسـون إلى أصولٍ عربيةٍ نقيّة ، وأمّا السامرةُ ، فهم طائفةٌ من اليهود ، واليهـود يقولون فيهم : " إنّهم كفّار مِلّتِنا (٩) " . ويذكر الأصطخري أن أهل بيت المقـــدس

---

(١) الأنس الجليـــل : ج ٢ ص٧٥ .

(٢) ابن حوقـــل ، أبو القاسم النّصيبي سنة ٣٨١ هـ ، صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت سنة ١٩٧٦ . انظـر:ص ١٥٨ .

(٣) أحســن التقاسـيم : ص ١٧٤ .

(٤) مسالك الأبصـار : ج ١ ، ص٢٥٣ .

(٥) شمس الدين أبو عبد الله ابن أبي طالب الأنصاري ، آثار البلاد وأخبـــار العباد نشروستنفلـد غوتنهـن ، ص: ٢٠٠ .

(٦) تُحفة النُظّـار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق : علي المنتصـــر الكِتّـاني مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٩٧٥ ، ج ١ ، ص ٨٠ .

(٧) انظر : البلدان ، ص : ٨٥

(٨) انظر: صبح الأعشى ، ج١٠ ، ص ٢٢٩ وما بعدها .

(٩) القـــزويني ، زكريا بن محمد ، آثار البـلاد وأخبار العبـــاد ، دار بـيروت ، ١٩٧٦ ، ط ٢ ، انظـر ص ٢٧٧ .

يزعمون أن السامرة لا يوجد أحدٌ منهم إلّا بنابُلُس (١) . ويقول صاحبُ "مراصد الأطّلاع" : "إنهم لا يسكنون غيرها إلّا لحاجة من عَمَلٍ أو غيره" (٢) . أمّا مسلمو نابلس ، فيرى البشاري ، وهو من رجال القرن الرابع الهجري ، أن المذهبَ الشّيعي قد غَلَبَ فيهم في الفترة التى ألّف فيها كتابَه ، إذ يقول : "وأهلُ طبرية ونصفُ نابُلُسَ وقَدَسُ وأكثرُ عمّان شيعةٌ" (٣) ولعلَّ في هذا القول مبالغةً ، إذ أنني لم أجِدْ مثلَ هذا القول في أي مصدر آخر ، ولم أجد بين عشرات العلماء والأدباء من أهل هذه المدينة وما حولها مَن هو على غير مَذهَبي الشّافعية أو الحنبلية .

أمّا الحياةُ العامةُ في نابُلُس في القرن الرّابع الهجري ، فيتبيّنُ من ملاحظات أوردها البَشّاري أنها كانت تتصفُ بالنّشاط والحركة والعمل المتواصل، إذ كان جُزءٌ كبيرٌ من أهلها يَحترفُ التّجارة ، "فسوقُها من الباب إلى الباب ، وهناك سوقٌ آخر يَمتَدُّ إلى وسط البلد" (٤) . وقد بلغوا مستوى عمرانيا "متقدما" بمقياس زمنهم، إذ كانت مدينتهم مُبلّطةً نظيفةً ، والجامعُ وسطُها ، وهو في غاية من الأتقان والحُسن ، وفي وسطه بركة ماء ، وقد ذكر البشاري أنّ بناءهم كان من الحجارة . ويبدو أنهم كانوا كذلك يتمتّعون بمُستوىً اجتماعيّ متميّز ، كما يُفهم من قول البشاري : "ولا ألبق من أهل نابُلس ، ثم الرّيّ بعد بغداد" (٥) .

وأمّا طعامُهم ، فقد كان مما تنتج أرضهم ، وكانوا يخبزون خُبزَهم في الأفرِنة ، في حين أنّ أهلَ الرّيفِ كانوا يَخبزونه في الطّوابين : والطابون عبارة عن تَنور في الأرض يُفرَشُ بالحصى ، فيوقَدُ حولَه وفوقَه ، فاذا احمَرّ ، طُرِحت الأرغفة على الحصى" (٦) .

---

(١) الأصطخري ، ابراهيم بن محمد الفارسي سنة ٣٦٥ هـ ، المسالك والممالك، محمد جابر الحسيني ، وزارة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٦١ ، انظر :ص٤٤ . وانظر : مروج الذهب ، دار الأندلس ١٩٦٥ : ج ١ ، ص ٧٢ .
(٢) عبدالحق البغدادى سنة ٧٧٣هـ ، مراصد الأطلاع ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، انظر : ج ٣ ، ص ١٣٤٧ .
(٣) أحسن التقاسيم : ص ١٧٦ .
(٤) المصدر السابق : ص ٣٣
(٥) أحسن التقاسيم : ص ٣٤
(٦) المصدر نفسه : ص ١٨٣ .

الفصـــــل الأول

" الحيــاة الثقافيــة في نابلُس وما جاورها "

من المعروف أنّ العصرَ العباسيّ عصرٌ مَديـد ، بدأ بزوال حُكم الأمويين عـــام مائة واثنـين وثلاثين ، وانتهى بغزو التتار لبغداد وتخريبها على أيديهم عام ستمائة وستـة وخمســين . وهو عَصرٌ مُزدهـرٌ علماً وحضارةً وفكراً ، بل لعلّه أكـثرُ العصور الاسـلامية امتداداً وازدهاراً. غير أنّ امتدادَ الزّمان يَنبغي ألّا يُنسي ضيقَ المكان وانحصارَهُ في رُقعة صغيرة من الأرض ، كما هي الحالُ في نابُلس وما حولَها، وذلك فضـلاً عن بعد نابُلس عن مُركز الخلافة في بغداد ، ومراكز الثّقافة والأشعاع الفكـريّ في دمشق والقاهرة وبـلاد فارس . وقد يقول قائل : إنّ الرّملةَ وطبريّةَ وبيتَ المقـدس تَشــتركُ مع نابُلس في هذه الصفة ، وقد كانت مراكزَ حضارة وثقافة . إلّا أنّ الرّملةَ كانت في تلك الفترة قَصَبــةَ جُنـد فلسطين ، وكانت طبريةُ قَصَبةَ جُنـد الأردن ، فيمـا كانـت بَيْتُ المَقدس ومازالت ، ذات مكانة دينيّة وتاريخية متميّزة . ولعـلّ هذه الميزات فــي المـدن الثـلاث قد نَشأ عنها اجتذابُ الكثيرين من النّابلسيين إليها . على أنّ هذه المدنَ لم تكن وحدَها الّـتي اجتذبَت علماءَ المنطقة ، فإنّ المصادر القديمـة قد حَفظَت لنا كثيراً من الأسماء التي ينتسب أشخاصها لهذه المدينة ، ولكنّهم تركوها إلى غيرها من العواصم ومراكز الحضارة في أنحاء مختلفة من العالم الأسـلامي .

فاذا ماعلمنا أن نابلس قد نكبها الزّلـزال قديماً مرّتين (١) ، فدمّرها تدمـيراً بالغاً ، اضافة لما تعرضت له من وَحشيّة الغَزوين الصّليبي والتّتري، أدركنا السبـب في هجـرة الكثيرين مِمّن نَبَغوا خارجَها ، وأدركنا السّـر في طبيعة المعلومات الـتي وَردَتنا عن هذه المنطقة ، ولا سيما في مجال الأدب والثقافـة .

وليست الشكوى هاهُنا من انعدام المعلومات أو قلّتها في المصادر القديمة،بـل من كونها معلومات مبعـثرة مشتّتـة ، تحتاج إلى من يَجمَعُها من مَظانّها . ويُمكنُ القولُ استناداً إلى هـذه المعلومات ، أنّ الفترة الّتي يُمكن تَحديدُها بتاريخ قيام الدولة العباسيـة عام مائة واثنين وثلاثين ، وسقوط نابلس بيـد الصليبيين عام خمسمائة وأربعة ، كانـت فـترة شحيحة الأنتاج ، إذ لم تَذكُـر لنا المصادرُ شيئاً ذا أهميّة عن هذه الفـترة سوى ماحَفظَتْـه من أسماء لعَدَد مَحدود من أعيان المدينة الّـذين اضطرّتهم ظـروفٌ مُختلفة إلى مغادرتها والانتقال بعلمِهم إلى بقاعٍ أخرى في الدولة الاسلاميّة . وكـــان

---

(١) الذيـــل على الروضتـــين : ص ٢٦ .

من هؤلاء الفقيهُ والمحدِّثُ والشاعرُ والراويةُ . فقد كان الشيخُ نصرُ بنُ ابراهيمَ النابُلسي مثلاً ، من أكبر فُقهاءِ عصره ، ويعتبرُه المؤرخون فقيه الشافعية في الشام في زمنه ، وقد قيل فيه : إنه لو تقدّم به الزمن ، لَساوى الفقهاء الأربعةَ في منزلتهم ، ولكنهم فاتوه في السَّبق (١) . ومن فقهاء هذه الفترة وعلمائها الأجلاءِ الشهيدُ الذي قتلَه علمُه ، المعروفُ بابن النابُلسي (محمد بن أحمد بن سهل ابن نصر (٢)) . ومنهم الشيخُ أبو عبدالله الدّيباجيُّ النابُلسيُّ الذي كان مُقَدَّماً في الفقه وعلم الكلام على مذهب الأشعري (٣) . ومنهم الشاعرُ الراوية ادريس بنُ يزيدَ النابُلسي الذي كان مُعاصراً لأبي تمّام ، وعنه أخذ الصّولي كثيراً من أخباره (٤) .

ومن الأمور الطبيعية ، أن الفترةَ الواقعَة مابين عام خمسمائةٍ وأربعةٍ الذي دَخَلَ فيه الصليبيون نابلس ، وعام خمسمائة واثنين وخمسين الذى اشتَدَّتْ فيه حَرَكةُ الهجرة من المدينة وما حولها ، هي فترة لا تَستَبينُ فيها معالمُ لِنَشاطٍ أدبيٍّ أو ثقافي ، وذلك نظراً لما نشأ عن الحروب الصليبية من اضطراب وقتال وانشغال بمدافعة العَدُوّ . وكُلُّ ماوُصلنا عن هذه الفترة ، ماذَكرُهُ السّمعاني عن وُجود المَسجد الجامع ومسجدٍ آخرَ في نابُلس ، وما ذَكَرَهُ كذلك من أنه اجتمع بخطيب نابلس أبي الحسينِ علي بن جعفر وكتب عنه بُيْتين من الشِّعر (٥) ، وما ذكرته بعض المصادرِ الأخرى عن الشيخ أحمدَ بنِ مُحمَّدٍ بن قُدامة ، خطيبِ قَرية جمّاعيل ، ووالدِ الشيخِ الزّاهِدِ أبي عمر،والشيخ المُوَفّق ابن قدامة ، الذي اضطرَّتْهُ هَجمةُ الصليبيين إلى الهجرة بأولاده وآل بيته إلى دمشق (٦) .

---

(١) السُّبكي ، تاج الدين ٧٧١ هـ ، طبقات الشافعية ، محمد الطناحي . وعبدالفتاح الحلو ، مطبعة الحلبي ، القاهره ، ط١ (انظر : ج ٥ ، ص ٣٥١ .

(٢) ابن تَغري بَردي ، جمال الدين ابو المحاسن ٨٧٤ هـ ، دار الكتب المصرية ١٣٥٣ ، ج ٤ ، ص ١٠٦ .

(٣) ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن ٥٧١ هـ ، تبيين كَذب المُفتري ، مكتبة القدس ، دمشق ، انظر ص ٣٢١ .

(٤) الصّولي أبو بكر محمد بن يحي ٣٣٥ هـ ، أخبار أبي تمام د . محمد عبده عزام ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهره ١٩٣٧ (انظر ص٤٠ ، ١٣٤ ، ٢٧٣)

(٥) السّمعاني ، عبدالكريم بن محمد بن منصور ٥٦٢ هـ ، الأنساب ، اعتناء مرجوليوث ص ٥٥٠ - ٥٥١ .

(٦) ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح ، عبدالحي ١٠٨٩ هـ ، شذرات الذهب احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، انظر : ج ٤ ، ص ١٨٢ .

على أنّ الفترة اللاّحقة ، كانت أفضلَ بكثير منَ الفترتين السّابقتين ، ولا سيّما بعد طـرد الصليبيين من المدينة وما حولها ، إذ وُجد في المدينة علماء في مَجالاتِ المعرفـة المُختلفة في الفقه والشعـر واللغة والنحو ، وعلوم الهيئة والنجوم وتعبير الرؤيا وغيرها ممّـا سأقف عليه في الفصـول اللاحقـة .

ومن الجديـر بالذكـر ، أنّ الحركة الأدبية والثقافية كانت في الفترة الأولى مقتصـرةً علـى المدينة نفسها دونَ مايحيط بها ، في حين أنّ هذه الحركة استبانت آثارُها في المنطقة المحيطة بالمدينة في الفترتين اللّاحقتين ، فبرزت أسماءُ الكثير من القُرى التي كان لهـا دَوْر في انجاب بعض من نوابغ العلم ، ومن هذه البلدان جَمّاعيل (١) التي يَنتَسِبُ إليها آلُ قُدامةَ المعروفون ، وقرية مُردا (٢) ، التي يَنتَسِبُ إليهـا عَدَدٌ من العلماء ، والفُنْدُقُ (٣) ، ومِشْكَةُ (٤) وقاقونُ (٥) ، ومَجْدَلُ بني زَبْر (٦)

---

(١) " بالفَتح وتشديد الميم ، وألفٍ وعَين مُهمَلة مكسورة وياءٍ ساكنة ولام : قرية مـن جبل نابلس من أرض فلسطين ... " انظر : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٥٩ .

(٢) " ومُردا : قرية قرب نابُلس ، الاّ أنّ هذه لا يُتلفَّظ بها الاّ بالقصر " انظـر : معجم البلـدان ، ج ٥ ، ص ١٠٤ .

(٣) فُندُق الشُيوخ : من أرض نابُلس ، توفي بها أحمدُ بنُ عبد الدائم بنِ نِعمَـةَ المولود سنة ٥٧٥ هـ ، وكان ناسخاً" انظر : عيون التواريخ / الكتبي : ج ٢ ص ٣٩٣ . كما يُنسَب اليها علي بن عبد الحميد بن محمد الفُندُقي ، المولـود سنة ٦٣٥ هـ ، وكان فقيهاً "مُفتِياً" . انظر : ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٣٥٤ .

(٤) مِشْكَة : بلفظ تأنيث المِسْك الذي يُشَمّ ، وهي قرية من قرى عسقـلان يُنسَب إليها جماعة بمصر منهم شيخُنا عبدُ الخالق بن صالح بنِ علي بنِ زيـدان المِشكـي ، وعبدُ الله بنُ خلف بن رافع المِشكي ..." انظر: معجم البلـدان ج ٥ ، ص ١٢٨ . وهي في هذا العصر من عَمَـل نابُلـس .

(٥) قاقون : بعد القاف الثانية واو ساكنة ونون ، حِصْن بفلسطين قـرب الرّملَـة منها أبو القاسم عبدُ السّـلام بنُ أحمد بنِ أبي حَرْب القاقوني ، وشِبـلُ بنُ علي بن شِبْل القاقوني ... انظر: معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٩٩ . وهي فـي هذا العصر من عَمَـل نابُلـس .

(٦) يُنسَـبُ إليها الشّيـخُ الأجـلُّ ، أبو محمـد عبدُ المَلِكِ بنُ سعيـد ابن عبد الملك النابُلسُـي المَجْدَلي الزَبْري ، المتوفي سنة ٦٠١ هـ ، انظـر : التكملـة ، ج ٢ ص ٧٣ .

والساويةُ (١) ، وجيتُ (٢) واللّبَّنُ (٣) وبورينُ (٤) وقَــراوى بَني حَسّـــان (٥) وغـــيرُها .

ولقـــد كان للعنصر النّسائي مشاركةٌ في الحياة الثقافية ، فقد حفظ لنا التاريخُ أسمـاءَ عـددٍ من النّســوة اللّواتي كان لهن في الثقافة أثــرٌ واضح ، ومن هؤلاء : رُقَيّـــةُ بنــتُ أحمــدَ بنِ محمدِ بنِ قُدامة المتوفاةُ سنةَ احــدى وعشرين وستمائة ،(٦) والمحدثةُ آسيــةُ أختُ الضّياءِ المقــدسي ،(٧) وخديجةُ بنتُ محمدِ بنِ خَلفٍ المَقدِسيّة ،(٨) وآسيةُ بنتُ محمدِ بنِ خلــفٍ زوجُ الضّياءِ المقدسي (٩) . وأمُّ محمدٍ ، رابعةُ ابنـــــةُ

---

(١) وفيها توفي أبو عبدالله محمدُ بنُ عبدالهادى بن يوسفَ بنِ قُدامةَ ،وكـــان اماماً بمسجــدها ، واستُشهد على يد التتار سَنة ٦٥٨ هـ . انظر شــذرات الذهـــب ج ٥ ، ص ٢٦٥ .

(٢) جيت من عمل نابلس ، يُنسَب اليها مُهلهِلُ بنُ بدرانَ الجيتيّ المحدّثُ وولدُه محمد ، وأحمدُ بنُ عبدالحميد الجيتيّ الفقيه . انظر : تبصير المنتبــــه بتحرير المشتبه ، القسم الأول ، ص ٣٠٠ .

(٣) " ولَبّنُ هذه قرية بالشـام من أعمال نابُلس ، ينسب اليها الفقيهُ الفاضلُ أبــو بكــر محمدُ بنُ عبدالواحد بنِ عبدالجليل المخزومي اللُّبّني " المشتبه : ج ٢ ص ٥٦١

(٤) وفيها وُلــد الشيخُ غانمُ بنُ علي بنِ ابراهيمَ بنِ عساكر النابلسي ، سنة ٥٦٢ هـ وكان زاهداً متصوفاً ، انظر : مرآة الجنـان ، ج ٤ ، ص ٨٢ .

(٥) " وقــراوى أيضاً ، قرية من أعمال نابلس ، يقال لها : قَراوى بني حَسّـــان ونُسِبَ اليها أبو محمد عبدُالحميد وأحمدُ ابنا مُرّي بنِ ماضي القَــراوي الحَسّاني " معجم البلــدان ، ج ٤ ص ٣١٩ . وانظر كذلك : تاريخ أربل ، القسم الأول ص ٣١٥ ، والقــلائد الجوهرية : ج ١ ص ٣٤ .

(٦) " حدثت بالإجازة عن أبي الفَتح محمدِ بنِ عبدالباقي بنِ أحمدَ ، وأبي بكــر أحمــدَ بنِ المُقرّب الكَرْخي ، وغيرِهما ، ولَنا منها إجازةٌ وهي والدة الحافــظ أبي عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي المنعوتِ بالضّياء ، وكانت مــن أهـل الخير والصّــلاح " / التكملة : ج ٣ ، ص ١٢٤ . وانظر : أعـــلام النســاء ج ١ ص ٤٥٣ .

(٧) محدثةٌ رَوت بالاجازة عن ابن شاتيل . انظر أعلام النساء : ج ١ ، ص ٦ .

(٨) " محدثة سَمِعَتْ من ابنِ طَبَرْزَد الجزءَ الثامن والعشرين من أمالي السَّمَرْقَنـدي وسُمِعَ عليها الجــزءُ الأولُ من فوائد محمد بنِ المأمون " . انظــر : أعـــلام النساء ، ج ١ ، ص ٣٤٢ .

(٩) " الشيخة الصالحة ، حدّثت بالاجازة عن أبي السعادات نصرِالله بنِ عبدالرّحمن ابن محمد القــزاز وغيرِه ، وكانت تحفَظُ القرآن " . انظر:التكملة : ج ٣ ، ص ٤٠٤ .

الشيخ أبي العباس أحمدَ بن محمّد بن قُدامةَ (١) ، وغيرُهنّ كثيرات (٢) .
وإذ لم يَصلْنا الكثيرُ من المعلومات عن المدارس ومراكز التّعليم في نابُلُس ، فقد ذكر الذّهبيّ ، ونقل عنه الحافظ ابن رَجَب ، في ترجمة الفقيه الزّاهد عِمادِ الدّين عبدِ الحافظ بن بَدرانَ بنِ شِبْل بن طَرَخان المقدسيّ النّابُلُسيّ ، أنّ هذا الفقيهَ بَنى بنابُلُس مدرسةً ، وذكر ابنُ رجب أنّ عبد الحافظ المتقدّمَ ذِكرُه قد دُفِنَ بزاويته بطور عَسْكَر . (٣) وتحدّث ابنُ كثير عن زاوية الشّيخ عبدِ اللّه بنِ غانم بنِ عليّ بنِ عليّ بنِ ابراهيمَ بنِ عساكرَ بنِ الحُسين المَقدسيّ ، المُتَوفى عامَ اثنين وسبعين وستّمائةٍ بأرض نابُلُس (٤) . وما من شكٍّ في أنّ أهلَ نابُلُس ومنطقتِها كانوا يتّخذون كذلك من المساجد أماكنَ للتّثقيف والتّعليم، إذ إنّ من المعروف أنّ المسجدَ كان مدرسةَ المسلمينَ الأولى ، وكانَ يُعتبرُ أفضلَ مواضع التّدريس، لأنّه موضعُ مُجتمَع النّاس رَفيعِهم ووَضيعِهم ، وعالِمهم وجاهِلِهم، فهو بذلك مُتميّزٌ عمّا سواه (٥) . وقد أفادت المصادرُ القديمةُ كذلك ، أنّ العلماءَ كانوا يَفِدون إلى نابُلُس للأخذ عن عُلمائها : فقد ذكر النّعَيْميّ في ترجمته للشّيخ علاءِ الدين بن العَطّار الّذي تولّى مشيخةَ دار الحَديث النّوريّة ، أنّه أخذَ في نابُلُس عن العماد عبدِ الحافظ ابنِ بَدران (٦) . وذكر أيضاً أنّ الإمامَ شمسَ الدّين الذّهبيّ قد أخذ عنه في نابُلُس (٧) هو الآخر . ونقل أبو شامةَ عن سِبط ابن الجوزيّ أنّه خرَج سنةَ سبع وستّمائةٍ من دمشقَ إلى نابُلُس بنيّة القِراءة (٨) . ويُفهَمُ من كلامِ ابن واصل الحَمَويّ ، أنّ

---

(١) "أجازَ لها أبو الفتح مُحَمّدُ بنُ عبد الباقي ، وأبو القاسم يَحيى بن بندار وغيرُهما ولِمتامنها اجازة ، كَتَبَتْ بها إلينا من دمشق غيرَ مرّة ، وكانت حافظةً للقرآن، تُعلّم النّساء" .... التكملة : ج٣ ، ص١٠٩ .

(٢) انظر مقدّمة القلائد الجوهريّة ، بقلم محمد أحمد دهمان ، ص : ٥ وما بعدها .

(٣) ذيل طبقات الحنابلة : ج٢ ، ص٤١٣ .

(٤) البداية والنهاية : ج١٣ ، وفيات سنة ٦٧٢ هـ .

(٥) ابن الحاج ، محمد بن محمد بن محمد العَبدَري الفاسي ٧٣٧ هـ ، المدخل ، المطبعة المصرية بالأزهر ، ١٩٢٩ ، ط١ ، انظر : ج١ ، ص٨٥ .

(٦) الدارس في تاريخ المدارس : ج١ ، ص٧٠ .

(٧) المصدر السّابق : ج١ ، ص٧٩ .

(٨) الذّيل على الروضتين : ص٦٩ .

المدينه كانت محط هوى للملك المعظم عيسى (١) ، وهو من هو علماً وأدباً وبراعة في الفقه واللغة والنحو ، وقد شبهوه بالمأمون بتقريبه العلماء والأدباء ومجالسته لهم واجرائه الجرايات عليهم (٢) ، اذ كان يكثر التردد على نابلس ، حتى إنه ابتنى فيها بيتاً (٣) ، وقد ألف بعضاً من كتبه فيها ، وأشار إلى ذلك ، ففي كتابه " السهم المصيب في الرد على أبي بكر الخطيب " ذكر في مقدمة الكتاب أنه ألفه وهو يدفع هجوم الصليبيين عن نابلس (٤) . وذكر ابن واصل أنه وقف على نسخة من كتاب سيبويه وعليها خط الملك المعظم عيسى في عدة مواضع ، وقد قال في بعضها " أنهيته مطالعة ومراجعة وأنا بنابلس (٥) " .

ومن الأمور التي تستوقف الباحث ، أن عدداً من علماء المدينة كانوا موسوعيين في معارفهم ، إذ قد يكون الواحد منهم متقدماً في الفقه والحديث واللغة والفرائض والنحو ، وله نظم حسن ، إلى ماسوى ذلك من الفنون ، ولكنه كان يتميز في علم من العلوم ، فينسب إليه .

وقد شاع في هذه الفترة ، ولا سيما في المائة السادسة وما بعدها ، تلقيبهم علماءهم بألقاب توحي بالتزكية والثناء ، كأن يقولوا : ضياء الدين ، ونور الدين وعماد الدين ، كما كانوا يلقبون بالموفق والمشرف والمؤيد والتقي وغيرها .

---

(١) ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم ٦٩٧ هـ ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، د . حسنين محمد ربيع ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٢ انظر : ج٤ ، الصفحات : ٢١٧ ، ٢٣٠ ، ٢١١ .

(٢) مقدمة ديوان ابن عنين ، بقلم : خليل مردم ، ص: ١٣ – ١٤ .

(٣) مفرج الكروب : ج ٤ ، ص٢٣٠ ، وانظر : السلوك لمعرفة دول الملوك ط٢ ، ١٩٥٧ ، ج ١ ق ٢ ، ص٢٨٤ وما بعدها .

(٤) الملك المعظم عيسى ، السهم المصيب في الرد على أبي بكر الخطيب ، مطبعة السعادة القاهرة ، ١٩٣٢ ، انظر ص : ٢٧

(٥) مفرج الكروب : ج ٤ ، ص٢١١ .

أ. في علوم الحديث والزهد (١) :

كان الانصراف عن الدنيا والاقبال على الآخرة سمة مميزة من سمات عدد من علماء الفترة المتأخرة من هذا العصر ، وهي الفترة التي واكبت الغزوين الصليبي والتتري . وقد يكون هذا الاتجاه رد فعل طبيعيا لما أصاب الناس من كوارث ونكبات، ولما شاع في بعض طبقات المجتمع من خروج على قواعد الدين ، فلا عجب إذن أن وجدت طبقة من الزهاد العلماء الذين انصرفوا عن الدنيا ومباهجها ، وكرسوا علمهم لخدمة الناس دون أن يتقاضوا عليه أجرا في أغلب الأحيان (٢) . وقد كان لأولئك الزهاد زوايا،كما كان لهم مريدون (٣) . وكان بعضهم يغالي في الورع ، مما جعل معاصريهم ينسبون إليهم الكرامات ، وأثر عن بعضهم أنهم كانوا ذوي حذق عظيم في تعبير الرؤيا (٤) .

أما طليعة الزهاد النابلسيين ، فقد كان الفقيه الكبير الشيخ أبا نصر نصر بن ابراهيم بن نصر النابلسي ، المتوفى سنة تسعين وأربعمائة . وقد قال فيه الذهبي : " وكان إماما علامة مفتيا محدثا حافظا زاهدا متبتلا ورعا كبير القدر عديم النظير " (٥) . ومن الزهاد القانتين الشيخ أحمد بن محمد ابن قدامة (٦) ،خطيب جماعيل ، ووالد الشيخين : الشيخ أبي عمر ، محمد ابن أحمد بن قدامة ، والشيخ الموفق ابن قدامة . وقد فر بدينه من الفرنج مهاجرا إلى الله ، ونزل بمسجد أبي صالح بظاهر الباب الشرقي من مدينة دمشق ، ثم صعد إلى الجبل وبنى فيه مكان

---

(١) الزهد ، في اللغة ، هو ترك الميل إلى الشيء ، وفي الاصطلاح : هو بغض الدنيا والاعراض عنها ، وقيل هو ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة (انظر : كتاب التعريفات ، علي بن محمد الشريف الجرجاني ص١٢٠)

(٢) تبيين كذب المفتري : ص٢٨٦ .

(٣) الوافي بالوفيات : ج٣ ، ص٣٦٩ .

(٤) ابن القاضي ، أحمد بن محمد المكناسي ، درة الحجال في أسماء الرجال ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، انظر:ج١ ، ص٣٢ .

(٥) العبر في خبر من غبر : ج٣ ، ص٣٢٩ .

(٦) له ترجمة في : العبر ، ج٤ ، ص١٦٤ * ذيل طبقات الحنابلة ، ج٢ ، ص٦١ * بالوفيات : ج٨ ، ص٨٣ * مرآة الجنان : ج٣ ، ٣١٤ * الدارس : ج٢ ص١٠ * شذرات الذهب : ج٤ ، ص١٨٢ .

عبادة ، ونزل هو وأهله بسفح قاسيون (١) . وكان هذا الشيخ رجلاً صالحاً زاهداً عابداً ، وُصف بأنه صاحبُ كرامات وأحوال وعبادات ومُجاهدات ، وكان عليه مهابة عظيمة ، لا يراه أحدٌ إلا قبّل يده . وقد قال فيه أبو الفرج ابنُ الحنبلي (٢) : "كان له قَدَمٌ في العبادة والصّلاح ، سمعتُ والدي يقول: "لو كان نبيٌّ يُبْعَثُ في زمان الشيخ أحمد بن محمد بن قدامة،لكان هو"(٣)". وقد حدّث عنه ولداه : الموفّقُ وأبو عمر (٤) ، وكانت وفاته سنة ثمان وخمسين وخمسمائة (٥) . ومن الزهّاد ، جمالُ الدين محمدُ بنُ ابراهيم بن عبد الرحمن بن منصور الزّاهد (٦)، المتوفى سنة تسع وتسعين وخمسمائة، سمع الحديث بدمشق وبغداد ، وكان فقيهاً وَرِعاً زاهداً ، كثيرَ الخشية والخوفِ من الله تعالى ، حتى كان يُعرف بالزّاهد . أمّ بمسجد دار البطّيخ بدمشق ، وهو مسجد السّلاطين ، وأدركه أجلُه بنابُلُسَ . ومِمّن عُرفوا بالزّهد والتّبتّل ، الشيخُ غانمُ بنُ علي بن ابراهيمَ بن عساكرَ المقدسيّ النابُلُسي الزّاهد (٧) ، وقد وصفه ابنُ العماد الحنبلي بأنه "أحدُ عباد الله الأتقياء ، والسّادةِ الأولياء"(٨) .

---

(١) شذرات الذهب : ج ٤ ،ص٤٤ ٣ .

(٢) ناصح الدين أبو الفرج عبدُ الرحمن بنُ نجم الدين بنِ عبد الوهاب بن الشيخ أبي الفرج الشّيرازي ، ولد بدمشق سنة ٥٥٤ هـ ، وكان واعظاً مُفتياً ، له خُطَب ومقامات ، وله كتاب "تاريخ الوعّاظ" واليه انتهت رياسة المذهب بعد الشيخ الموفّق ، وكانت وفاته سنة ٦٣٤ هـ . (انظر : العبر ، ج ٣ ، ص ٢١٩ ، والقلائد الجوهرية : ج ١ ، ص ١٥٨) .

(٣) ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٦١ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) مرآة الجنان : ج ٣ ، ص ٣١٤ .

(٦) انظر : شذرات الذهب : ج ٤ ، ص ٣٤٤ .

(٧) انظر : مرآة الجنان ،ج ٤ ،ص٨٢ .

(٨) انظر : الأنس الجليل ، ج ٢ ، ص ١٣٥ .

ولد سنة اثنتين وستين وخمسمائة بقرية بورين من عمل نابلس ، وسكن القدس عام أنقذه السلطان صلاح الدين من الفرنج سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وقد ساح بالشام ، ورأى الصالحين ، ووصف بأنه كان صاحب أحوال وكرامات .

ومن الزهاد ، الشيخ الزاهد الورع شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن جعفر النابلسي (١)، المولود في نابلس سنة سبع وسبعين وخمسمائة وكان قد سمع الحديث من الحافظ ابن عساكر وغيره ، وقد خطب مدة طويلة ببيت المقدس ، وحكم به ودرس ، وتوفي سنة خمس وستين وستمائة . ومن الزهاد المتصوفين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن غانم بن علي النابلسي (٢) وقد ذكر عنه أنه قدم دمشق ، وتفقه على الشيخ تاج الدين الفزاري (٣) وأفتى ببلده مدة الى حين وفاته سنة ثلاث وتسعين وستمائة . وقد وصفه الصفدي بأنه كان صالحا " زاهدا " ، وله فقراء مريدون (٤) . وممن برعوا في تعبير الرؤيا ، الفقيه المحدث الزاهد العابد شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة المقدسي النابلسي (٥) ، المولود في نابلس سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وسمع بها من عمه تقي الدين يوسف (٦) ، ومن الصاحب محيي الدين ابن الجوزي (٧) . ورحل إلى مصر ودمشق وأجازه جماعة . تفقه في مذهب الامام أحمد وبرع في معرفة تعبير الرؤيا ، وانفرد بذلك بحيث لم يشاركه فيه ولم يدرك شأوه . فقد قال الصفدي : " وكان إليه المنتهى في تعبير الرؤيا ، واشتهر عنه في ذلك عجائب ،

---

(١) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص١٣٥ .

(٢) انظر : الوافي بالوفيات ، ج ٣ ، ص ٣٦٩ .

(٣) تاج الدين ، أبو محمد ، عبد الرحمن بن ابراهيم بن سباع الفزاري الدمشقي الشافعي . فقيه الشام ، وكان مقدما " في المناظرة . توفي سنة ستمائة وتسعين انظر : العبر ، ج ٣ ، ص٣٧٢ .

(٤) الوافي بالوفيات : ج ٣ ، ص٣٦٩ .

(٥) ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص٣٢٦ .

(٦) تقي الدين يوسف بن رشيد الدين اسماعيل بن عثمان الدمشقي ، درس بالبلخية وأفتى ، وكان على أجمل الطرق ومن أهل الخير ، وكانت وفاته بالقاهرة سنة ٧١٤ هـ . انظر : تالي كتاب الوفيات : ص٤٨ .

(٧) أبو المحاسن يوسف بن الشيخ أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي الحنبلي البغدادي ، ولقد كان سفيرا " للخلافة والملوك فحصل أموالا " كثيرة مما مكنه من بناء المدرسة الجوزية بدمشق ، وكان مشاركا " في كثير من العلوم ، وقد ضربت عنقه سنة ٦٥٦ هـ . (انظر : الأعلاق الخطيرة . ج ٢ ، ص٢٥٦)

ويُخبرُ صاحبَ الرّؤيا بالمُغَيّبات التي لا يَقتضيها المَنامُ أصْلاً"(١) . ووصفه الحافظ ابنُ رجب بأنه كان كثير العبادة والأوراد والصّلاة (٢) ، ووصفه الذّهبي بأنه كان إماماً" فاضلاً" ، وذكر له مصنفاً" نفيساً" في الأحكام (٣) ، غير أنه لم يذكر اسمه ، ولم أجِدْه عند غيره . وذكر له غيرُ الذّهبي كتاباً" سماه : " البَدرَ المُنير في التعبير" (٤) ، وهو في تعبير الرؤيا . توفي أبو العباس سنة سبع وتسعين وستمائة بدمشق ، وكانت جنازته حافلة وخرج نائبُ السّلطنة للصلاة عليه ، وكذا القضاةُ والأكابر (٥) .

أمّا شيخُ الزّهاد في المنطقة في ذلك العصر ، فهو الشيخُ أبو عمر محمدُ بنُ أحمد ابن محمد بن قدامة بن نصر بن عبد الله الجمّاعيلي المقدسي ، ثُمّ الدّمشقي الصالحي،(٦) المولودُ سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بقرية جمّاعيلَ (٧) ، وقد هاجر مع والده الشيخ أحمد بن محمد بن قدامة المتقدم ذكرُه إلى دمشق سنة احدى وخمسين وخمسمائة ، وقد عُرف عنه أنه كان زاهداً" ورعاً" عابداً" قانتاً" لله شديد الرّهبة منه ، وكان يجهد متعمّة في قضاء حوائج الناس ، فكثيراً" ما رآه أصحابه يجمع الشّيح من الجبل ويربطُه بحَبل ، فيحمله الى بيوت الأرامل واليتامى (٨) . وقد قلبَ الشيخُ أبو عمر للدنيا ظهر المِجَنّ ، فأعرض عنها وزَهد بمُتَعِها ، فكان طعامُه منها خبزَ الشّعير ، وفراشُه الحصير ، وكان ثوبُه من الخام الخَشن لا يكادُ يتجاوز أنصافَ ساقيه (٩) . وكانت له ، مع ذلك ، مهابةٌ عظيمة في نفوس الناس ، واحترامٌ خاصٌ لدى أصحاب الشأن ، فقد كان يُكثر الكتابةَ إلى أرباب الولايات مُتشفّعاً" لمن يقصده ، وقال له أحدهم في ذلك :

---

(١) الوافي بالوفيات : ج ٧ ، ص٤٨ - ٤٩ .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص٣٣٦

(٣) المصدر السابق .

(٤) دُرّة الحجال : ج ١ ، ص٢٢ * معجم المؤلفين : ج ١ ، ص٢٦٦ .

(٥) ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص٣٣٦ .

(٦) له ترجمة في : الذيل على الروضتين : ص٧١-٧٥ * مرآة الزمان : ق٢ ج ٨ ص ص٥٤٦ الى ٥٥٣ * ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ص٥٢ - ٦١ * التكملة : ج ٢ ، ص٢٠٢-٢٠٣ * سير أعلام النبلاء : ج ٢٢ ص٥ * الوافي بالوفيات ج ٢ ص٦١ * النجوم الزاهرة : ج ٦ ص٢٠١ * مرآة الجنان : ج ٤ ص٥١ * الدارس : ج ٢ ص١٠٠ * القلائد الجوهرية : ج ٢ ، ص٤٢٠ * مختصر طبقات الحنابلة : ص٤٢-٤٣ * الأعلام : ج ٦ ص٢١٤ * معجم المؤلفين : ج ٦ ، ص٣ .

(٧) ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص٥٢ .

(٨) مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ ، ص٥٤٧ .

(٩) انظر : الذيل على الروضتين : ص٧٣

"نحنُ لا نُرِدُّ لك رُقعةً أبداً" (١) . وذكر ابن الجوزي أن الملك العادلَ كان يترددُ عليه زائراً . وعند ما خرجَ السُّلطان صلاحُ الدِّين لاسترداد القدس من الصليبيين ، كان الشيخ أبو عمر من بين العلماء الذين رافقوه في حملته (٢) .

وقد عُرِفَ الشيخ أبو عمرَ بأنّه كان صاحبَ كرامات ، أورد بعضاً منها سبط ابن الجوزي ، وذكر ابن طولون (٣) مجموعة من هذه الكرامات نقلها عن الحافظ الضياء المقدسي (٤) ، الذي كان قد ألّف جزءاً ذكر فيه كرامات الشيخ أبي عُمَر (٥) أمّا حياتُه العلمية ، فقد كانت حافلةً ، إذ نُقل عنه أنه حفظ مُختصر الخِرَقي ، في الفقه ، وحفظ القرآن الكريم وقرأه بحرف أبي عمرو ، وسمع الحديث من والده ومن أبي المكارم بن هلال (٦) وأبي تميم سلمانِ بن الرَّحَبي (٧) . وقَدِمَ مصر ، فسمع بها من الشريف أبي المفاخر سعيد بن الحسين المأموني (٨) وأبي محمد

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص٥٤ .

(٢) مرآة الزمان : ج ٨ ، ق ٢ ، ص٥٤٧ .

(٣) هو محمد بن علي بن أحمد بن طولون الصّالحي الحنفي ، ولد بالصالحية سنة ٨٨٠هـ ، وتوفي فيها سنة ٩٥٣هـ ، وهو ذو شخصية قوية ، درّس علوماً وفنوناً متنوعة بلغت ثمانية وعشرين علماً ، له عشرات المصنفات منها "القلائد الجوهرية في تاريخ الصّالحية" و "أعلام السائلين عن كتب سيّد المرسلين" و "الثغر البسّام في من وُلي قضاء الشام" و "ضَرْب الحوطة على جميع الغوطة". انظر : مقدمة "القلائد الجوهرية" بقلم محمد أحمد دهمان: ص٩ وما بعدها

(٤) ضياء الدين المقدسي ابن الحافظ محمد بن عبد الواحد ، سمع الحديث الكثير وكتب كثيراً ، وله تصانيف حسنة الفوائد منها : "كتاب الأحكام" و "المختارة" في علوم الحديث ، وتوفي سنة ٦٤٣ هـ . (البداية والنهاية :ج ١٣ ، ص١٦٩)

(٥) مخطوطات الظاهرية ، مخطوط رقم ٣٨١٩ ، منسوخ سنة ٦١٩ هـ . وانظر: القلائد الجوهرية : ج ٢ ص٤٢٠ .

(٦) أبو المكارم بن هلال ، عبد الواحد بن أبي طاهر محمد بن المسلم الأزدي ، كان كثيرَ العبادة والبِرّ ، أجاز له الفقيه نصرُ المقدسي ، وتوفي سنة ٥٦٥ هـ . (شذرات الذهب : ج ٤ ، ص٢١٥) .

(٧) لم أجد له ترجمة في المصادر التي توافرت لديّ .

(٨) سعيد بن الحسين بن سعيد العباسي ، أبو المفاخر المأموني ، كان راوياً للحديث ، روى صحيح مسلم بمصر وتوفي سنة ٥٧٦ هـ . انظر : العبر : ج ٣ ، ص٧٢ .

ابـــــن بـَـرّي النَّحْوي (١) . وقد كانت له معرفة بالفرائض والنحو ، فحفـــظ " اللُّمَع " لابن جِـنّي (٢) . وخَرّجَ له الحافظُ عبد الغني المقدسي أربعين حديثـا " من رواياته وحَدّث بها (٣) وسمع عنه جماعةٌ من العلماء ، منهم : الضّيا المقدســي (٤) والمُنــذري (٥) وآخــرون . وقـــد كتـب الكثــيرَ بخطّـــه المليـــح ، فكتـب مجموعـةً مـن المصـاحـف وكتـابَ الحِلْيَـةِ لأبي نعـيم (٦)

---

(١) عبد الله بن برّي بن عبد الجبار ، أبو محمد المقدسي المصري النحوي اللغوي ، شاع ذكره واشتهر أمره ، تَصَدّر للأقراء في جامع عمرو بن العاص . ومـن تصانيفه " اللُّباب في الرّد على ابن الخَشّاب " و " الرّد على الحريري في دُرّة الغَوّاص " و " حواشٍ على الصّحاح " وكانت وفاته سنة ٥٨٢ هـ . (بُغية الوعاة ج٢ ، ص٣٤ . مِفتاح السعادة : ج١ ، ص١٨١) .

(٢) أبو الفتح عثمان بن جِنّي المَوْصِلي ، من أئمة الأدب والنحو ، ولد في المَوْصِل وقرأ الأدب على أبي علي الفارسي ، وهو يُعتَبر من أكثر الثّقات عِلْماً بالتصريف وكانت وفاته سنة ٣٩٢ هـ ببغداد . من مصنفاته : " الخصائص في اللغة " و " المُبهج في اشتقاق أسماء رجال الحماسة " و " اللُّمَع " و " المُقتضَب من كلام العرب " وغيرها (معجم الأدباء : ج ٥ ، ص٥١-٣٢) و (دائرة المعارف الاسلامية : ج (ص١٢٢ - ١٢٣) .

(٣) صلة الخلف بموروث السّلَف ، مجلة معهد المخطوطات ، المجلد السابع والعشرون ، الجزء السابع ، ص٣٨٩ .

(٤) تقدمت ترجمته ، ولتمام الفائدة انظر : نَفَثات صَدر المُكْمَد وقُرّةَ عَين المُسْعَد لِشَرح ثلاثيات مُسند الأمام أحمد للشيخ محمد السفاريني الحنبلي سنة١١١٤هـ (منشورات المكتب الاسلامي بدمشق ، ط١ ، ١٣٨٠ هـ) ج١ ، ص٢٣ .

(٥) أبو محمد زكي الدّين عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري الشامي ثم المصري،وقد كان مولده سنة ٥٨١ هـ ، وذكر أنه كان حافظاً " كبيرا " واماماً " ثبْتاً " ، ودرّس بالجامع الظّافري بالقاهرة ، وولي مشيخة الدار الكاملية ، وقيل عنه أنه كان عديم النظير في علم الحديث ، ومن مصنفاته " التكملة في وفيات النقلة " وتوفي سنة ٦٥٦ هـ . (انظر : تذكرة الحُفّاظ ج٤ ، ص١٤٣٦) .

(٦) الحافظ الكبير أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحق الاصبهاني الصّوفي ، وقيل فيه أنه لم يكن هناك أحفظُ منه في عصره ، وهو صاحب المصنفات المشهورة ومنها : "معرفة الصحابة " و " دلائل النبوة " و " المُستخرَج على البخاري " و " تاريخ اصبهان " وكتاب " الحِليَة " وهذا الأخير من أشهر كتبه ، وتوفي سنة ٤٣٠هـ (انظر : تذكرة الحُفّاظ ، ج٣ ، ص١٠٩٢) .

و " تفسير البَغَوي (١) " وكتابُ المُغني " لأخيه المُوَفَّق ، وكتاب "الابانة " لابن بَطّة (٢) . كتبها كلَّها بغير أجرة (٣) . ومن أجلّ آثار الشيخ أبي عمر، مدرستُه بالجَبل ، التي عُرفت باسم " العُمَرية " نسبة اليه ، وقد وقفها على علوم القرآن والفقه ، فحفظ القرآن فيها أناس كثيرون (٤) ، وتوفي الشيخ أبو عمر سنة سبع وستمائة ، وقد ذكر ابنُ الجوزي يوم وفاته ، فوصفه بأنه يوم مشهود لكثرة من شارك فيه من المُشَيِّعين من العامة والخاصة (٥) .

أمّا علومُ الحديث ، فيبدو أن اهتمام العلماء النابلسيين بها قد بدأ مبكراً فقد شَدّوا من أجل جَمْعِهِ وتوثيقه الرِّحال ، وطافوا أرجاء العالم الاسلامي ليأخذوه من مظانّه ، وليلتقوا بأنفسهم برُواته ، وذلك تحرياً للدقة في المَتن والاسناد. وقد ظهر من بينهم عدد من المُحَدِّثين ، كانت لهم قُدرةٌ على التمييز بين أنماط الحديث ومستوياتها ، وتَفَنَّنوا في حفظ الحديث ومعرفة غريبه ، وكذلك في معرفة أسماءِ الرِّجال من رُواة الحديث،وكُناهم ومراتِبهم وسِيَرهم ، لما لذلك كُلّه من علاقة بالجَرح والتَّعديل . وقد استفادوا من دراستِهم المتعمقة في الحديث ، القُدرةَ على استخراجِ الأحكام الشرعية من صَحيح الأحاديث ، ووَضعوا في علم الحديث وتفريعاتِه مُصَنّفاتٍ أسدَت خدمةً جليلةً للباحثين،وتَخَرّجَ بهم عشراتُ العلماء الذين تتلمذوا على أيديهم وعَملوا على نَشر ماأخذوه عنهم في شَتّى الأمصار .

أمّا أقدمُ المُحَدِّثين في منطقة نابلس ، فهو ابن النابُلسي الشَّهيد (٦)،وقد روى عنه

---

(١) البَغَوي : هو عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز المَرْزُبان ، أبوالقاسم البَغَوي ، حافظ ثقة ، كان مُحدّثَ العراق في عصره ، ولد ببغداد سنة ٢١٣ هـ ، وتوفي سنة ٣١٧ هـ . له " معجم الصحابة " و " معالم التنزيل " في التفسير ، و " الجَعديات " في الحديث . (انظر : تاريخ بغداد ، ج ١٠ ، ص ١١١ - ١١٧)

(٢) ابن بَطّة : عبدالله بن محمد بن حمدان العكبري ، محدث مشهور ، وهو صاحب كتاب " الابانة الكبرى " و " الابانة الصغرى " وغيرهما ، توفي سنة ٣٨٧ هـ . (انظر المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الامام أحمد : ج ١ ، ص٦٩)

(٣) مرآة الزمان : ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٥٤٧ .

(٤) الدارس في تاريخ المدارس : ج ٢ ، ص ١٠٠ .

(٥) مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ ص ٥٥٢ .

(٦) تجد له ترجمة في باب الفقه من هذه الدراسة .

أبو الحَسَن الدّارقُطني (١) والشيخُ نصرُ بنُ ابراهيمِ المَقدسيّ النابُلُسي (٢)، وكان قد سَمع الحديث عن جماعة، منهم عبدُ الرّحمن بنُ الطُّبَيز (٣)، وأبو الحسن بن الشَّسار (٤) ومن المُحدِّثين الأوائل كذلك، أبو عبدالله الدّيباجي النابلسي (٥)، وكان قد سمع الحديث على الشيخ نصر المقدسي ومَكّي بن عبدالسلام (٦). ومن سمعوا الحديث، أبو محمد عبدُ الحميد بنُ مرّي بنِ ماضي القَسراوي النابُلُسي (٧) وقد أقام بدار الحديث بالموصل، وسمع الحديث ببغداد، وأخذ عن أبي الفرج ابن الجوزي (٨).

---

(١) الحافظ الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن دينار، الحافظ الكبير، امامُ عصره في أسماء الرّجال والجَرح والتعديل واتساع الرواية ومن مصنفاته: كتاب "العِلَل" وكتاب "الأفراد". وكتاب "الضّعفاء" وتوفي سنة ٣٨٥هـ. (انظر: البداية والنهاية: ج١١، ص٣١٧)

(٢) تجد له ترجمة في باب الفقه من هذه الدراسة.

(٣) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد العزيز الحَلَبي السّراج، نزيل دمشق، عمّر مائة سنة، وكان آخر من روى عنه الشيخ نصر المقدسي، وثّقهُ الذّهبي، وقال: إنّ فيه تشيعا". وتوفي سنة ٤٣١ هـ. (العبر: ج٢، ص٢٦٤ ولسان الميزان: ج٤ ص٣٢٩).

(٤) مُحدّث صَدوق من أهل القرآن، كان على مذهب الامام أحمد، حدّث بدمشق وبغداد، وكانت وفاته بعد سنة ٤٥٠ هـ. (انظر: المنهج الأحمد ج١، ص٧٩).

(٥) له ترجمة في باب الفقه من هذه الدراسة.

(٦) مَكي بن عبدالسلام بن الحسين بن القاسم بن محمد، أبو القاسم الرُّملي من أهل بيت المقدس، وقد كان ثقةً مُتحرّيا" وَرعا" ضابطا"، شرَع في كتابة تاريخ بيت المقدس وفضائله، ورحل في طلب الحديث إلى مصر والشام والعراق فأكثرَ السّماع. وقُتل على يد الفرنجة سنة ٤٩٢ هـ. (انظر: طبقات الشافعية / السُّبكي: ج٤، ص٢٠، واللُّباب في تهذيب الانساب: ج٢، ص١٠٣٨)

(٧) انظر: تاريخ اربل: القسم الأول، ص٥١٣.

(٨) أبو الفَرَج ابن الجَوزي، عبدُ الرحمن بنُ علي بن محمد البكري، الامام الحافظ شيخ العراق، وقد كان عَلاّمة عصره في التاريخ والوعظ والجدل والكلام، ابتدأ التأليف وهو ابن عشر سنين، ومن مؤلفاته: "المُنتَظم في تاريخ الملوك والأمم" "صَفوة الصّفوة" و "مناقب بغداد" و (مناقب الامام أحمد) و "أخبار الحَمقى والمُغفلين" وغيرها. وتُوفي وهو ابن مائة وخمس عشرة سنة، وكانت وفاته سنة ٥٩٧ (انظر: دائرة المعارف الاسلامية، ج١ ص١٢٥، و "رحلة ابن جبير: ص١٧٦ وما بعدها، و "مفتاح السعادة": ج١ ص٢٥٤، و "غاية النهاية في طبقات القراء" ج١ ص٣٧٥).

ومن المُحَدّثين النابُلُسيين الآخرين ، جمالُ الدين أبو الفَرج عبدُ الرحمن بنُ عبد المنعم ابن نِعْمَة (١) ، وكان قد سمع بالقدس من أبي عبد الله بن البَنّاء (٢) وحدّث بنابُلُس . ومنهم أبو العباس أحمدُ بنُ أبي المكارم بنِ شُكر بنِ نعمة خطيبُ قرية مَرْدا (٣) ، وقد سمع الحديث ببغداد وبجبل قاسيون . ومن اشتغلوا بالحديث أيضاً ، الشيخُ المُحَدّث زينُ الدين أبو الصّبر أيوبُ بنُ نعمة بنِ مُحَمّد النابلسي ،(٤) وقد أخذ عن أبي محمد عبدِ الكريم بنِ عبد الصمد الحَرَسْتاني (٥) وأبي محمد الخَشوعي (٦) وأخذ عنه ابن جابر الوادي آشي (٧) بالقاهرة . ومن المحدثين الذين انتهى إليهم علوّ الاسناد ، زَينُ الدّين أحمد بنُ عبد الدائم بنِ نعمة (٨) ، المولود بفندق الشّيوخ سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وكان يُعرف بمُسند الوقت ، وقد سمع من جمهرة من العلماء ، من بينهم بركاتُ الخشوعي وابنُ طَبَرزد (٩) والحافظُ عبدُ الغني وقد حَدّث بالكثير بضعاً وخمسين سنة ، وتفرّد بالرواية عن جماعة من المُحَدّثين ، فكانت الرحلةُ إليه من جميع الأنحاء . ومِمّن سَمعَ عليه من الحُفّاظ المقدسيين ،

---

(١) انظر : ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص٢٦٦ .

(٢) أبو عبد الله الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ عبد الله بن البنا البغدادي ، الإمام الفقيه المُقرئ المُحَدّث ، وهو صاحب (المُجَرّد) في الفقه ، وله شَرحٌ على "مُختَصر الخِرَقي" توفي في الرّبع الأخير من القرن الخامس (مناقب الامام أحمد ص٥٢٣)

(٣) شذرات الذهب : ج ٥ ، ص٩٩ .

(٤) انظر ترجمته في : دُرّة الحِجال ، ج ١ ، ص٢٦١ .

(٥) العماد الحرستاني أبو الفضائل عبدُ الكريم ابنُ القاضي جمال الدين عبد الصمد بن محمد الأنصاري الدّمشقي الشافعي ، كان فقيهاً وبرع في الفتوى والمناظرة وقد ولي قضاء الشام ، وتوفي سنة ٦٦٢ هـ (انظر: شذرات الذهب : ج ٥ ص ٣٠٩

(٦) بركات بن ابراهيم بن طاهر الدمشقي الأنماطي ، وقد كان مُحَدّثاً "صَدوقاً" ، وتوفي سنة ٥٩٨ هـ (شذرات الذهب : ج ٤ ص٣٣٥ .)

(٧) ابن جابر الوادي آشي ، أبو عبد الله محمد بن جابر ، امام مُحَدّث رَحّال ، كثير النّسخ والتقييد ، وله شعر ، سكن دمشق فترة من الزمن . (انظر : أزهار الرياض في أخبار عياض : ج ٣ ص ٢٧٢ وص ٣٠٥ وما بعدها .)

(٨) انظر ترجمته في : ذيل طبقات الحنابلة ، ج ٢ ص ٢٧٨ .

(٩) عمر بن محمد بن معمر بن أحمد بن يحيى المعروف بابن طَبَرزَد من أهل دار القَزّ حدّث باربل والموصل وحَرّان وحلب ، وأقام بدمشق مُدّة ، وقيل: إنه كان مُتهاوناً بأمور الدين . (انظر : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، ج ١٨ ، ص٢١٠ ، لسان الميزان : ج ٤ ص٣٢٩ .)

الحافظ ضياءُ الدّين المَقدسي، والزّكي البِرزالي (١)، والسيفُ بنُ المجد (٢)، وعمرُ ابنُ الحاجب (٣)، وروى عنه جماعة من الأئمة الكبار، من بينهم الشيخُ محيي الدين النووي (٤)، والشيخُ شمسُ الدين بن أبي عُمَر (٥)، وابنُ دَقيق العيد (٦)،

---

(١) أبو عبدالله محمد بن يوسف بن محمد الاشبيلي، مُحَدِّثُ الشام، وقد سمع بالحجاز ومصر والشام والعراق وأصبهان وخراسان، وله معجم، وكانت وفاته سنة ٦٣٦ هـ (انظر: العبر ج٣، ص٢٢٨).

(٢) سيف الدين أبو العباس أحمد بنُ المجد عيسى بن الشيخ مُوَفّق الدين بن قدامة، وكان ثقة حافظا "مليح الخَطّ، وله كتاب في الرّد على ابن طاهر المقدسي لأباحته السَّماع، غير أنه لم يُعَمِّر طويلا"، وكانت وفاته سنة ٦٤٣ هـ (انظر: تذكرة الحفاظ ج٤، ص١٤٤٦).

(٣) عز الدين أبو الفتح عمر بن محمد بن منصور الأميني الدِّمشقي، سمع بدمشق ورحل إلى بغداد، وقد خَرّج لنفسه مُعجما "حافلا" في بضعة وتسعين جزءا". وكانت وفاته سنة ٦٣٠ هـ، (انظر: العبر، ج٣ ص٢٠٧).

(٤) محيي الدين أبو زكريا يحيي بنُ شرف بن مُرّي الحزامي الحوراني الشافعي فقيه محدث زاهد، ذكر أنه سمع الكتب الستةَ ومُسْنَد الامام أحمد وموطأ مالك وغيرها، وقرأ اللغةَ والنحو على ابن مالك وغيره، وولي مشيخة دار الحديث بدمشق، ومن مصنفاته "شرحُ صحيح مسلم" و"رياضَ الصّالحين" و"الأذكار" و"الأرشاد" في علوم الحديث، وغيرها. وكانت وفاته سنة ٦٧٦هـ.
(انظر: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٤٧٠)

(٥) عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامه، وكانت ولادته سنة سبع وتسعين وخمسمائة بقاسيون، وقد ولي القضاءَ أكثر من اثنتي عشرة سنة ولم يأخذ عليه أجرا"، ثم تَرَكه. (انظر ترجمته في فوات الوفيات: ج٢، ص٢٩١).

(٦) محمد أبو الفتح بن أبي الحسن علي بن أبي العَطاء وهب بن أبي السَّمع مُطيع القُشيري المَنفلوطي القوصي المالكي الشافعي، وقد تفرّد بمعرفة العلوم في زمانه، وكانت له يَدٌ طولى في علم الحديث وعلم الأصول والعربية وسائر الفنون. ومن مؤلفاته "شرحُ العُمْدة" في الأحكام، وكتاب "الأمام في أحاديث الأحكام"، وكتاب "الاقتراح في بيان الاصطلاح" وغير ذلك. (انظر: الديباج المذهب ج٢، ص٣١٨ والبدر الطالع ج٢ ص٢٢٩).

وتقي الدين بن تيمية (١) وغيرهم ، وكانت وفاته سنة ثمانٍ وستين وستمائة . وممن تفنن في معرفة الغريب ، وكانت لديه قدرة في معرفة أسماء الرواة وكناهم ، الحافظ المعروف بالزين خالد . أما أعلى المحدثين النابلسيين كعبا وأبعدهم صيتا ، فهو الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور ابن رافع بن حسن بن جعفر الجماعيلي ، المقدسي (٢) ، ويكنى بأبي محمد ، ويلقب بتقي الدين (٣) .

ولد الحافظ تقي الدين بجماعيل ، وهي قرية من أعمال نابلس ، في شهر ربيع الآخر سنة احدى وأربعين وخمسمائة (٤)، وفر مع من فر من أهل بلدته هربا من كيد الفرنجة إلى دمشق (٥) . ثم رحل سنة ست وستين وخمسمائة (٦)، وكان قبل قدومه إلى مصر قد ذهب إلى بغداد هو وابن خالته الموفق (الشيخ عبد الله بن أحمد بن قدامة) ، وذلك سنة ستين وستمائة ، ونزلا في مدرسة

---

(١) شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام تقيّ الدين أبو العباس بن تيميّة ، وقد ولد بحران سنة ٦٦١هـ . قرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ ، وبرع في العلوم والتفسير وأفتى ودرّس وهو دون العشرين ، وقد خالف الأئمة الأربعة في عدة مسائل واحتج لذلك بالكتاب والسّنة وقد امتحن وسجن لكنّ ذلك لم يثنه عمّا رآه حقا . مصنفاته كثيرة ومن أهمها كتابه في الفتاوى في بضعة وثلاثين جزءا وكانت وفاته سنة ٧٢٨ هـ . (انظر : البدر الطالع ، ج١ ، ص٦٣ وما بعدها)

(٢) له ترجمة في : الذيل على الروضتين : ص٤٦-٤٧ * مرآة الزمان : ج٨ ، ق٢ ، ص٥١٦ - ٥٢٢ * التكملة : ج٢ ، ص١٧-١٨ * الذيل على طبقات الحنابلة ج٢ ، ص٥-٣٤ * العبر : ج٤ ، ص٣١٣ * المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ج١٨ ، ص٢٦٨ - ٢٦٩ * الفلاكة والمفلوكون : ٩١ - ٩٣ * القلائد الجوهرية : ج٢ ، ص٣١٦ - ٣٢٢ * تذكرة الحفاظ : ج٤ ، ص١٣٧٢ - ١٣٨١ * شذرات الذهب : ج٤ ، ص٣٤٥ * مرآة الجنان : ج٣ ، ص٤٤٩ - ٤٥٠ * النجوم الزاهرة : ج٦ ، ص١٨٥ * سير أعلام النبلاء : ج٢١ ص٤٤٣ - ٤٧١ * ذيل تاريخ مدينة السلام / ابن الدّبيثي : ج٢ ، ص٦١ .

(٣) الذّيل على طبقات الحنابلة : ج٢ ، ص٥ .

(٤) سير أعلام النبلاء : ج٢١ ، ص٤٤٣ .

(٥) شذرات الذهب : ج٤ ، ص٣٤٥ .

(٦) الذّيل على طبقات الحنابلة : ج٢ ، ص٥ .

الشيخ عبدالقادر (١) ، وما كان يُمكّنُ أحداً من النُّزول فيها ، لكن لمّا رآهما تَفَرّسَ فيهما الخيرَ والصّلاح، فأكرمَهما وسَمِعا عليه (٢) . وقد سافر الشيخُ عبدُ الغني كذلك الى أصبهان،فسَمِع بها وبهمدان ، وسَمِع بالمَوْصل أيضاً. (٣)

كان مَيلُ الحافظِ عبدِ الغني إلى الحديث ، فسمع منه الكثير ، وحفظ منه مالا يُعرَف عَدَدُه مَتْناً واسناداً ، حتى سَمّاه بعضُ معاصريه أميرَ المؤمنين في الحديث (٤) ، ووَصَفه ابنُ رجب بأنه حافظُ الوقت ومُحدِّثه (٥) ، ورأى الذّهبي بأنه انتهى إليه حفظُ الحديث مَتناً واسناداً ومعرفةً بفنونه (٦) . قال الحافظ الضياء : " سمعت أبا طاهر بنَ اسماعيلَ بن ظَفَر النابُلُسي يقول : جاء رجلٌ إلى الحافظ ـ يعني عبدَ الغني، فقال : رَجُلٌ حَلَفَ بالطّلاق أنك تحفظ مائة ألف حديث ، فقال : " لو قال أكثر لصدق ." وقال : " وشاهدت الحافظ عبد الغني غير مَرّة بجامع دمشق يسأله بعض الحاضرين وهو على المِنبر : اقرأ لنا أحاديثَ من غير أجزاء ، فيقرأ الأحاديث بأسانيدها عن ظَهر قلبه (٧)". وروى الضياء عن التاج الكِنْدي (٨) قوله: لم يكن بَعدَ الدّار قُطني مثلُ الحافظِ عبدِ الغني " (٩) .

---

(١) الشيخ عبدالقادر الجيلاني البغدادي ، من علماء الحنابلة ، وقد كان زاهداً عارفاً صاحبَ أحوال وكرامات ومن مصنفاته : "الغنية لطالبي طريق الحق" وكتاب "فتوح الغيب" ، وعُرِفَ بتمسّكه بالسُّنّة ومُبالغتهِ بالرّدّ على من خالفَها ، وكانت وفاته سنة احدى وستين وخمسمائة . (انظر : مختصر طبقات الحنابلة / ابن الشطي ، ص ٣٤) .

(٢) الذّيل على الروضتين : ص ٤٦ .

(٣) الذّيل على طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٦ .

(٤) تذكرة الحفاظ : ج ٤ ، ص ١٣٧٢ .

(٥) الذّيل على طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٥ .

(٦) العِبَر : ج ٤ ، ص ٣١٣ .

(٧) الذّيل على طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٦ .

(٨) تاجُ الدّين الكِندي ، أبو اليُمن زَيدُ بنُ الحَسن بن زَيد بن الحسن البغدادي المقرئ والنحوي اللّغوي ، وقد كان شيخ الحنفية والقرّاء بالشام ، وله شعر رائق ، وتوفي سنة ٦١٣ هـ . (انظر : انباه الرواة : ج ٢ ، ص ١٠ ، وخريدة القَصر وجَريدة العَصر / الشعراء الأمراء من بني أيوب ـ قسم شعراء الشام ، ص ١٢٦)

(٩) الذّيل على طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٦ .

سمع الحافظُ عبدُ الغني في الاسكندرية من الحافظ السِّلَفي (١) ، حتى قيل لعلّه كتبَ عنه ألفَ جُزء (٢) ، وسَمِعَ بمصر من أبي محمد بن بَرّي (٣) النّحوي وجماعة (٤) ، وسمع ببغداد من الحافظ أبي العلاء (٥) وغيره ، وسمع بأصبهان من أبي موسى المَديني (٦) وأبي سَعيد الصّائغ (٧) وطبقتهما ، وسمع بالموصل من خطيبها أبي الفَضل الطّوسي (٨) . وسمع ببغداد عبدَ الله بنَ النّقور (٩) ويحيى ابنَ ثابت بن بُندار (١٠) وغيرهما ، وفي دمشق سمعَ على أبي المكارم

---

(١) أحمد بن محمد بن أحمد ، أبو طاهر السِّلَفي ، من أهل أصبهان ، وقد كان مُحدِّثاً "مُكثراً" ، وفقيهاً "معروفاً" ، ولقد طاف العالم الاسلامي ، وحدّث في كثير من حواضره ، وتوفي سنة ٥٧٦ هـ . (انظر : المُستفاد من ذيل تاريخ بغداد : م١٨ ، ص٦٨ . وأزهار الرياض : ج٣ ، ص١٦٧ ، وكتاب "الحافظ أبو طاهر السِّلَفي" للدكتور حسن عبد الحميد صالح .)

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة : ج٢ ، ص٦ .

(٣) عبد الله بن بَرّي بن عبد الجبار ، أبو محمد المقدسي المصري النحوي ، ولقد شاع ذكره واشتهر أمره ، وكان مع علمه وغزارة فهمه ذا غفلة . وله مصنفات منها "اللُّباب في الرّد على ابن الخشّاب" و "الردّ على الحريري في دُرّة الغَوّاص" و "حواشٍ على الصحاح" . وتوفي سنة ٥٨٢ هـ (انظر : بغية الوعاة ج٢ ، ص٣٤)

(٤) انظر : الذيل على طبقات الحنابلة : ج٢ ، ص٦ .

(٥) الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن سَهل العطّار ، شيخ همدان وقد كان حافظاً "مُتقناً" ومقرئاً "فاضلاً" واماماً "في النّحو واللغة . وتوفي سنة ٥٦٩ هـ (انظر : تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص١٣٢٤) .

(٦) محمد بن عمر بن أحمد المَديني ، من مدينة أصبهان . وقد كان أحد الأئمة الحُفّاظ المشهورين ، ومن مصنفاته "اللّطائف في المعارف" . وكانت وفاته سنة ٥٨١هـ (انظر : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، ج١٨ ص٣٠) .

(٧) محمد بن عبد الواحد الأصبهاني المُحدّث ، وقد توفي سنة ٥٨١ هـ (انظر : شذرات الذهب ، ج٤ ، ص٢٧٢) .

(٨) عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر بن هشام الطّوسي ، أبو الفضل ، ولد في بغداد ونشأ بها ، وقرأ الفقه والفرائض والحساب والأدب ، وله شعر ، وتوفي سنة ٥٧٨ هـ . (انظر : المُستفاد ، م١٨ ، ص٣٨) .

(٩) أبو بكر ابن النقور ، عبد الله بنُ محمد بن أبي الحُسين أحمد بن محمد البغدادي وكان مُحدِّثاً "ثِقة" ، وتوفي سنة ٥٦٥ هـ . (انظر : شذرات الذهب ج٤ ، ص٢١٥ .)

(١٠) يحيى بن ثابت بن بندار ، أبو القَسم البغدادي البَقّال ، وكان مُحدِّثاً ، وتوفي سنة ٥٦٦ هـ . (انظر : شذرات الذهب ، ج٤ ص٢١٨)

عبدِ الواحد بنِ المُسلَّم بنِ هِلال (١) وغيرِه .
كان أبو محمد جَريئاً في الحقّ ، لا تأخذه في الله لومةُ لائم ، ولعلّ هذا كان سَببَ مِحنَته التي امتُحِن بها ، إذ كان لمّا دخل أصبهان قد وَقفَ على كتاب أبي نُعيم الحافظ في معرفة الصّحابة ، فأخذ عليه في مائة وتسعين موضعاً ، فطلبه بنو الخُجَنْدي ليقتلوه ، فاختفى وخرجَ من أصبهان في إزار (٢) . ولمّا دخل المَوصل ، قرأ كتابَ الجَرح والتعديل للعُقَيلي ، وفيه جَرح أبي حَنيفة ، فثار عليه الحنفيّة وحبسوه ، ولولا أن البُرهانَ البُرْني (٣) الواعظُ خَلَّصه لقَتلوه ، فإنّه قطَّع الكُرّاسة التي فيها ذكرُ أبي حنيفة ، ففتّشوا على اسم أبي حَنيفة فلم يجدوه فأطلقوه ، فخرجَ منها خائفاً يَترقّب . (٤) فلمّا قَدم دمشق ، كان يقرأ الحديث بعد صلاة الجمعة بحَلْقة الحَنابلة ويجتمع الناس إليه ، فحَصَل له قَبول ، فحَسَده الدّماشقة ، ودَخلوا إليه بطريق النّاصح ابن الحَنبلي (٥) ، فحَسّنوا إليه أن يَعِظ بعدَ الصّلاة تحت قُبّة النّسْر ، ففعل ، فشَوّش على عبد الغني ، فصار يَقعد بعد العَصر ، وذَكَر عقيدته ، مما أثار حاسديه الذين استعانوا بالوالي (٦) مدّعين بأنّ الحافظ عبد الغني قد أضَلّ الناسَ ويقول بالتّشبيه . فعَقدوا له مجلساً ، وأحضروه فناظَرهم ، فأخذوا عليه مآخذَ استعَدوا بها الوالي على الشيخ ، فأمرَ الوالي الأمراءَ ، فنزلوا إلى جامع دمشق ، فكَسّروا مِنبرَ عبد الغني وما كان في حَلْقة الحنابلة من الدرابزينات ، ومنعوهم من الصلاة.(٧)
وخرج الحافظ إلى بعلبك ، ثم تَوجَّه إلى نابلس وأقام فيها مُدّة (٨) .
وانتقلَ بعد ذلك إلى مصر ، حيث نَعِمَ فترة قصيرة بحماية الملك الأفضل الذي

---

(١) تقدمت ترجمته .
(٢) الذيل على الروضتين : ص ٤٧
(٣) ابراهيم بن المُظفّر بن ابراهيم البُرْني الحَرْبي المَوصلي الواعظ المحدث ولَقَبُه برهانُ الدّين ، ومولده سنة ٥٤٣ هـ ، وقد ولي مشيخة دار الحديث بالموصل ، وحدّث بها ووعظ ، قال فيه ابن الحنبلي : لم يكن بالموصل أعرف بالحديث والوعظ منه . (انظر : التاج المُكَلّل من جَواهر مآثِر الطّراز الآخر والأوّل / السيد أبو الطّيّب صِدّيق بن حسن القَنوجي ١٣٠٧هـ ، المطبعة الهندية العربية ، ١٩٦٣ / ص ٢٣١)
(٤) الذّيل على الروضتين : ص ٤٧ .
(٥) تقدمت ترجمته .
(٦) المقصود هنا هو والي قلعة دمشق صارمُ الدّين بُرغش .
(٧) انظر : مرآة الزمان : ج ٢ ق ٨ ص ٥١٠ .
(٨) تذكرة الحفاظ : ج ٤ ص ١٣٧٢ . وذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ص ٢١

كان قد أخذ مصر ، فصادفَ الحافظَ وأكرمَه وأوصى به . ثم جاء العادلُ وأخذ مصر فـأكرم عبد الغـني على الرّغم من أن الكائدين قد أكثروا عنده على الشيخ . فلما كثُرَ القولُ فيه بعد ذلك ، عَزم العادلُ على إخراجه ، لولا تدخلُ بعضِ رجاله ممّن عرفوا قَدْرَ الشيخ (١) . قال الحافظُ الضياء : " بلغني أنّ الحافظ - عبدَ الغني أُمِرَ أن يكتبَ اعتقادَه ، فكتب : أقول كذا لقول الله كذا ، وأقول كذا لقول النبي صلى الله عليه وسلم ، كذا ، حتى فرَغ من المسائل ، فلمّا وقف عليها العادلُ قال العادلُ للجماعة أيش أقول في هذا ؟ يقول بقول الله ورسوله، فَخَلّى عنه ". (٢) إلا أنّ أبا شامة ذكر أنّ الصّفيَّ بنَ شُكر ، وزيرَ العادل ، كتب الى والي مصر بنفيه إلى المغرب ، غير أنّ الحافظ مات قبل وصول الكتاب (٣) .

كان الحافظُ عبدُ الغني زاهداً عابداً ورِعاً ، ذكر فيه سِبْطُ ابنُ الجوزي أنه كان يصلي كلَّ يومٍ وليلةٍ ثلاثمائة ركعة ، ويقومُ الليل ، وعامةَ دهرِهِ صائم ، وما ادّخر شيئاً قطّ ، فقد كان جواداً سَمْحاً إذا مَنّ الله عليه بشيء ، حَمله في الليل إلى أبواب الأرامل واليتامى فألقاه إليهم ، ومضى لئلا يعرفوه . وكان يُرَقّعُ ثوبَه بيده وقد ضَعُفَ بصَرُه في آخر عمره ، وذلك لكثرة المطالعة والبكاء. (٥) وذكر الضياء أنّ الله قد وضع له المهابةَ في نفوس الخَلق . ومِن ذلك ما رواه الحافظ ابنُ رجب من أنه كَسّر أدواتِ اللّهو التي كانت مُقامةً عند دَرج جيرون ، ولمّا أرسل الأفضلُ ابن صلاح الدين في طلبه ، رفض الحضور قائلاً : ذاك عندي حرام ، وأنا لا أمشي إليه ، إن كان له حاجة فليجيء هو . وعندما عاوَدَهُ رسولُ السُّلطان مُلِحّاً بالحضور قال له : امضِ ضَرب اللّهُ رَقبَتك ورقبةَ السُّلطان . فخاف الناسُ أن تجري فتنة ، غير أنه لم يَحضر أحدٌ في طلب الشيخ بعد ذلك (٦) . وذكر عن الشيخ أنه كان صاحب فراسة وكرامات ، أورَدَها الحافظُ الضياء ، ونَقَلتْها عنه مصادرُ عديدة .

---

(١) تذكرة الحفاظ : ج ٤ ص١٣٧٣ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الذيل على الروضتين : ص٤٧ .

(٤) شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزغلي ، المعروف بسبط ابنِ الجوزي ، وقد كان واعظاً ومؤرخاً ومدرساً للحنفية ، وروى عن جدّه وطائفة ، وألّف كتاب " مرآة الزّمان " . ويرى الذهبي أنه تَرفّض ، وكان يأتي بمناكير الحكايات . وقد كانت وفاته سنة ٦٥٤هـ . (انظر : ميزان الاعتدال ، ج ٤ ص٤٧١ ومفتاح السعادة : ج١ ص٢٥٥ .)

(٥) مرآة الزمان : ج٨ ، ق ٢ ، ص٥٢٠ .

(٦) ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص١٣ .

فلمّا مات رثاه غيرُ واحدٍ من الشُّعراء ، من بينهم الأمامُ أبو عبد الله محمدُ بنُ سعدٍ المقدسي (١) الأديب ، وقد رثاه بقصيدة طويلة ، منها :

هذا الذي كنتُ يومَ البَيْنِ أَحتَسِبُ ... فلتَقْضِ عنكَ دُموعي بعضَ ما يَجِبُ (٢)
يا سائرين إلى مصر بِرَبِّكُم ... رفقاً عَلَيَّ ، فإنَّ الأجرَ مُكتَسَب
قولوا لساكِنها : حُيِّيتَ من سَكَنٍ ... يا مُنيَةَ النَّفس ، ماذا الصَّدُّ والغَضَب
يا خيرَ من قال بَعد الصَّحب "حَدَّثَنا" ... ومن إليه التُّقى والدينُ يُنتَسَب
لَولاكَ مادَ عَمودُ الدِّين وانهَدَمَت ... قواعدُ الحَقِّ ، واغتالَ الهُدى عَطَبُ
فاليومَ بعدَكَ جَهْرُ الغَيِّ مُضْطَرِمٌ ... بادي الشَّرارِ ، ورُكنُ الرُّشدِ مُضطَرِب
فليَبْكِيَنَّكَ رسولُ الله ما هَتَفَت ... وُرقُ الحَمام ، وتَبكي العُجم والعَرَبُ (٣)

ترك الشَّيخ عبدُ الغني كثيراً من المؤلفات ، يناهزُ عددُها الأربعين ، وقد تعددت موضوعاتُ هذه المؤلفات وتنوَّعت ، فمنها ما كان في الحديث ، ومنها ما كان في الفقه أو العقيدة أو السِّيَر ، إلى غير ذلك من الموضوعات . وفيما يلي قائمة بأسماء أهم تلك المؤلفات :

١ . كتاب " المصباح في عيون الأحاديث الصِّحاح " في ثمانية وأربعين جزءاً . تشتمل على أحاديث الصحيحين (٤)

---

(١) أبو عبد الله محمدُ بنُ عمر ابن أبي بكر بن عبد الله بن سَعد المَقدسيّ ، أخذ الحديث عن مشايخ العراق ونيسابور ، وسكن المَوْصل فتولّى مشيخة دارِ الحديث بها ، وألّف كتاباً سمّاه " المَجْدُ المُظَفّري " (انظر ترجمته في : تاريخ اربل / القسم الأول ، ص ١٦٨ .)

(٢) الشطر الثاني ورد في " الذيل " على النحو التالي : " فليقض دمعي عنك بعض ما يجب " . انظر : ج ٢ ، ص ٢٧ .

(٣) انظر : ذيل طبقات الحنابلة ، ج ٢ ، ص ٢٧ .

(٤) انظر : الذيل على طبقات الحنابلة ج ٢ ، ص ١٨ ، ومعجم المؤلفين : ج ٥ ، ص ٢٧٥ . ولم أعثر له على ذكر في فهارس المخطوطات المتاحة .

٢ . كتاب " العُمدة في الأحكام " مما اتّفق عليه البُخاري ومُسلم ، ويقع في جزأين . وقد طُبع عدة طبعات (١) .

٣ . كتاب " سيرة النّبيّ ، صَلّى اللّهُ عليه وسَلّم " في جزء واحد ، وما يزال مخطوطا " (٢) .

٤ . كتاب " النصيحة في الأدعية الصّحيحة " ويقع في جزء واحد ، وقد طُبع غيرَ مَرَّة (٣) .

٥ . كتاب بعنوان " من مناقب الصّحابيات " ، مايزال مخطوطا " (٤) .

٦ . كتاب " حديث الأفك " وهو مطبوع (٥) .

٧ . كتاب " الكُنى " (٦) ، وهو تلخيص لكتاب الحاكم أبي عبد الله محمد الضّبّي النّيسابوري المعروف بابن البَيّع . وما يزال مخطوطا " .

٨ . جزء فيه مسألة في صَلاة النّبي ، صلى الله عليه وسَلّم ، بالانبياء ، عليهم

---

(١) ذكره صاحب كشف الظّنون ، ص ١١٦٤ ، وذكر شُروحه وما كُتِبَ عليه من ذُيول وقد طُبعَ الكتابُ عدة مرّات ، فقد طُبع في الطّائف سنة ١٣٨٠ هـ ، وصدر عن مكتبة المعارف فيها . وطُبع في القاهرة بتحقيق الشيخ أحمدَ محمد شاكر وصدر عن دار المعارف سنة ١٩٥٣ . وطُبع في بيروت ، وصدر عن دار الكتب العلمية سنة ١٩٨٦ ، بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا . وطُبع في القاهرة وصدر عن دار مصر للطباعة . وطُبع في دمشق ، وصدر عن دار المأمون للتراث ، سنة ١٩٨٥ بتحقيق محمود الأرناؤوط .

(٢) ذكره ابن رجب في " الذيل" ج ٢ ، ص١٨ ، وسماه الروداني : " نُزهة السامعين من أخبار سَيّد المُرسلين " ، انظر مجلة معهد المخطوطات ، المجلد ٢٩ ، ج٢ ص٥٢١ . وضمن مخطوطات المكتبة الخالدية في القدس ، مخطوط بعنوان "الدرة المضيّة في السيرة النبوية " للحافظ عبد الغني ، والنسخة مكتوبة في القرن السابع ومنها نسخة أخرى بباريس ، رقمها ١٩٦٦ . (انظر : المخطوطات العربية في فلسطين ، صلاح الدين المنجد ، ص٤٤ ، ومعجم المؤلفين : ج ٥ ، ص٢٧٥) . وفي مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية شريط يحمل الرقم ٢٨٤ ، علية جزء من سيرة النبي ، للشيخ عبد الغني .

(٣) طبع الكتاب مرتين : الأولى في مصر ، سنة ١٩٧٨ ، بتحقيق عبد الله نجيب ، والأخرى في بيروت ، سنة ١٩٨١ بتحقيق عبد القادر الأرنؤوط ورفيقه .

(٤) موجود في دار الكتب الظاهرية ، بدمشق ، تحت رقم ٣٧٥٤ ، وهو بخط المؤلّف . (انظر : فهرس المخطوطات المكتبة الظاهرية / قسم التاريخ ، ص ٦٩٣) .

(٥) وقد طبع في الرياض عام ١٩٨٥ بتحقيق هشام السقا .

(٦) فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية / التاريخ وملحقاته ، ج ٢ ، ص٦٧٨ .

السّـلام ، ليلـة الاسـراء (١) .

٩ . كتـاب " الكمـال في معرفة الرِّجـال (٢) " ويشتمل على رجال الصَّحيحين وأبـي داود والتِّرمذي والنّسائي وابن ماجة ، في عشرة أجزاء ، وفيـه اسنـاد ذكـر محنته . وما يزال الكتاب مخطـوطا " .

١٠ . كتـاب " أحاديث الشعـر " (٣) وهو أخبار وأحاديث عن موقف الرسـول صلّـى الله عليه وسلم من الشعر بوجهيه : المؤيِّد للإسلام والمُعـارض لـه . وما يزال مخطوطا " .

١١ . كتـاب " دُرَر الأثـر " وقد رتبه على حروف المعجـم ويقـع فـي تسعـة أجـزاء .

---

(١) فهـرس مخطوطات المكتبة الظاهـرية / التاريخ وملحقاته ، ج ٢ ، ص ٦٨٥ .

(٢) المخطوط موجود في دار الكتب المصرية ، تحت رقم ٥٥ ، نسخة يوسف بـن محمد بن عثمان ، وذلك سنة ٦٩٤ هـ ، وهو موقوفٌ من الأمير صَرغَتمُش علـى المدرسة الحنفيّة الّتي أنشأها بجوار جامع ابن طولون . وهناك نسخـة أخـرى ، لم يبق منها الّا أجزاء من المجلدين الأول والرابع ، موجودة فـي مخطوطات دار الكتـب الظاهرية . بـدمشق ، تحت رقم ١١٥٧ للمجلـد الأول ، و ١١٥٨ للمجلد الثاني ، وقد أُتيحَ لي الاطّلاعُ على نسخة الظاهرية .
(وقد ذكر الكتاب صاحب كشف الظنون ، ص١٥٠٩ ، وصاحب معجم المؤلفين ص ٢٧٥ من الجـزء الخـامس) .

(٣) المخطوط موجود بدار الكتب الظاهرية ، تحت رقم ٣٧٦٧ ، مجاميع ٣٠ ، وقد كتـب الناسخ على صفحته الأولى أن الكتاب موقوفٌ على جميع المسلمين بالمدرسة الضّيائية بقاسيون . وقد تمكّنتُ من الاطّلاع عليه . وقد وقفتُ على نُسخـةٍ مُطبوعةٍ للكتاب ، من مطبوعات جمعيّة الحقوق الإسلامية ، تحقيق محمد جميـل سلطان (١٩٥٠) .

(٣) انظر : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج٢ ، ص١٨ ، ومعجم المؤلفـين ج ٥ ، ص ٢٧٥ . ولم أجد له ذكرا " في أيّ فهرس من فهارس المخطوطـات التي أمكنَـني الاطـلاعُ عليهـا .

يُضاف إلى المُؤلَّفات السابقةِ أكثرُ من ثلاثين مُصَنَّفاً "(١)، لم أجِدْ لها ذكراً" في فهارس المخطوطات التي تمكّنتُ من الاطّلاع عليها .

---

(١) ذُكرتِ المصادرُ القديمةُ أسماءَ تلكَ المُصنّفات ، وفيما يلي بيانٌ بعناوينها :

١ - كتاب " نهاية المراد من كلام خير العباد " في السنن ، ويقع في نحو مائتي جزء . (انظر : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ٢ ، ص١٨)

٢ - كتاب " اليواقيت الفاخرة " في الأحاديث ، ويقع في مجلد واحد . (انظر الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ٢ ، ص١٨ ، وكشف الظنون : ٢٠٥٣ . وانظر : معجم المؤلفين : ج ٥ ، ص ٢٧٥)

٣ - كتاب " الآثار المَرْضيّة في فضائل خير البَرِيّة " وهو في أربعة أجزاء (انظر : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ٢ ، ص١٨)

٤ - كتاب " الروضة " في السُّنَن ، ويقع في أربعة أجزاء . (الذيل على طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص١٨)

٥ - كتاب " الذِّكر " في جزأين . (المصدر السابق)

٦ - كتاب " الأسرار " في جزأين (المصدر نفسه)

٧ - كتاب " التهجد " في جزأين . (المصدر السابق . وقد ذكره الروداني في (صلة الخلف بموروث السلف) ، انظر : مجلة معهد المخطوطات ، العدد الأول ، المجلد الثامن والعشرون ، ص ٢٠)

٨ - كتاب " الفَرَج " ، ويقع في جزأين . (انظر : الذّيل على طبقات الحنابلة ، ج ٢ ، ص١٨) .

٩ - كتاب " الصِّلات مِنَ الأحياء إلى الأموات " ويقع في جزأين : (المصدر السابق ، وانظر : معجم المؤلفين : ج ٥ ، ص٢٧٥) .

١٠ - كتاب " الصِّفات " في جزأين . (انظر : الذيل على طبقات الحنابلة ج٢ ص١٨)

١١ - كتاب " مِحنة الإمام أحمد " في ثلاثة أجزاء . (انظر : المصدر السابق وذكره صاحبُ "صِلة الخَلَف" ، انظر : مجلة معهد المخطوطات ، العدد الثاني ، المجلد ٢٩ ، ص ٥٠٤)

١٢ - كتاب " ذَمّ الرِّياء " ويقع في جزء كبير . (الذّيل على طَبَقات الحَنابلة : ج ٢ ، ص ١٩)

١٣ - كتاب " ذَمّ الغِيبَة " في جزء ضخم . (المصدر السّابق) .

١٤ - كتاب " التّرغيب في الدّعاء " جزء واحد . (المصدر السابق ، وانظر : مجلة معهد المخطوطات، المجلد الثامن والعشرون، العدد الأول ص٢٠)

١٥ .كتاب " فضائل مكّة " ويقع في أربعة أجزاء . (انظر : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ٢ ص١٩) .

١٦ .كتاب " الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنْكَر " جزء واحد (المصدر السّابق وانظر : مجلة معهد المخطوطات ، المجلد السابع والعشرون العدد الثاني ، ص٤٢٨) .

١٧ . كتاب " فضائل رمضان " جزء واحد . (الذيل على الطبقات ، ج ٢ ،ص١٩)

١٨ . كتاب " فضائل عَشْر ذي الحِجّة " جزء واحد (المصدر السابق)

١٩ . كتاب " فضائل الصدقة " جزء واحد . (المصدر نفسه)

٢٠ . كتاب " فضائل الحَجّ " جزء واحد . (المصدر نفسه)

٢١ . كتاب " فضائل رَجَب " جزء واحد (المصدر نفسه)

٢٢ . "وفاة النبي ، صلى الله عليه وسلم " جزء واحد . (ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ، ص١٩)

٢٣ . كتاب " الأربعينَ من كَلام رَبّ العالَمين " . (المصدر السابق)

٢٤ . كتاب " الأربعين " في الحديث . (المصدر نفسه)

٢٥ . جزء في الأقسام التي أقسَمَ بها النبيُّ صلى الله عليه وسَلَّم (المصدر نفسه)

٢٦ . كتاب " اعتقاد الأمام الشّافعي " ويقع في جزء كبير . (المصدر نفسه)

٢٧ ." كتاب الحكايات " ويقع في سبعة أجزاء (المصدر نفسه)

٢٨ . كتاب " غنية الحُفّاظ في تحقيق مُشكِل الألفاظ " (المصدر نفسه ، وانظر معجم المؤلفين ، ج ٥ ص : ٢٧٥) .

٢٩ . كتاب " الجّامع الصّغير لأحكام البَشير النّذير " غير أنه لم يُتِمَّه . (الذّيل على طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ١٩)

٣٠ . جُزء في ذِكر القُبور . (المصدر السابق)

٣١ . جُزء في مناقب عمر بن عبد العزيز . (المصدر نفسه)

٣٢ . كتاب " الأحكام على أبواب الفِقه " ستة أجزاء . (المصدر نفسه)

٣٣ . كتاب " الاقتصاد في الاعتقاد " في جزء كبير . (انظر : الذّيل على طبقات الحنابلة ، ج ٢ ، ص ١٩ ، وانظر : مجلة معهد المخطوطات ، المجلد السابع والعشرون ، الجزء الثاني ، ص ٤٣٣) .

٣٤ . كتاب " تبيين الأصابة لأوهام حَصَلت في معرفة الصّحابة " في جزء كبير . (انظر : الذّيل على طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص١٩)

٣٥ . كتاب " أشراطِ الساعة " . (انظر : مجلة معهد المخطوطات :م ٢٧ ، ج ٢ ، ص ٤٣٢)

٣٦ . كتاب " الأنساب " (المصدر السابق) .

٣٧ . كتاب " أخبار الصلاة " . (المصدر السابق ، ص ٤٢٤)

ب: في الفقه والقضاء :

يبدو للباحث أنّ اهتمامات علماء المنطقة بالدراسات الفقهية قد بدأت مبكّرة بالقياس إلى اهتماماتهم بالعلوم الأخرى ، وإن كان ما وصلنا من اهتمام العلماء النابلسيين بهذا الفرع من فروع المعرفة ، لا يتعدّى مطلع القرن الرابع الهجري ، فقد ظهر في هذا القرن من علماء الفقه النابلسيين ، ابنُ النابلسي الشهيد ، وبرز في القرن الذي يليه - أيْ القرن الخامس الهجري - فقيهان كبيران ، هما الشيخ نصرُ المقدسيّ ، والشيخُ أبو عبد الله الدّيباجي . فلما كان القرنُ السادسُ ، بدأت اهتمامات علماء المنطقة بالدراسة الفقهية تقوى وتشتدّ ، فظهرت طبقةٌ من الفقهاء النابلسيين أدّوا خدمات جليلة في هذا المجال . وقد استمرّ ذلك الاهتمامُ طوالَ القرن السّابع للهجرة ، كذلك .

ولعلّ أبرز ما يلاحَظ على الدراسات الفقهية لدى علماء المنطقة ، أنّ المذهبَ الشافعي كان المذهب الشّائع في القرنين الرّابع والخامس الهجريّين ، في حين أصبح المذهبُ الحنبليّ المذهبَ الشّائعَ في المنطقة في القرنين السّادس والسابع الهجريين . فجُلّ العلماء الّذين ظهروا في هذين القرنين الأخيرين هم من الحنابلة ، وهم الذين عملوا على نشر هذا المذهب في بلاد الشّام ، وعلى أيديهم تتلمذَ عددٌ من أعيان المذهب ، من بينهم ابنُ الجوزي ، صاحبُ " الأحكام السّلطانية " والحافظُ ابنُ رجب ، صاحبُ " طبقات الحنابلة " وتقيُّ الدين بن تيميّة و، وابنُ مُفلح ، صاحبُ " الفروع " ، وغيرُهم من أئمّة الحنابلة .

أمّا أقدمُ مَن ذكرتهُ لنا المصادرُ القديمةُ من الفقهاء النابلسيين - كما ذكرتُ سابقاً - فهو الشيخُ محمد بنُ أحمدَ بن سهل بن نصْر المعروفُ بابن النابلسي الشهيد (١) ، وكان استشهادُه عامَ ثلاثةٍ وستينَ وثلاثمائة ، وقد تتلمذ على عددٍ من العلماء ، من بينهم سعيدُ بنُ هاشم بن مرثد الطّبراني (٢)، وعُمَرُ

---

(١) له ترجمة في : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٤٨ * مرآة الزمان : ج ٨ ، ق ١ ص ١٤٤ * سير أعلام النُبلاء ، ج ١٦ ، ص ١٤٨ ، العبر : ج ٢ ، ص ٣٣٠ * الوافي بالوفيات : ج ٢ ص ٤٤ * النجوم الزاهرة : ج ٤ ، ص ١٠٦ * مرآة الجنان : ج ٢ ، ص ٣٧٩ * شذرات الذهب : ج ٣ ، ص ٤٦ * ترتيب المدارك : ج ٣ ، ص ٣٠١ - ٣٠٤ .

(٢) سعيد بنُ هاشم بن مرثد بن سُليمانُ بن عبد الصّمد بن أحمدَ بن أيّوب ابن موهوب الطّبراني ، وقد ذُكِر أنه روى عن جماعة منهم أبو حاتم بنُ حِبّان البُستي ، وقيل إنّه تُوفّي بتنّيس وهو عائدٌ من مصرَ إلى بلده سنة ٣١٣هـ ، (انظر : الأنساب ج ٨ ، ص ١٩٩)

ابن محمد بن سليمان القطار (١)، وعثمان بن محمد بن علي بن جعفر الذهبي. (٢) وقد بلغ ابن النابلسي من العلم درجة رفيعة، فكانت تقام له حلقات للتدريس يفد إليها العلماء والدارسون، فتتلمذ عليه عدد من العلماء، من أبرزهم أبو الحسن الدارقطني (٣)، وعبد الوهاب الهيداني (٤).

كان ابن النابلسي الشهيد عابداً صالحاً زاهداً قوالاً للحق، لا يخشى في الله لومة لائم. فقد رفض ذات يوم مالاً بعث به اليه كافور الأخشيدي، يريد أن يستميله به، فقال لرسول كافور: "قل لكافور: قال الله تعالى "اياك نعبد واياك نستعين"، فالاستعانة بالله وكفى (٥). وقد عرضته تلك السمات في شخصيته لمحنة كان يكفيه فيها أن يقول "لا"، فيحفظ عليه حياته، لكنه لم يكن يتراجع عن حق رآه. فقد سئل عن رأيه في حكم الفاطميين، فأفتى بوجوب قتالهم، ولما سألوه عن ذلك، قال: "نعم"، فإن قتالكم واجب. فنقموا عليه وحبسوه، ثم قتلوه وسلخوه وحشوا جلده تبناً، وصلبوه. (٦)

---

(١) نزيل طبرستان، وله مخرجات ورحلة إلى العراق والحجاز، وكان حافظاً سريع الفهم. (انظر: لسان الميزان ج ٤، ص ٣٢٦)

(٢) عثمان بن محمد بن علي بن أحمد، المعروف بابن علان الذهبي، محدث، حدث بالشام ومصر، وكانت وفاته في حلب سنة أربعين وثلاثمائة. (انظر: تاريخ بغداد، ج ١١، ص ٣٠١)

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) أبو الحسين بن جعفر بن علي، محدث دمشق، وقد ذكر أنه كتب بقنطار حبر، وذكر الذهبي أن فيه تساهلاً، وكانت وفاته سنة ٤١٨ هـ. (انظر: العبر، ج ٢، ص ٢٣٥)

(٥) انظر: النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ١٠٦.

(٦) انظر: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٤٨، وترتيب المدارك ج ٣، ص ٣٠٣.

ومن فقهاء القرن الخامس الهجري ، الشيخ أبو الفتح نصر بن ابراهيم ابن نصر بن داود المقدسي النابلسي ، ثم الدمشقي (١) ، المتوفى عام أربعمائة وتسعين . وقد تنقل الشيخ أبو الفتح في أنحاء متفرقة من ديار الاسلام ، يطلب العلم ويعطيه ، فأقام في بيت المقدس مدة من الزمن ، ثم انتقل إلى صور ، فأقام فيها عشر سنوات ينشر العلم ويعظ الناس ، مع كثرة المخالفين له من الرافضة ، وفيها تفقه على أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي (٢) . وقد أقام في دمشق زمنا ً ، فسمع الحديث فيها من جماعة ، منهم عبد الرحمن بن الطبيز (٣) ، وأبو الحسن بن السمسار (٤) . وذهب إلى غزة ، فسمع فيها من محمد بن جعفر الميماسي (٥) . وسمع أيضا ً بآمد وديار بكر .

---

(١) له ترجمة في : تبيين كذب المفتري ، ص ٢٨٦ * طبقات الشافعية / السبكي : ج ٥ ، ص ٣٥٨ * طبقات الشافعية / الأسنوي : ج ٢ ، ص ٣٨٦ * تهذيب الأسماء واللغات : ج ٢ ، ق ١ ص ١٢٥ * العبر : ج ٣ ، ص ٣٢٩ * النجوم الزاهرة : ج ٥ ، ص ١٦٠ * الأنس الجليل : ج ١ ، ص ٢٦٧ * مرآة الجنان : ج ٣ ، ص ١٥٢ * شذرات الذهب : ج ٣ ، ص ٣٢٦ * معجم البلدان : ج ٥ ، ص (١٧١ — ١٧٢).

(٢) أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي ، فقيه شافعي أصولي ، وقد اشتغل بالفقه والتفسير والحديث واللغة ، وسكن الشام ، وتوفي غريقا ً بمنطقة الجار على البحر الأحمر ، وكانت وفاته سنة سبع وأربعين وأربعمائة (انظر : طبقات الفقهاء الشيرازي ، ص ١٣٢ ، وطبقات الشافعية الكبرى ، ج ٣ ، ص ١٦٨)

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) تقدمت ترجمته .

(٥) أبو بكر محمد بن جعفر بن علي الميماسي ، الذي روى " موطأ " يحيى بن بكير عن ابن وصيف وهو من كبار شيوخ نصر المقدسي وكانت وفاته سنة ٤٢٥ هـ . (انظر : العبر ، ج ٢ ، ص ١٧٢)

وقد تتلمذ الشيخُ نصر على عددٍ كبير من العلماء ، ذكر السّبكي منهم أبا بَكر الخَطيب (١) ، وأبا الفَضل يحيى بنَ علي (٢) ، وجمالَ الأسلام أبا الحَسن السّلَمي (٣) ، وأبا الفتح نصرَ الله المَصّيصي (٤) وأبا يعلى حَمزةَ بنَ الحُبوبيّ (٥) . وقد أخذ عن الشيخ نصر عَدَدٌ من من فُقهاء الأندلس منهم:القاضي أبو علي الصّدفيّ (٦)،

---

(١) أحمد بنُ عليّ بن ثابت ، المعروفُ بالخَطيب البغدادي ، وكانت نشأتُه ببغدادَ ، وقرأ القرآنَ بالرّوايات ، وأخذ الفقه عن الشيخ أبي الطّيّب الطّبري . ومن مؤلفاته "تاريخ بغداد" و "المؤتلِف والمُختلِف" و "المُتّفِق والمُفترِق" وغيرُها ، وله شِعرٌ . وتوفي سنة ٤٦٣ هـ . (انظر المُستفاد من ذَيل تاريخ بَغداد ، المجلد : ١٨ ، ص٥٤)

(٢) يحيى بنُ عليّ بن عبدالعزيز ، القاضي الزكيّ ، أبو الفضل القُرَشي الدِّمشقي وقد كان قاضياً في دمشق وأباً لقضاتها ، ولزمَ الفقيهَ نصراً المقدسيّ مُدّة وكانت وفاته سنة ٥٣٤ هـ (انظر : العبر ، ج٢ ، ص٤٤٦) .

(٣) جَمالُ الأسلام ، أبو الحسن عليّ بنُ المُسلم السُّلَمي الدِّمشقي الشّافعي، عَمِلَ مُدرّساً بالغزاليّة والأمينيّة ، وكان مفتيَ الشّام في عصره . صَنّفَ في الفقه والتّفسير ، وتصدّرَ للاشتغال والرّواية وكانت وفاته سنة ٥٣٣ هـ (انظر : العبر ، ج٢ ، ص٤٤٥)

(٤) نصرُ الله بنُ محمّد بن عبدالقوي ، أبو الفتح اللاذقي المَصّيصي الشّافعي الأصولي الأشعريّ ، سَمِعَ بصورَ وبغداد والانبارِ وغيرِها ، وكان أحدَ مشايخِ الشّام ، فقيهاً في الأصول والفروع ، وتوفي سنة ٥٤٢ هـ .
(انظر : البداية والنهاية ، ١٢ ، ص٢٢٣ . وانظر كذلك : العبر ج٢ ، ص٤٦٢) .

(٥) حَمزةُ بنُ عليّ بن هِبةَ الله الثّعلبيّ الدِّمشقي ، وقد سَمِعَ من جماعة من العلماء من بينهم الشيخُ نَصر المقدسيّ ، وقال فيه الذهبي : كان لا بأسَ به ، وكانت وفاته سنة ٥٥٥هـ . (انظر : العبر ،ج٣ ،ص٢٣)

(٦) القاضي الشهيدُ أبو علي الصَّدفيّ ، حسينُ بنُ محمّد بنِ فيُّرة بن حَيّون ويُعرَف بابنِ سُكّرة ، وهو من أهل سَرقُسطة . وقد كان عالماً بالحديث وطُرُقِهِ ، عارفاً بعِلَلِه وأسماءِ رجاله ونَقَلتِهِ ، وكَتَبَ بخَطّه عِلماً كثيراً ، من مثل "صَحيح البُخاري" و "صحيح مُسلم" . وكان حافظاً لمُصنّفاتِ الحَديث .
(انظر : نَفح الطّيب من غُصن الأندلس الرّطيب ، ج٢ ، ص٩١)

والقاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي (١) . ولما قدم الغزالي دمشق، اجتمع بالشيخ نصر للتبرك به والاستفادة من علمه (٢) . وقد أجمعت المصادر التي ترجمت للشيخ نصر، على أنه كان مثالاً للعالم الزاهد المترفع عن الدنايا. فقد قال فيه الحافظ ابن عساكر: «وأقام بدمشق مدة تسع سنين، يحدث ويدرس ويفتي على طريقة واحدة من الزهد في الدنيا والتنزه عن الدنايا والجري على منهاج السلف من التقشف وتجنب السلاطين ودفع الطمع والاجتزاء باليسير مما يصل إليه من غلة أرض كانت له بنابلس، يأتيه منها ما يقتاته، ولا يقبل من أحد شيئاً»(٣) ووصفه الحافظ الذهبي بأنه كان إماماً علامة مفتياً، حافظاً زاهداً متبتلاً ورعاً كبير القدر عديم النظير، وقال عنه بأنه شيخ الشافعية بالشام (٤). وقال فيه بعض معاصريه: «لو كان الفقيه أبو الفتح في السلف لم تقصر درجته عن واحد منهم، لكنهم فاتوه بالسبق»(٥) . ويحكى عن بعض أهل العلم أنه قال: صحبت امام الحرمين أبا المعالي الجويني (٦) بخراسان، ثم صحبت

---

(١) قاضي قضاة كورة اشبيلية، وقد كان فقيهاً معروفاً واماماً في الأصول والفروع وله شعر . ورحل إلى المشرق مع أبيه، ودخل الشام والعراق، وسمع بهما من كبار العلماء . وتوفي سنة ٥٤٣ هـ (انظر: نفح الطيب ج ٢، ص ٢٨)

(٢) طبقات الشافعية / الأسنوي ج ٢، ص ٣٨٦، وتهذيب الأسماء واللغات ج ٢، ص ١٢٥ .

(٣) تبيين كذب المفتري: ص ٢٨٦ . وانظر طبقات الشافعية، ج ٥، ص ٣٥٢، وتهذيب الأسماء واللغات ج ٢، ق ١، ص ١٢٥ .

(٤) العبر: ج ٣، ص ٣٢٦ .

(٥) تبيين كذب المفتري: ص ٢٨٦ .

(٦) أبو المعالي عبد الملك بن الشيخ العالم أبي يعقوب يوسف الجويني شيخ الامام الغزالي، ولقب بامام الحرمين لأنه جاور بمكة والمدينة ودرس فيهما، ومن مصنفاته: "العقيدة النظامية في الأركان الاسلامية" و "الارشاد" في أصول الدين، و "الورقات" في أصول الفقه . وتوفي سنة ٤٧٨ هـ (انظر الوفيات / ابن قنفذ القسنطيني، هامش ص ٢٥٧)

الشيخ أبا اسحق الشّيرازي (١) في العراق ، فكانت طريقته عندي أفضل من طريقة أبي المعالي الجُوَيني ، ثم قدمتُ الشام، فرأيتُ الفقيه أبا الفتح، فكانت طريقته أحسنَ من طريقتَيْهما جميعاً" (٢) .

وقد صَنّفَ الشيخُ نصر كُتباً كثيرة في المَذهب الشّافعي وغيره ، أذكُر منها :

١ . كتابَ "الحُجّة على تارِكِ المَحَجّة" (٣) .

٢ . كتاب "الانتخاب الدّمشقي" في المَذهب الشّافعي ، ويقع في بضعة عشر مجلداً" .

٣ . كتاب "التّهذيب" في المَذهب الشّافعي ، في نحو عشر مجلدات (٥) .

٤ . كتاب "الكافي" ،وهو مُجلّدٌ مُختَصَر ، ذكر النّووي أنّه حَذا فيه حَذو شَيخِه سليم الرّازي في كتاب "الكِفاية" ، ولا يَذكُر فيه قولين ولا وَجهين، بل يَخرُج بالراجِح عنده (٦)

٥ . كتاب "المَقصود" (٧) .

---

(١) جمالُ الدين أبو اسحق ، ابراهيمُ بنُ علي بن يوسفَ الشّيرازي ، المولود بفيروزآباد سنة ٣٩٣ هـ ، وبها نشأ وبدأ تحصيلَه العلمي ، ثم طَوف بالبلاد طلباً للعلم ، فأصبح أحَد أعلام المذهب الشّافعي في عصره وأكره على القَضاء إلّا أنّه رفَضَه ، وتولّى التدريسَ بالنّظامية زمناً ، وكان يُضرَب فيه المثلُ بالقُدرة على المُناظَرة . ومن مُصنّفاته "المُهَذّب في المَذهَب" و "التّنبيه في الفقه" و "طبقاتُ الفقهاء" و "اللُّمَع في أصول الفقه" . وكانت وفاته سنة ٤٧٦ هـ . (انظر : مقدمة "طبقات الفقهاء" بقلم د . احسان عباس ، صفحة ٥ وما بعدها)

(٢) تَبيين كَذب المُفتري : ص ٢٨٦ .

(٣) ذَكَره النووي ، وذكر أنّه سمعه عن ابن الأنباري عن القاضي الحَرَستاني عن أبي الفتح نصرالله بن محمد بن عبد القوي عن الشّيخ نصر المُصَنّف . (انظر : تهذيب الأسماء واللغات ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٢٥) .

(٤) المصدر السابق . وهو غير مطبوع ، ولم أجد له ذكراً في فهارس المخطوطات التي اطّلعتُ عليها .

(٥) المصدر نفسه . وهو غير مطبوع ، ولم أجد لَه ذِكراً في فهارس المخطوطات التي اطّلعتُ عليها .

(٦) المصدر نفسه . وهو غير مَطبوع ولم أجد له ذكراً في فهارس المخطوطات التي اطّلعتُ عليها .

(٧) انظر : طبقات الشافعية ، ج ٢ ص ٣٩٠ ، وكشف الظّنون : ص ١٨٠٧ . (لم أجد له ذكراً في فهارس المخطوطات) .

هِبَةُ اللّه بنُ عَساكر (١) ، صاحبُ "تاريخ دمشق" . ولقد كان الدّيباجيّ في عصره مُقدّماً" في الفقه وعلم الكلام على مذهب الأشعري ، وروى السُّبكي (٢) عن بعضهم قولَه : "وكان الدّيباجيّ سَيّدَنا في علم الأصول ،ومُقدّمَنا في الزّهد والسُّنّة والمَنقول"(٣) . وذكر ابنُ عساكرَ أنّه كان يَعقد المَجلس في جامع الخليفة ببغداد ، وبالمدرسة النّظامية ، ويُنظر في مسائل الخِلاف ويُفتي على مذهب الشّافعي ، ووصَفَ مجالسَ وَعظه وتَذكيره بأنّها قليلةُ الحَشو ومَشحونَةٌ بالفوائد ، وذلك على طريقة المتقدّمين (٤) . وقد ذكر ابن عَساكر تاريخَ وفاة الدّيباجيّ فجعله عام سبعة وعشرين وخمسمائة (٥) ، وعنه أخذتِ المصادرُ الأخرى ، في حين ذَكر الصّفدي أنّه تُوفي سنةَ تسع وعشرين وخمسمائة (٦) ، والصحيحُ ماذكَره ابنُ عساكر ، وذلك لمُعاصرَته له .

ومن فُقهاء القرنين السّادس والسّابع ، وهما القرنان اللّذان ازدهرتْ فيهما الدراسات الفقهيةُ في المنطقة ، الشّهابُ محمدُ بنُ خَلف بنِ راجح بنِ بِلال بنِ هلال المَقدسيّ الدمشقيّ (٧) المولودُ سنةَ خمسين وخمسمائة بجَمّاعيل ، وقد سَمِع

---

(١) الإمام الحافظُ مُحدّث الشام أبو القاسم عليُّ بنُ الحسن بنِ هبة الله بن عبد الله الدّمشقي الشّافعي ، صاحب التصانيف وقد روى عنه جماعةمنهم أبو سَعد السّمعاني ، وتجاوز عددُ شُيوخه الألف ، ومُصنّفاته كثيرة منها : "تاريخ دمشق" في ثمانين مجلداً" و "الموافقات" و "عَوالي مالك" و "تبيين كذب المفتري" ، و "فضل أصحاب الحديث" وغيرها" ،وتوفي سنة ٥٧١ هـ عن عمر يناهز السّبعين . (انظر : تذكرة الحفاظ ، ج ٤ ص ١٣٢٨)

(٢) عبدُ الوهاب بنُ علي بنِ عَبد الكافي السُّبكي ، الملقب بتاج الدّين ، وقد كان ذا بلاغة وطلاقة ، حَسَن النّظم والنّثر ، وانتهت اليه رِياسة القضاء في الشام ، ومن تصانيفه "شرح مختصر ابن الحاجب" و "شرح منهاج البيضاوي" و "طبقات الشّافعية الكبرى" ،وكانت وفاته سنة ٧٧١ هـ . (انظر : البدر الطالع ج ١ ، ص ٤١٠) .

(٣) طبقات الشافعية / السُّبكي ، ج ٤ ، ص ٦٤

(٤) انظر : تبيين كذب المفترى ، ص ٣٢١ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) انظر الوافي بالوفيات ، ج ٢ ، ص ١٠٦ .

(٧) له ترجمة في : الذيل على الروضتين ،ص ١٣٠ * ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ص ١٢٤ * التكملة : ج ٣ ،ص ٣٦ * البداية والنهاية : ج ١٣ ،ص ٦٦ * سير أعلام النبلاء :ج ٢٢ ص ١٥٦ *النجوم الزاهرة :ج ٦ ،ص ٢٥١ *شذرات الذهب :ج ٥ ،ص ٨٢ .

بدمشق من أبي المكارم بن هلال (١) ، وسمع في مصر من الحافظ السِّلَفي (٢) وسمع ببغداد من ابن الخشّاب (٣) وشُهْدَة (٤) وطبقتهم ، وتفقّه بها في المذهب الحنبليّ، والخلاف على ابن المَنّي (٥) حتى بَرَع ، وكان بحاثاً "مناظراً مُفحِماً" للخصوم . (٦) ويُحكى عنه أنه حَفِظ "مَقامات الحَريري" في خمسين ليلة (٧) . وقد كتب بخطّه كثيراً من الحديث وغيره من العلوم (٨) . وتوفي عام ستمائة وثمانية عشر للهجرة . ومن فقهاء نابُلُس أحمدُ بنُ أبي المكارم

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) الخطيب الحافظ المُحَدِّث أبو محمد عبدُ الله بنُ الخَشّاب ، وقد كان اماماً من أئمة اللغة والنحو في عصره، وله معرفة بالحديث والمنطق والفلسفة والحساب ، ومن مصنفاته : "نَقد المقامات الحَريرية" و "المُرتَجَل في شَرح الجُمَل" للزجّاجي . وكانت وفاته سنة ٥٦٧ هـ . (انظر : معجم الأدباء ، ج ٤ ، ص ٢٨٦ ، ووفيات ابن قنفذ : ص ٢٨٦) .

(٤) هي شُهدةُ بنتُ أبي نصر أحمد بن الفرج الدِّينَوَري ثُمَّ البَغدادي وقد كانت كاتبةً مُسْنِدة ، دَيِّنَةً عابدة صالحة ، تُلَقَّب بفخر النساء وتوفيت عام ٥٧٤ هـ . (انظر : العبر ، ج ٣ ص ٦٦) .

(٥) هو أبو الفتح ابنُ المَنّي ، نصرُ بنُ فِتيان بن مَطر النَّهرواني الحنبلي ، وقد كان شيخ الحَنابلة وفقيه العراق ، وعُرِف بوَرَعه وزُهده وتَعَبُّده على مِنهاج السَلَف . وكانت وفاته سنة ٥٨٣ هـ . (انظر : العبر : ج ٣ ص ١٢٤) .

(٦) انظر : ذيل طبقات الحنابلة ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .

(٧) البداية والنهاية : ج ١٣ ، ص ٩٦ .

(٨) في المكتبة الظاهرية بدمشق مخطوط لكتاب "أسرار العربية" لأبي البَركات الأنباري المُتَوفّى عام ٥٧٧ هـ ، بخط الناسخ محمد بن خَلف بن راجح ، وعليها تاريخ الفَراغ من النَّسخ وهو عام ٦١٦ هـ . (انظر : فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية / علوم اللغة العربية والنحو ، تصنيف أسماء الحمصي ، ص ١٠) .

بن شُكر بن نعمة المقدسي (١) ، خطيب قرية مَردا ، وقد سافر إلى بغداد في طلب العلم ، وقال فيه الحافظ الضياء المقدسي : " وحصّل في مدة يسيرة مالم يحصّله غيره في مدة طويلة ، وسمعت عليه بقرية مردا وبجبل نابلس " (٢) . وكانت وفاته سنة اثنتين وعشرين وستمائة ببلده .

ومن الفقهاء النابلسيين كذلك ، الشيخ الأمام بهاء الدين أبو محمد عبد الرحمن بن ابراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي (٣) ، المولود بقرية الساويا حيث كان والده يؤم بهما ، وذلك سنة خمس وخمسين وخمسمائة (٤) . وقد سمع ببغداد ودمشق من عدد من العلماء ، فتفقه في بغداد على ابن المني ، وبدمشق على الشيخ الموفق ابن قدامة ، فلازمه وأخذ عنه الفقه واللغة . وأم بمسجد الحنابلة بنابلس ، وحدث فيها وفي دمشق . ومن مصنفاته " شرح كتاب المقنع " و " شرح كتاب العمدة " (٥) . " والمقنع " و" العمدة " كلاهما لشيخه الموفق . وتوفي الشيخ بهاء الدين عام ستمائة وأربعة وعشرين . ومن فقهاء نابلس ، يوسف بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور النابلسي (٦) المتوفى عام ثمانية وثلاثين وستمائة بمدينة نابلس ، وقد ولي الأمامة بالجامع الغربي من المدينة ، وكان أكثر سماعه بدمشق . وفيه قال المنذري : " ترافقنا في السماع كثيراً ، وهو على طريقة حسنة " (٧) ومنهم خطيب مردا ، الفقيه أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن أحمد المقدسي النابلسي الحنبلي (٨) ، المولود

---

(١) انظر ترجمته في : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ٢ ، ص ١٦٣ .

(٢)

(٣) له ترجمة في : المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي ، ج ٢ ، ص ١٩٤ ★ ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ١٧٠ ★ سير أعلام النبلاء : ج ١٢ ، ص ٢٦٩ ★ القلائد الجوهرية : ج ٢ ، ص ٣٤٨ ★ شذرات الذهب : ج ٥ ، ص ١١٤ ★ معجم المؤلفين : ج ٥ ، ص ١١٢ .

(٤) سير أعلام النبلاء : ج ٢٢ ، ص ٢٦٩ .

(٥) ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٧٠ ، وانظر : معجم المؤلفين ج ٥ ، ص ١١٢ .

(٦) الذيل على طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٢٢١ .

(٧) المصدر السابق .

(٨) له ترجمة في : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ ★ سير أعلام النبلاء : ج ٢٣ ، ص ٣٢٥ ★ شذرات الذهب : ج ٥ ، ص ٢٨٣ .

بمَرْدا سنة ستٍّ وستين وخمسمائة ، وقد سافر إلى دمشق فسمع بها من جماعة من العلماء ، وسافر إلى مصر فسمع من أبي القاسم البوصيري (١) وغيره . وحدّث عنه جماعة ، وانتشرت مروياته بدمشق ، وله مشيخة (٢) . وكانت وفاته ببلدة مَردا سنة ستٍّ وخمسين وستمائة . ومن فقهاء نابلس محمد بن عبد الهادي ابن يوسف بن قدامة الملقب بشمس الدين (٣) ، المتوفى سنة ثمانٍ وخمسين وستمائة ، وهو أخو العماد المقدسي (٤) .
أجاز له السِّلَفي وشهدة الكاتبة ، وكان يؤم بمسجد النباويا ، وفيها كان استشهاده على يد التتار ، وقد نيّف على المائة . ومن الفقهاء أيضاً الشيخ الإمام الخطيب ، أبو الذكاء عبد المنعم بن أبي الفهم القرشي الزهري النابلسي الشافعي (٥) ، خطيب المسجد الأقصى المبارك ، وقد كان شيخاً جليلاً ، فأجاز له جماعة من فقهاء دمشق وحلب والموصل وبغداد وواسط وهمدان ، وقد اشتغل بالفقه بشيء من العربية ، وكانت وفاته سنة سبع وثمانين وستمائة .

ومن الفقهاء النابلسيين شمس الدين أبو عبد الله محمد بن حازم بن حامد المقدسي النابلسي (٦) المتوفى بنابلس سنة ستمائة وست وتسعين ،

---

(١) أبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود الأنصاري الكاتب الأديب ، وقد كان مسند الديار المصرية في الفقه والحديث ، وقد توفي سنة ٥٩٨ هـ . (وهو غير البوصيري صاحب البردة) (انظر ترجمته في "العبر" : ج ٣ ، ص ١٢٥) .

(٢) مجلة معهد المخطوطات : ع ٢ : مجلد : ٢٦ ، ص ٤٦٢ ، عن مخطوط " صلة الخلف بموروث السلف " .

(٣) له ترجمة في : ذيل مرآة الزمان / اليونيني ، المجلد الثاني ، ص ٧٣ * سير أعلام النبلاء : ج ٢٣ ، ص ٣٤٢ * الوافي بالوفيات : ج ٤ ، ص ٦١ * شذرات الذهب : ج ٥ ، ص ٢٩٥ .

(٤) الشيخ عماد الدين عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف الجماعيلي المقدسي الحنبلي الصالحي المؤدب ، وقد كان فقيهاً مقرئاً على طريقة حسنة ، وكانت له رواية للحديث . وتوفي سنة ٦٥٨ هـ . (انظر : الذيل على الروضتين ص ٢٠٤) .

(٥) انظر ترجمته في : الأنس الجليل ، ج ٢ ، ص ٧٣ .

(٦) ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٣٣٦ .

وقد كان فقيها" فاضلا" ، سمع من ابن صَصْرى (١) والناصح ابنِ الحنبلي والحافظ الضياء وغيرهم . ومن فقهاء نابُلُس كذلك ، الفقيه الزاهد عماد الدين عبدُ الحافظ بنُ بَدران بن شِبل بن طَرخان النابُلُسي (٢) ، المتوفى بِطور عَسْكر ، سنة ثمانٍ وتسعين وستمائة ، وقد تجاوز التسعين من عمره . وقال فيه ابن رَجَب : " حدَّثنا عنه جماعةٌ من أصحابه بدمشق ونابلس ، وقرأت " سُنَنَ ابنِ ماجةَ " بدمشق على الشيخ جمالِ الدين يوسفَ بنِ عبد الله بن محمد النابُلُسي (٣) الفقيهِ الفَرَضي ، بسماعه منه" (٤) ومن الفقهاء النابلسيين ، الشيخُ عليّ بنُ عبد الحميد بن محمد بنِ أحمدَ بنِ بُكَير الفُندُقي (٥) المولودُ سنةَ خمس وثلاثين وستمائة ، وقد سمع من أبي عبد الله بن سَعد المَقدسي (٦) وجَدِّه لأُمّه كان خطيبَ قرية مُردا ، وعبدُ الحميد بنُ عبد الهادي (٧) ، وقد سمع بمصر من جماعة ، وكان فقيها" مُفتيا" ، وكتب بخطِّه كُتُبا" كثيرة ، وعنه روى الذهبيُّ في مُعجَمه بسماعه منه (٨) . وكانت وفاتُه بجبل نابُلُس سنة سبع وسبعمائة . ومن الفُقهاء أيضا" ، الشيخ عبدُ الله ابنُ أبي الطاهر بنِ محمد ابنِ أبي المكارم المَرْداوي (٩) ، المولود بمَردا سنة ثلاثين وستمائة

---

(١) نجمُ الدين أبو العباس أحمدُ بنُ العَدل عماد الدين بنِ العَدل أمين الدين المعروف بابن صَصْرى التَغلبيّ الرَبَعي الشافعي ، وكان قاضيا" للقضاة بالشام ، وقد سَمِع الحديث واشتغل وحَصّل ، وكانت له يدٌ في الانشاء وحُسن العبارة ، ودرَّس بالأمينيّة والعادليّة والغزالية ، وولي أيضا" قضاء العساكر . وقد توفي سنة ٧٢٣ هـ . (انظر : القلائد الجوهرية ج ١ ، ص١٠٥)

(٢) انظر : ذيل طبقات الحنابلة ، ج ٢ ، ص ٣٤١ * العبر : ج ٣ ، ص ٣٩٢ .

(٣) لم أجد له ترجمة .

(٤) ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٣٤١ .

(٥) ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٣٥٤ .

(٦) محمد بنُ عمر بنِ أبي بَكر بن عبد الله بن سَعد المقدسي ، وقد رحل في طلب الحديث ، وتَولّى مشيخة دار الحديث بالمَوصل ، وله كتاب "المَجْدِ المُظفَّري" وكانت وفاته في النصف الأخير من القرن السابع (انظر : تاريخ اربل ، القسم الأول ، ص ١٦٨)

(٧) هو الشيخ العماد ، وقد تقدمت ترجمته .

(٨) ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٣٥٤ .

(٩) الدُرَر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : ج ٢ ، ص ٢٦٤ .

وكان قد سَمِع على الضِّياء المقدسي وخطيب مُردا ، وتلقّى العلمَ بمدرسة الشيخ أبي عمر بقاسيون ، وهو آخرُ من حدّث بالسّماع عن الضّياء (١) ، وكانت وفاته سنة احدى وعشرين وسبعمائة ببلدته مُردا .

وأمّا أشهر فقهاء منطقة نابُلُسَ وأبعَدُهم ذِكرا ، فهو الشّيخُ أبو مُحمّد عبدُ اللّه ابنُ أحمدَ بنِ مُحمّد بن قُدامة (٢) ، المَقدسيّ ، المُلَقّب بمُوَفّق الدّين ، المولود بجمّاعيل في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، وكان قد قَدِم مع أهله إلى دمشق فارّين من عَسْف الفِرَنْجة . وعُرِف عنه أنّه حَفِظ القرآن واشتغل بالفقه في صِغَره . وقد ارتحلَ إلى بغداد بصُحبة ابن خالته الحافظِ عبد الغني بن عبد الواحد ، فسمع فيها من جماعة من العُلماء ، من بينهم سعدُ بنُ نَصر الدَّجّاجي ، (٣) وأبو الفضل أحمدُ بنُ صالح بنِ شافع (٤) ، والكاتبةُ شُهدة ، وابنُ البَطّي (٥) ،

---

(١) المصدر السابق .

(٢) له ترجمه في : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص١٥٦ - ١٦٠ * المُختصر المحتاج إليه : ج ٢ ، ص ١٣٤ - ١٣٧ * التكملة : ج ٣ ، ص ١٠٧ * الذيل على الروضتين : ١٣٩ - ١٤٢ * مرآة الزّمان ق ٢ ، ج ٨ ص ٦٢٧ - ٦٣٠ * البداية والنهاية : ج ١٣ ، ص٩٩ * فوات الوَفيات : ج ٢ ، ص ١٥٨ * سير أعلام النبلاء : ج٢٢ ، ص١٦٥ - ١٧٣ * النجوم الزاهرة : ج ٦ ، ص ٢٥٦ * مرآة الجنان : ج ٤ ، ص٤٧ * القلائد الجوهرية : ج٢ ، ص٣٤٠ وما بعدها * المدخل الى مذهب الامام أحمد : ص٢٠٧ * مقدمة التّنقيح المُشْبِع مُحبّ الدين الخطيب ، ص ٥ * مُختصر طبقات الحنابلة : ص٤٥ - ٤٧ * مقدمة المُطلع على أبواب المُقنع / محمد زهير الشاويش : ص: ط - ك * + مقدمة المُغني والشرح الكبير / عبد القادر بدران ، ص ٢ - ٩ * مقدمة كتاب " زوائد الكافي والمُحَرَّر على المُقنع / محمد بن عبد العزيز بن مانع ، ص : ٣ .

(٣) سعد الله بنُ نصر بن سَعيد المعروفُ بابنِ الدَّجّاجي ، وقد كان فقيهاً " واعظاً " مقرئاً " على طريقة الصوفية ، روى عن أبي الخطاب الكلوذاني كتاب " الهداية " وروى عن ابن عقيل كتاب " الانتصار لأهل السُّنّة والحديث " ، وتوفي في بغداد سنة ٥٦٤ هـ (انظر : ذيل طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ٣٠٢)

(٤) أحمد بن صالح بن شافع الجِيلي ، وكان حافظاً " مُتقِناً " حَسَن القراءة صحيحَ النَّقل وقد كَتَبَ بخطّه الكثير ، ولم يَزَل مُشتغلاً " بالطَّلَب والسَّماع إلى أن مات ، وكان مولده ببغداد سنة ٥٢٠ هـ (انظر : ذيل طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص (٣))

(٥) أبو الفتح ابن البَطّي الحاجبُ محمد بن عبد الباقي بن احمد بن سليمان البغدادي مُسْنِد العراق ، وقد كان دَيِّناً " عَفيفاً " مُحِبّاً " للرواية ، صَحيحَ الأصول . وتوفي سنة ٥٦٤ هـ (انظر شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٢١٣)

وأبو بكر بنُ النَّقور ، ومُسلم بنُ ثابت الوَكيل (١) ، وأبو الفَرَج ابنُ الجَوْزي، ورَحَلَ إلى مَكّة وسَمع بها على جَماعة ، وسَمع أيضاً بالمَوصِل . ثمّ عاد إلى دمشق فسمع فيها على أبي المكارم عبدالواحد بن المُسَلَّم بن هلال ، وآخَرين .
كان الشيخ المُوَفَّق تَقيّاً وَرعاً زاهِداً ، مُقَدَّماً في الفقه على مذهب الإمام أحمدَ بنِ حَنبل ، وكان اماماً في علم الخلاف والفرائض والاصول والنَّحو والحساب والنُّجوم السَّيّارة والمَنازل ، وقد أهَّلَه كُلُّ ذلكَ لأن يكون مَقصُداً للعلماء ، يأتون إليه من بقاع مُختلفة من العالَم الأسلاميّ ، ليَسْمَعوا منه وَيتفقَّهوا على يديه، فكان له دَوْرٌ كبير في نَشر المَذهب الحَنبلي ، ولا سيّما في بلاد الشام، فقد قال ابن الدبيثي : " .. وانتهت اليه معرفة مذهب أحمد ، ولم يكن في وقته أحد أعلمَ منه ولا أفقهَ في سائر المَذاهب ، له في التَّقوى قَدَمٌ راسخ ، يَستَحِقُّ أن تُطوى إليه مَراحِلُ وفَراسخ ". (٢) وكان مِمَّن سَمع منه ، الحافظُ الضِّياءُ المَقدسيّ ، والبهاءُ عبدُ الرّحمن (٣) ، وأبو عَبدالله البرزالي ، وأبو الحَجّاج بنُ خَليل (٤) والعمادُ عبدُ الحافظ بنُ بَدران ، وقد سَمعَ منه بنابُلُس ، وأبو الفَهم السُّلَميّ (٥)

---

(١) مسلم بن ثابت بن القاسم بن أحمد البغدادي المأموني ، أبو عبدالله الفقيه وقد تفقّه على أبي الخَطّاب الكلوذاني ، وكانت له مُناظرات ، وعُرف بأنَّه صحيح السَّماع . تُوفي ببغداد سنة ٥٧٢ هـ . (انظر: الذّيل على طبقات الحنابلة : ج١ ، ص ٣٣٧)

(٢) المُختَصر المُحتاج إليه : ج ٢ ، ص ١٣٤ .

(٣) بهاء الدين أبو محمد ، عبدالرحمن بن ابراهيم بن أحمد بن عبدالرحمن المَقدسي ، أحد فقهاء الحنابلة ، وقد شَرَح "العُمدة" و "المُقنِع" وهما من مصنفات شيخه المُوَفّق ، وتوفي سنة ٦٢٢ هـ . (انظر : هداية العارفين ، ج ١ ، عامود ٥٢٣)

(٤) يوسف بنُ خليل بنِ قراجا بنِ عبدالله الدمشقي ، شمسُ الدين أبو الحجاج ومولده في دمشق سنة ٥٥٥هـ . وقد طلب الحديث وتخرَّج بالحافظ عبدالغني المقدسي والشيخ المُوفق ، وكان اماماً حافظاً ثَبتاً ، جميلَ السّيرة ، استوطَن في آخر عمره حَلَب ، ودرَّس بجامعها إلى أن تُوفي سنة ٦٤٨ هـ (انظر : القلائد الجوهرية ، ج ٢ ، ص٣١٧ ، وانظر كذلك : التّاج المُكَلَّل ، ص ٢٤٠) .

(٥) أبو الفَهم بنُ أحمدَ بنِ أبي الفَهم السُّلَمي الدّمشقي ، وقد كان رجلاً مَستوراً ، روى عن الشيخ المُوَفّق وغيره ، وتوفي سنة ٦٦٤ هـ عن ثلاثة وثمانين عاماً . (انظر : شذرات الذهب ، ج٥ ، ص ٤٢٨)

واسماعيلُ بنُ الفراء (١)، وأحمدُ بنُ العماد (٢)، وأبو شامةَ المقدسيّ، وزينبُ بنتُ الواسطي (٣)، وكثيرٌ غيرُهم . وقد جمع الحافظ الضّياءُ سيرتَه في جزأين، تحدّث فيها عن رحلته في طلب العلم، وما حصّله خلالها من علم وافر، وتحدّث كذلك عن زهده ومناقبه وكراماته . ولقد أدركَ معاصروه فضلَه فأفاضوا في الثناء عليه، فقال فيه شيخُه ابنُ المَنّي : "إذا خرجَ هذا الفتى من بغداد، احتاجت إليه (٤) . وقال فيه الامامُ أبو عمرو بنُ الصّلاح (٥) : "ما رأيت مثلَه" (٦) . أمّا ياقوتُ الحمويّ (٧) فقد قال : "لم يكن له في زمانه نظيرٌ في العلم على مذهب أحمدَ بنِ حنبل ." (٨) وقد عرفَ المتأخرون

---

(١) أبو الفداء اسماعيل بنُ عبد الرحمن بن عُمَرَ الهرداوي الصّالحي، وقد روى عن الموفّق وابن راجح، وروى الصّحيح مرات، وكان صالحاً "متعبّداً" وكانت وفاته سنة ٧٠٠ هـ . (انظر : شذرات الذهب، ج ٥ ص ٤٥٥)

(٢) أحمد بنُ ابراهيمَ بنِ عبد الكريم، ابنِ الشيخ العماد المقدسي، وقد سمع في دمشق وبغداد وغيرهما، وسمعَ منه المزّي والبرزالي، وكُفَّ بصرُه في آخر عمره، وتوفي سنة ٦٨٨ هـ . (انظر : القلائد الجوهرية ج ١، ص ٩٦)

(٣) زينبُ بنتُ علي بنِ أحمد بن فضل الواسطي، وقد كانت محدّثةً عابدة زاهدة، ولدت سنة ٦٠٥ هـ، وروت عن الشيخ الموفّق وغيره . وتوفيت سنة ٦٩٠ هـ . (انظر : شذرات الذهب، ج ٥ ص ٤٣٠، وانظر كذلك أعلام النساء، ج ٢، ص ٨)

(٤) انظر : التنقيح المشبع، ص ٧ .

(٥) تقي الدين أبو عمرو عثمانُ بنُ صلاحِ الدين الكرديّ الشّهرزوري الشّافعي، ارتحلَ في طلب العلم وهو صغير، ودرّس بالمدرسة الصّلاحية ببيت المقدس وبالرّواحيّة في دمشق، ووليَ مشيخة دار الحديث الأشرفية، ووُصف بأنّه أحد فضلاء عصره بالتّفسير والحديث والفقه . ومن مصنّفاته كتابُ "علوم الحديث" وتوفي سنة ٦٤٣ هـ . (انظر : وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٤٠٨)

(٦) التنقيح المشبع : ص ٨ .

(٧) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوتُ بنُ عبد الله الحمويّ الرومي البغدادي، غلام عسكر الحمويّ التاجر فنُسب إليه، وقد عمل ياقوتُ فترةً من الزمن بنسخ الكتب فأكسبه ذلك علماً، واستفاد من رحلاته أيضاً معلوماتٍ غزيرة، ومن مصنّفاته سِفرُه المشهور "معجمُ البلدان" وسِفرُه الآخرُ المعروفُ باسم "معجم الأدباء" وكانت وفاته في حلب سنة ٦٢٦ هـ . (انظر : مقدمة معجم البلدان، ص ٦)

(٨) انظر : معجم البلدان، ج ٢، ص ١٥٩ .

منزلتـه ، فأثنوا عليه بما هو أهلٌ له . ومن ذلك قولُ ابنِ كثير (١) : "لم يكـن في عصره ولا قبلَ دهـره بمدّةٍ أفقهُ منه". (٢) وقالَ فيه الشيخُ منصورُ البهـوتيّ (٣) في "شرح الاقناع" : "إذا أطلقَ المتأخرون لفظ الشيخ ، أرادوا به الشيخَ العلامة موفّقَ الدّين بن قدامة . واذا قيل الشّيخان ، فالموفّق والمجد" (٤) (مجد الدين عبد السلام ابن تيمية) (٥) . ولما توفي الموفّق ، رثاهُ غيرُ واحدٍ من الشّعراء ، من بينهـم صلاحُ الدّين موسى بنُ محمّدِ بنِ خلفِ بنِ راجح المقدسيّ ، فكان مما قـال في رثائـه :

لم يبقَ لي بعدَ الموفّق رغبةٌ في العيش ، إنَّ العيشَ سُمٌّ ناقـعُ
بحرُ العلومِ أبو الفضائلِ كلّها شمْلُ الشّريعةِ بعْدهُ لا يجمـعُ
لو كانَ يُمكنُ من فدائِك رخصةٌ لفَدَتْكَ أفئدةٌ عليكَ تقطّـعُ (٦)

وقـد كانت وفاته بدمشـق ، عام ستمائة وعشـرين .

---

(١) عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الدّمشقي الشّافعي ، وقد ولـد سنة (٧٠٠هـ ، وتفقّـه على جماعة منهم المزّي وتقيّ الدّين ابن تيميّـة ، فـبرعَ في الفقه والتفسير والنحو ، ومن مصنفاته : "كتاب البداية والنهاية" و "التكميل في معرفة الثّقاة والضّعفاء والمجاهيل" . وتوفي سنة ٧٧٤هـ (انظر : البدر الطالع ، ج ١ ، ص ١٥٣) .

(٢) البداية والنهاية : ج ١٣ ، ص ٩٩ .

(٣) منصورُ بنُ يونسَ بنِ صلاحِ الدّين ، الشهيرُ بالبهوتي المصري ، وقد كان عالماً في الفقه الحنبلي والفرائض . ومن مؤلّفاته "عمدة الطّالب" و "شرح الأقنـاع" وتوفي سنة ١٠٥١ هـ . (انظر : مقدمة هداية الراغب ، ص ٥)

(٤) مجدُ الدّين أبو البركات عبدُ السّلام بنُ عبدالله بنِ أبي القاسم الخضر ، جَدُّ الشيخ تقيّ الدّين . ولد في حدود التسعين وخمسمائة ، وتوفي سنة اثنتـين وخمسين وستمائة . وتفقّـه في حرّان وبغداد ، وكان إماماً حُجّةً بارعـاً في الفقـه والحديث ، وله يدٌ طولى في التّفسـير . ومن مصنفاته "الأحكام الكبرى" و "المنتقى من أحاديث المصطفى" و "المحرّر في الفقه" . (انظـر المحرّر في الفقه ، ص ١٥ / عن فوات الوفيات)

(٥) انظـر : المدخـل إلى مذهب الأمام أحمـد ص ٢٠٤

(٦) انظر : مقدّمة "المغني والشـرح الكبـير" ص : ٩ -

تَركَ الشيخُ المُوفَّقُ مُصَنَّفاتٍ كثيرةً ، كانت وما تزالُ تُعتَبرُ من أهمِّ كُتبِ الفِقه لدى الحنابلة ، فقد رُوي عن بعضِ العُلَماء قولُه : "وأهل زمانِنا يَرجعون في الفقه من جهة الشيوخ والكتب إلى الشيخين مُوفّق الدّين المَقدسي ومَجد الدّين ابن تَيميّة الحَرّاني (١)". وقد تجاوزَتْ مُصَنَّفاتُه العشرين . ومن أجلّها :

١ - كِتابُ "المغني" ، وقد شَرحَ فيه الشيخُ المُوَفَّقُ "مُختَصَر الخِرَقي (٢)" في الفقه ، وهو مَطبوع ويقع في عشرة مجلدات (٣) ، وطريقته في هذا الكتاب أن يورد المسألة من "مختصر الخرقي" ، ثم يأتي على شرحها وتبيينها ، ويذكر أقوال العلماء ، من الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار المشهورين بها ، ويَحكي أدِلّةَ كُلٍّ منهم دونَ تعصُّبٍ منه لمذهب الحنابلة فكأنما أرادَ لهذا الكتابِ أن يكونَ في فقه المسلمين كافّةً ، دونَ تَمييز بين المذاهب . فكثيراً ما نَجدُه يُرجّحُ قولاً لغير الحنابلة ، فاذا ما رَجَحَ لديه الدَّليلُ الحَنبلي ، فانه لا يَنتقِصُ غيرَه ولا يَعيبُ على صاحبه رأيَه . ومن أجل ذلك ، غَدا هذا الكتابُ مَرجعاً هاماً للعلماء كافةً على اختلافِ مذاهبِهم ، يُغنيهم عن مُراجعة كُتبِ المذاهبِ الكثيرة ، ويُتيحُ لهم فُرْصةَ الاطّلاع على مسائل الأجماع والاختلاف ، ويَكفيهم عن مُراجعةِ كُتبِ السُّنَن والآثار لاستنباطِ الأدلةِ . ولذا فَضَّلَهُ كثيرٌ من العلماء على

---

(١) انظر : مقدمة "المُحرَّر في الفقه" ، ص ٥١ ، ويقول المحقق : "مما قرأه الشيخ أبو الفتح عبدُ الرَّشيد بنُ محمود الأبراهيميّ الكَشميري ، كاتبُ مقدمة (المُنْتَقى) لابن تيمية ، ما كتبه بعض العلماء على ظهر ورقة في آخر كتاب "طبقات الحنابلة" منقولاً" عن الكلوذاني ، قوله "وأهل زماننا يرجعون ..."

(٢) الخِرَقي ، هو أبو القاسم عمرُ بنُ الحُسَين بن عبدالله الخِرَقي ، سُمِّيَ بالخِرَقي نِسبةً إلى بَيع الخِرَق ، من سادات الفُقَهاء الحنابلة ، وهو صاحبُ المُختَصَر المعروفِ (بمُختَصَر الخِرَقي) ، وقد خرجَ من بغداد لمّا ظَهر سَبُّ السَّلَف ومات سنة ٣٣٤ هـ بدمشق . (انظر : طبقات الفقهاء ، ص ١٧٢ وانظر المنهج الأحمد : ج ١ ، ص ١٥)

وقد طبع "مختصر الخرقي" في دمشق سنة ١٣٧٨ هـ ، باعتناء محمد زهير الشاويش ، وقد قال في مقدمته "وقد تلقى علماء المذهب هذا الكتاب بالقبول وعُنوا به أشدَّ عناية لغَزارة عِلمِه مَع صِغَر حَجْمِه وقِلَّة لَفظه ، وقد قيل إنّه شرح ثلاثمائة شرح، وأعظمُ شُروحِه وأكبَرُها "المُغني" لشيخ الأسلام المُوفَّق" (انظر : مختصر الخِرَقي ، صفحة هـ)

(٣) طبع بالاوفست بعناية جماعةٍ من العلماء ، وذلك سنة ١٩٧٢ ، على نفقة دار الكتاب العربي في بيروت .

غيره من كُتُب الفقه ، فقد فضّله الشيخ عزّالدين بنُ عبدِالسّلام (١) ، وهو الشافعي المذهب،على كُتُب الشّافعية ، إذ نُقل عنه أنّه قال :"ما رأيتُ في كُتُب الاسلام مثل " المُحَلّى والمُجَلّى " لابن حزم (٢) ، وكتاب " المُغني " للشيخ المُوفّق في جودتهما وتحقيق ما فيهما "(٣) . ونُقل عنه أيضا " قولُه : " لم تَطِبْ نفسي بالأفتاء حتى صارت عندي نسخة من " المُغني " "(٤) . ولم يكن ذلك التقدير رأيَ القُدماء وحدَهم في هذا الكتاب ، فقد اهتمّ المُحدَثون به وقدروه حقّ قدره ، إذ قال فيه الشيخ محمدُ رَشيد رضا (٥) : " عرفتُ كتابَ "المُغني" ، فتمنّيتُ لو يُسخّر اللّهُ تعالى مَن يَطبعُه ليَعُمّ نَفعُه الذي هو عندي فوقَ ما كان عند العزّ ابنِ عبدالسلام ..... وإذا يَسّر اللّهُ تعالى مَن يَطبعُه ، فأنا أموتُ آمنا "

---

(١) أبو محمد عبدُالعزيز بنُ عبدالسلام ،بنِ أبي القاسم السُّلَمي الدّمشقي ، الملقب بسلطان العُلماء ، وقد كان فقيها " شافعيا " ، وبلغ درجةَ الاجتهاد . تَولّى الخطابةَ والتدريس بزاوية الغَزالي ثُمّ بالجامع الأموي ، وتَولّى قضاء مصر فترةً ثمّ اعتزل . ومن كتبه " التفسيرُ الكبير " و " قواعد الأحكام في اصلاح الأنام " و " الاشارة الى الأيجاز في بعض أنواع المجاز " وغيرُها ، وتوفي سنة ٦٦٠ هـ (انظر مفتاح السعادة ، ج ٢ ، ص ٢١٢)

(٢) أبو محمدٍ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ سَعيد بنِ حَزم ، شَرقِيُّ الأرومة ، أندَلُسِيُّ المَوطن، إذ كان بعض جدوده قد رَحل إلى (لَبْلَة) في الاندلس واستقرّ بها ، وهناك في الأندلس نالت الأسرة حظا " وافرا " من المَجد والسُّؤدد ، فتولّى ابن حزم الوزارةَ أكثرَ من مَرّة ، وقد كان على عِلمٍ واسع وموهبةٍ فريدة . ومن مُصَنّفاته : " المُحَلّى والمُجَلّى " و " المِلَل والنِّحَل " و " طَوقُ الحمامة " وغيرُها كثير وتوفي سنة ٤٥٦ هـ .
(انظر : مقدمة طوق الحمامة / بقلم ابراهيم الأبياري ، من ص " ب " ـ ص " ح ")

(٣) انظر : المغني ، ص ١١ .

(٤) المَدخل إلى مذهب الأمام أحمد : ص ٢١٥ .

(٥) بَغدادي الأصل ، طَرابلسي المَولد والمَنشأ ، وقد أصدر مَجلّة المنار في مصر حيثُ انتقل إليها ليتّصلَ بالشيخ مُحمّد عَبده ، الذي قرّبه إليه . ويُعتبَر محمّد رَشيد رضا أحدَ زعماءِ الأصلاحِ في العصر الحديث . ومن مؤلفاته : " تفسيرُ القرآن الكريم " و " تاريخ الأمام الشيخ محمّد عبده " والوَحي المُحَمّدي " . (انظر : الأعلام ، ج ٦ ، ص ٣٦١) .

على الفقه الأسلامي أن يموت". (١) ورأى مُحِبُّ الدّين الخطيب في كتاب "المُغني" دائرةَ معارف في الفقه الأسلاميّ، تنتفع الأجيالُ من نصوصها ودقائقها إلى يوم القيامة.(٢) وقد قامت وزارةُ الأوقاف في دولة الكويت بوضع مُعْجَم (٣) للفقه الحنبليّ مُستَخْلَص من كتاب "المُغني" من أجل تسهيل مُراجَعة الفقه الحنبلي، باعتبار هذا الكتاب من أجَلّ مراجعه.

٢. كتابُ "الكافي": وهو مطبوع (٤)، ويقع في ثلاثة أجزاء كبيرة، وقد قال المُوَفَّق في مُقدّمته:
"هذا كتابٌ استخرتُ اللهَ تعالى في تأليفه على مذهب إمام الأئمة أبي عبدالله أحمد بن محمد الشّيباني "(أحمد بن حنبل) في الفقه، تَوَسَّطْتُ فيه بين الأطالة والاختصار، وأوْمَأتُ إلى أدلة مسائله مع الاقتصاد، وعَزَيْتُ أحاديثه إلى كُتُب أئمةِ الأمصار، ليكونَ الكتابُ كافياً" في فَنّه عمّا سِواه، مُقنِعاً" لقارئه بما حَواه، وافياً" بالغرض من غير تطويل، جامعاً" بين بَيان الحُكم والدّليل ......"(٥) "وقد قام الحافظ الضياء بتخريج أحاديث "الكافي" في جزء مايزال مخطوطا" (٦).

---

(١) مقدمة "المغني": ص ١١
(٢) مقدمة "التّنقيح المُشبع": ص ٦.
(٣) طُبع بعنوان "معجم الفقه الحنبلي" في المطبعة العصرية بالكويت سنة ١٩٧٣، ويقع في جزأين كبيرين.
(٤) طُبع عام ١٩٦٣ على نفقة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني، في مطابع المكتب الأسلامي بدمشق.
(٥) مقدمة الكافي / بقلم المؤلف، ص ٣.
(٦) انظر: مُقدّمة الكافي / بقلم الشيخ مُحَمّد بن عبدالعزيز بن مانع ص: ز.

٣ - كتابُ "المُقنع" (١) ، ويَقعُ في مُجلَّد واحد ، وقد عَمد فيه مُؤلّفُه إلى الإيجاز غير المُخِلّ ، فهو جامعٌ لأكثر الأحكام ، وقد عَرّاهُ عَن الدّليل ، فهو يُورد الرواياتِ المُختلفةِ دون أن يَتدَخّل ليُرجّحَ رأياً من الآراء . ولذا فقد قام الشيخُ علاءُ الدّين المُرداوي (٢) ، من فُقهاء القرن التاسع،بتأليف كتابٍ سَمّاه "الأنصافُ في معرفة الرّاجح من الخِلاف" (٣) ، وجَعَله بمثابة شَرحٍ لكتاب "المُقنع" يأخذُ المَسألةَ من"المُقنع"،ويَذكُرُ أقوالَ الأئمةِ فيها، ثمّ يَجعلُ الرّاجحَ عنده ماراه أكثرُهم . ولمّا رأى الكتابَ قد اتّسع بما فيه من استِطراد ، لَخّصَه في كتاب سمّاه "التّنقيحَ المُشبع في تَحرير أحكام المُقنع" (٤) .

---

(١) طُبع للمرة الأولى سنة ١٣٢٣ هـ في مجلدين وعليه شرح في الهوامش ، وذلك على مطابع مجلة المنار الاسلامية بمصر ، وطبع بعد ذلك مرّتين على مطابع المطبعة السّلفية بمصر في ثلاثة مجلدات مع حاشيةٍ المَظنونُ أنّها من تأليف الشيخ سليمانَ بن الشيخ عبدالله بن الشّيخ محمد بن عبد الوهاب ، وكانت طباعتُه في هاتين المَرّتين الأخريين على نفقة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني ، أميرِ دولة قطر . (انظر : مقدمة التنقيح المُشبع ،ص ٩)
ولكتاب "المُقنع" مختصر ، فقد اختصره الشيخُ شَرَفُ الدّين أبو النَّجا الحِجّاوي المُتوفّى سنة ٩٦٨ هـ بكتاب سَمّاه "زادَ المُستَقنع" شَرحه الشيخُ منصور بنُ يونس البهوتي المتوفى سنة ١٠٥١ هـ بكتابه المُسمّى "الروضُ المُربع" والمُختَصَر وشرحُه طبُعا غيرَ مَرّة على مطابع المطبعة السّلفية بمصر .

(٢) عليٌّ بنُ سُليمانَ بن أحمدَ بنِ مُحَمَّدٍ ،العلاءُ المُرداوي ثُمّ الدمشقي الصّالحي ولد بمردا سنة ٨٢٠هـ ، ونشأ بها فحفظَ القرآنَ وتفقه على شيوخِها ،ثُمّ تَحَوّلَ إلى دمشق فنزَل في مدرسة الشيخ أبي عُمر ، فَسَمِع طَرفاً من عُلوم الفِقه والحديث واللّغة ، وتَلقّى شيئاً من الفَرائض والوَصايا والحِساب ، وانتَفَع بكُلّ ذلك . ومن مُصَنَّفاته: "الأنصاف" و "التَّنقيح المشبع" و "الدُّرّ المُنتقى" "والجُوهر المَجموع" وتُوفي سنة ٨٨٥ . (انظر:الضوء اللامع ، ج ٥ ، ص ٢٢٥)

(٣) طُبع الكتابُ لأول مَرّة في اثني عَشر جزءاً سنة ١٩٥٥ ، بتحقيق محمد حامد الفَقي ،على مطابع السنة المحمديه بالقاهره ، وذلك بتمويل من الشيخ علي آل ثاني ، وقد اختصرَه الشّيخُ مُحَمّدُ بنُ عبد الوَهّاب ، المُتوفّى سنة ١٢٠٦ هـ بكتاب سَمّاه "مختصرُ الأنصاف والشّرح الكبير" ، وقد طُبع مُؤخّراً على المطابع السّلفيّة بالقاهرة ، باعتناء مُحِبّ الدين الخَطيب ، والطّبعَةُ بلا تاريخ .

(٤) طُبِعَ في المَطبعة السّلَفيّة في مصر .

وقامَ الأمامَ عبدُ الرَّحمن بنُ عُبيدان (١) بجمع ماجاءَ زيادةً في "الكافي" على كتاب "المُقنع" في مُؤلَّفٍ سَمّاه "زوائدَ الكافي والمُحرَّر على المُقنع"(٢) . وعَمَد العلاّمة اللّغويّ مُحَمَّدُ بنُ أبي الفَتح البَعليّ (٣) إلى شرح "المُقنع" شَرحاً لُغَويّاً في كتاب سَمّاه "المُطلِعَ على أبواب المُقنع"(٤) .

٤ . العُمْدَة : (٥) وهو عبارةٌ عن كتابٍ مُختصَرٍ في الفقه ، يقعُ في جُزءٍ واحدٍ، وقد جَرى فيه المُوَفّقُ على قَولٍ واحدٍ مِمّا اختارَه . وهو سَهْلُ العِبارة ويَصلُحُ للمُبتَدئين ، وطريقَتُهُ فيه أنَّهُ يُصَدّرُ البابَ بحَديثٍ من الصِّحاح ، ثُمَّ يَستنبِطُ منه الأحكام . وقد أشارَ في مُقدّمته إلى أنَّه جَعَله مُلخَّصاً ليكونَ قَريباً من المُتَعلّمين، ويَسهُلَ حِفظُهُ على الطّالبين . ونَظَراً لأهمية هذا الكتاب،فقد قامَ شيخُ الأسلام أحمدُ بنُ تَيمِيّةَ بشَرحه في كتابٍ سَمّاه "شرحَ عُمْدَة الأحكام"(٦) .

---

(١) زينُ الدّين أبو الفرج عبدُ الرَّحمن بنُ محمود بنِ عُبيدان البَعلي ، المولودُ سنة ٦٧٥ هـ ، وقد تَفقَّهَ على الشيخ تقيّ الدين ابن تيميّة وغيره ، فبَرَعَ في الفقه والفَتوى ، وكان عالماً بالأصول والحديث والعَربيّة ، وكانت أكثرُ إقامته في دمشق حَيثُ دَرّسَ في مدارسها ، وتُوفّي سنة ٧٣٤ هـ (انظر : مقدمة زوائد الكافي والمُحرَّر على المُقنع ، ص "و")

(٢) الكتاب مطبوع ، وقد طبع سنة ١٣٧٩ هـ ، باهتمام قاسم فخرو ، على مطابع المكتب الاسلامي بدمشق .

(٣) محمد بنُ أبي الفتح بنِ أبي الفَضل البَعلي الحَنبلي ، وقد وُلد في بعلبك ونَشأ بها ، وقرأ النَّحوَ على ابن مالك ولازَمَه حتى برعَ فيه ، وأتقَنَ العربيةَ وكان اماماً عالماً فاضلاً حسَنَ الشَّمائل ، ومن مُصَنَّفاتِهِ "شرحُ الألفية" و "الفاخرُ في شرح جُمَلِ عبد القاهر"، وتوفي سنة ٧٠٩ (انظر : بُغية الوعاة ص ٢٠٨)

(٤) الكتاب مطبوع ، فقد تَمّت طباعتُه على مطابع المكتب الاسلامي بدمشق سنة ١٩٦٥ .

(٥) طُبعَ الكتابُ بعنوان "عُمدة الفِقه" على مَطابع دار العباد في بيروت ، ولا تاريخ لهذه الطبعة .

(٦) انظر : المَدخل إلى مَذهب الأمام أحمد ، ص ٢١٩ .

ومِمّن شَرَحه أيضاً ، الشَّيخُ البهاءُ عبدُ الرّحمن بنُ ابراهيمَ المَقدسيّ (١) العاصرُ للشّيخ المُوفّق ، والشّيخُ عبدُ القادر بنُ بُدران (٢) الدّمَشقي .

٥ . كتابُ "رَوضَة النّاظر وجُنَّة المُناظِر" وهو في أُصول الفقه ، وقد طُبعَ مرّتين : الأولى قديمةٌ مَشروحةٌ ، شَرَحها ابنُ بُدران الدّمشقي تحت عنوان "نُزهَة الخاطر العاطر في شَرح كتاب رَوضة الناظر (٣) ، والأخرى حَديثةٌ ، ظَهرَت عام ألفٍ وتسعمائةٍ وواحدٍ وثمانين ، وقد جاءت مُجَرَّدةً من الشّرح ، وتَحمِلُ العنوانَ الأصلي (٤) .

---

(١) عبد الرحمن بنُ ابراهيمَ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ الرحمن بنِ اسماعيلَ بنِ مَنصور ، المولود سنةَ خمسٍ وخمسين وخمسمائةٍ ، وقد سَمِعَ ببغدادَ ودمشقَ ، وصَنّفَ في الفقه والحديث ، ومن مُصنّفاته "العُدَّة في شَرح العُمدة" ويقال:إنه شَرح "المُقنعَ" أيضاً . وكانت وفاته بدمشق سنة أربع وعشرين وستمائة . (انظر: "ذيل طبقات الحنابلة ، ج ٢ ، ص ١٧٠). وكتابه "العدة في شرح العمدة" مطبوع ، وقد تمّت طباعتُه على المطبعة السّلَفية بالقاهرة ، والطبعة بلا تاريخ

(٢) عبدُالقادر بنُ أحمدَ بنِ مُصطفى بنِ عبد الرحيم الحَنْبلي الدّومي ثُمَّ الدّمَشقي المعروفُ بابن بُدران ، وقد بَرَعَ في الفقه ولا سِيّما على المذهب الحَنبلي ، كما كانت له مَعرفةٌ جيدةٌ بالخلاف وسائرِ العلوم العَقليّة والأدبيّة والرياضيّة . ومن مُصنّفاته "جواهرُ الأفكارِ ومَعادنُ الأسرار" في التفسير ، غير أنه لم يُتمّه ، وكتابُ "شَرح سُننِ النّسائي" وهو أيضاً لم يُتمّ ، ولَه أيضاً "شَرحُ ثُلاثيّات مُسند الأمام أحمد" وكثيرٌ غيرُها ، وتوفي متأثراً بفالج أصابَه ، وكانت وفاته سنة ١٣٤٦ هـ . (انظر ترجمته في : المَدخل إلى مَذهب الأمام أحمد ، ص ٢٦٥) وقد سمّى شرحه الذي وضعه على كتاب "العُمْدَه" للشيخ المُوفّق "مُورِدُ الأفهام من سَلسَبيل عُمْدَة الأحكام" وقد طُبعَ بأمر من الملك عبدالعزيز آل سعود سنة ١٣٤٢ ، وذلك على مطابع السلفية بالقاهرة ، وجُدّدَت طباعتُه في بيروت مُؤخّراً ، فطُبعَ على مطابع دار الكتب العلميّة .

(٣) طُبعَت للمَرّة الأولى على المطابع السّلَفية بالقاهرة سنة ١٣٤٢ هـ ، ثم طبعت ثانيةً على مطابع دار الكتب العلمية ببيروت .

(٤) طُبعَ بدار الكتاب العربي في بيروت .

وللشيخ الموفق مصنفات أخرى غير التي وقف عندها الدارس ، ذكرت المصادر منها :

١ . كتاب " التبيين في أنساب القرشيين " (١) .
٢ . " ذم الوسواس " (٢) .
٣ . كتاب " التوابين " (٣) .
٤ . كتاب " الرقة " (٤) .
٥ . كتاب " مختصر الهداية " (٥) .
٦ . " نسب الأنصار " (٦) .
٧ . " قنعة الأريب في الغريب " (٧) .
٨ . " فضائل الصحابة " (٨) .
٩ . " بلغة الطالب الحثيث " (٩) .

---

(١) مخطوط بدار الكتب المصرية (انظر : مقدمة التنقيح المشبع ص ١٠) ومنه نسخة بمكتبة عاشر أفندي في استانبول (انظر : فهارس مخطوطات الظاهرية التاريخ وملحقاته ، وضع خالد الريان ، سنة ١٩٧٣ ، ج ٢ ، ص ٢٤٨) .
(٢) طبعت في مجموعة الرسائل المنيرية (انظر : مقدمة التنقيح المشبع ، ص ١١)
(٣) ذكر فيه توبة الملائكة ثم الانبياء ثم الملوك ثم الأمم أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم ، ثم ملوك الأسلام ثم آحاد هذه الأمة . (انظر : كشف الظنون ص ٤٠٦ (ومعجم المؤلفين : ج ٦ ، ص ٣٠) .
(٤) انظر : كشف الظنون ، ص ٢٠٤٢ ، ومعجم المؤلفين : ج ٦ ، ص ٣٠ .
(٥) اختصر فيه كتاب " الهداية " لأبي الخطاب محفوظ بن احمد بن الحسن الكلوذاني البغدادي (٤٣٢ - ٥١٠) وهو من شيوخ عبد القادر الجيلاني فيكون بذلك شيخ شيخ الموفق . (انظر : التنقيح المشبع ، ص ١٠)
(٦) طبع بعنوان " الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار " على مطابع دار الفكر ببيروت ، سنة ١٩٧١ بتحقيق علي نويهض .
(٧) ويقع في مجلد واحد . (انظر : فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ١٥٨ ، وهدية العارفين : ج ١ ، ص ٤٥٩) .
(٨) انظر : هدية العارفين ، ج ١ ، ص ٤٥٩) .
(٩) سماه بعضهم "بلغة الطالب الحثيث من صحيح عوالي الحديث" وقد خرجه ابن اخته الضياء المقدسي (انظر : مجلة معهد المخطوطات ، المجلد الثامن والعشرين ، العدد الأول ، ص : ١٥)

١٠ . كتاب " المناظرة " (١) .
١١ . كتاب " الهادي في الفقه " (٢) .
١٢ . كتاب " منهاج القاصدين " (٣) .
١٣ . كتاب " المتحابين " (٤) .
١٤ . كتاب " تحريم النظر في كتب أهل الكلام " (٥) .
١٥ . "ذم التأويل" (٦) .
١٦ . "لمعة الأعتقاد" (٧) .
١٧ . "البرهان في مسألة القرآن" (٨) .
١٨ . كتاب " العلل " (٩) .
١٦ . كتاب " القدر " (١٠) .

---

(١) في الرّد على بعض أهل البدع . (انظر : مجلة معهد المخطوطات ، المجلد التاسع والعشرين ، العدد الثاني ، ص : ٤٩٧) .
(٢) انظر مجلة معهد المخطوطات ، المجلد التاسع والعشرين ، العدد الثاني ص : ٥٢٦ .
(٣) المخطوط موجود بمكتبة كارل ماركس ـ ليبسيك ، تحت رقم : ف ٦٥٠ ، وتوجد منه نسخة مصورة بالميكروفيلم في مكتبة الجامعة المستنصرية بالعراق . (انظر : مجلة المورد العراقية ، المجلد الثاني عشر / العدد الثاني سنة ١٩٨٣ ، ص : ١٩٦) .
(٤) انظر : مجلة معهد المخطوطات ، المجلد التاسع والعشرين ، العدد الثاني ص : ٤٩٧ .
(٥) انظر : هدية العارفين ، ج ١ ، ص ٤٥٩ .
(٦) وهو عبارة عن رسالة ، وقد طبعت في مجموعة " الرّد الوافر " ثم تكرر طبعها (انظر : التنقيح المشبع ص : ١١)
(٧) طبع مرارا " في المطبعة السلفية بالقاهرة (انظر ، التنقيح المشبع ، ص ١١) .
(٨) انظر : هدية العارفين ، ج ١ ، ص ٤٥٦ ، والتنقيح المشبع : ص١٠ .
(٩) المصدران السابقان .
(١٠) المصدران السابقان .

أمّا في مجالِ الحكمِ والقضاءِ ، فقد أنجبَتْ منطقةُ نابُلسِ مجموعةً من رجالاتِ تهمّها تولّي بعضُهم القضاءَ في بَلَدِه ، وتولاّهُ بعضُهم في أنحاءٍ أُخرى من أقطارِ الخلافةِ الأسلامية . ومِن أقدمِ مَن وُلّيَ مجلسَ القضاءِ ، أبو الفَرَج محمّدُ بنُ جَوهر بنِ ذَكاءِ النابُلسي ، فقد وُلّيَ قضاءَ مصرَ ، ثمَّ صُرِفَ عنه في ربيعِ الأوّل ، سنةَ أربعٍ وتسعينَ وأربعمائةٍ (١) . وممَّن وُلّيَ القضاءَ في مصرَ أيضاً ، شمسُ الدّين محمّدُ بنُ العِمادِ الجمّاعيليّ ، ثم عُزِلَ سنةَ سبعينَ وستمائةٍ ، وكانتْ ولايتُه زمنَ الملكِ الظّاهر (٢) .

وذكرَ السّيوطي في حديثِه عن قُضاةِ الحنابلةِ ، الشيخَ موفّقَ الدّين عبدَ اللهِ ابنَ محمّدٍ المقدسيّ الجمّاعيلي ، وقال: إنه تولّى القضاءَ سنةَ ثمانٍ وثلاثين وستمائةٍ ، وبقي فيه إلى أن تُوفّي سنةَ تسعٍ وستّين وستمائةٍ (٣) . ومِن القضاةِ النابُلسيين كذلك ، ضياءُ الدّين عليُّ ابنُ خطيبِ نابُلس ، وكان شيخاً بها ، وقد عُرِفَ بفقهِه وحُسنِ سيرتِه ، وذُكِرَ أنّه تولّى قضاءَ الكَرَكِ مُدّةً (٤) . وممَّن وُلّيَ قضاءَ نابُلس ، قاضي القضاةِ نجمُ الدّين أبو عبدِ اللهِ ابنُ قاضي القضاةِ شمسِ الدّين ابن أبي الغنائمِ سالمِ بنِ يوسفَ بنِ صاعد ، فقد ولاّهُ المستعصِمُ باللهِ ، آخرُ خلفاءِ الدّولةِ العبّاسية ، أمرَ القضاءِ في القدسِ الشّريف ونابُلس ، وذلك سنةَ خمسين وستمائة .(٥)

ومِن القضاةِ المعروفين ، محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ سالم ، ولدُ القاضي المتقدّمِ ذِكرُه ، وقد وُصِفَ بأنّه إمامٌ جميلٌ متميّزٌ فاضلٌ رئيس ، وُلِدَ سنةَ عشرين وستمائةٍ ، وسمِعَ بالقدسِ وتولّى القضاءَ في نابُلسَ مدّةً ، وأُضيفَ إليه آخرَ عُمرِه قضاءُ القدس ، سمِعَ عليه جماعةٌ من بينهم الأمامُ الحافظُ شمسُ الدّين الذّهبي (٦) بقراءةِ الحافظ

---

(١) السّيوطي ، الحافظُ جلالُ الدّين عبدُ الرّحمن ، حُسنُ المحاضرةِ في تاريخِ مصرَ والقاهرةِ ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ، ط ١ ، انظر : ج ٢ ، ص ١٥١ .

(٢) المصدر أعلاه ، ج ٢ ، ص ١٩١ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) الذّيل على الرّوضتين : حوادث سنة ٦٦٣ ، ص ٢٣٧ .

(٥) الوافي بالوفيات : ج ٣ ، ص ٨٤ ، وانظر : الأنس الجليل ج ٢ ، ص ١٢٠ .

(٦) شمسُ الدّين أبو عبد اللهِ محمّدُ بنُ عثمانَ بنِ قايمازَ التّركماني الفارقيّ الأصلِ الدّمشقيّ الشّافعي ، المعروفُ بالذّهبي وقد كان يُعتبر في عصره قُدوةَ الحُفّاظ ومؤرّخَ الشّام ، ومولدُه سنةَ ثلاثٍ وسبعين وستّمائةٍ بدمشق . ولهُ مُصنّفاتٌ كثيرةٌ من أهمّها ، " تاريخُ الأسلام " و " سِيَرُ أعلامِ النّبلاء " و " ميزانُ الاعتدال في نقد الرجال " و " طبقاتُ الحُفّاظ " وولّيَ مشيخةَ الظّاهريةِ والنّفيسيّةِ والفاضليّةِ وغيرِها ، وكانت وفاتُه بدمشقَ سنةَ ٧٤٨ هـ (انظر : القلائد الجوهرية ج ٢ ، ص٣٦٩)

جَمالِ الدّين المزّي (١) بدار الحَديث لَمّا قَدِمَ دمشقَ ، وتوفي سنةَ أربع وتسعينَ وستّمائةٍ (٢) . وذَكَرَ ابنُ واصلٍ الحَموي قاضياً آخرَ هو القاضي شَمسُ الدّين ، ووَصَفَه بأنّه قاضي نابُلُس ، فلَعَلّه قاضي القُضاة شمسُ الدّين أبو الغنائم سالمُ بنُ يوسفَ بنِ صاعد ، والدُ القاضي نجم الدّين المُتَقَدّمِ ذِكرُه ، وقد كان جليلاً في الدّولة ، مُقدّماً عند مُلوكِ بَني أيوب ، وهو الّذي انتَدَبَه الملكُ الكاملُ لمُلازمة الامبراطورِ فردريك والقيامِ على خِدمته أثناءَ زيارتِه لبَيتِ المَقدس ، بعد أنْ تمّ أمرُ الهُدنة بين الطّرفَين (٣) .

أمّا الولايةُ ، فقد تَبَوّأها نَفَرٌ مِمّن يَنتَسِبون إلى هذه المنطقة ، ولا سيّما في الفترة المتأخرة من حُكم الأيّوبيّين ، وقد ظَهر منهم البَدرُ الجَعْبَريّ والي قلعةِ دمشق ، حَيثُ أقامَ واليَها مُدّةً في أيام المَلِك المُعَظَّم عيسى ، ثمّ خَدَمَ الملكَ الظّاهرَ بحلبَ ، وبقي في خدمته إلى أنْ تُوفّي ، فنُقل إلى نابُلُس حيث دُفنَ عندَ أهله ، وقد كانت وفاته سنة ستمائةٍ وثلاثٍ وعشرين (٤) . ومن الوُلاة الّذين أصابوا مَجْداً ، الصّاحبُ شَمسُ الدّين محمّدُ بنُ عُثمانَ بنِ أبي الرّجاءِ التّنوخيّ المعروفُ بابنِ السّلعوسِ النّابُلُسي ، فقد سَفَرَ عدّةَ مرّات ، وحدّثَتهُ نَفسُه بالرّياسة والسّؤدد ، إلاّ أنّ الأمورَ لَم تَنتَهِ إلى ما أحَبّ (٥) . ومن الوُلاة النّابُلُسيين ذوي الشأن ، شَرَفُ الدّين يَعقوبُ بنُ مُزهر ، الكاتبُ النّابُلُسيّ الأصلِ والمَنشأ ، فقد أُسنِد إليه أمرُ السّاحل والكَرَك أيّامَ الدّولة الظّاهرية ، فلَمّا تَولّى جمالُ الدّين بنُ رَحّالٍ الأمرَ في نابُلُس ، شَتّتَ بَني مُزهر في أقطارِ الأرضِ وتَتبّعَهم ، وحَضَر شَرَفُ الدّين إلى دمشقَ وأقامَ بها ، ورُتّبَ ناظراً بداريا ، ثم أُضيفَ إليه نَظَرُ بَرّ دِمَشقَ ، إلى أن أُسنِدَ إليه أمرُ نَظَر الدّواوين في الأيّام الشّهيديّة ، وذُكِر أنّه تَولّى نَظَرَ حَلَبَ مِراراً وبها كانت وَفاتُه سَنةَ أربعَ عشرةَ وسَبعِمائةٍ (٦) .

---

(١) يوسفُ بنُ عبدِ الرّحمن بنِ يوسفَ القُضاعي الكَلبي الدّمَشقي الشّافعي ، عُرِف في عصره بأنّه مُحَدّثُ الشّام ، وقد وُلد بظاهر حَلبَ سنة ٦٥٤ ، وسَمِعَ كثيراً ولُقّب بالحافظ ، ولَه مصنّفاتٌ منها "تَهذيبُ الكَمال" في معرفة الرجال ، و"الأطراف" وتوفي سنة ٧٤٢ هـ . (انظر : القلائد الجوهرية ج ٢ ، ص٣٦٩)

(٢) الوافي بالوفيات : ج ١ ، ص ٢٠٥ .

(٣) انظر : مُفرّج الكُروب ، ج ٤ ، ص ٢٤٤ و مرآة الزمان : ق ٢ ، ج ٨ الصفحات ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٧٠٢ .

(٤) الذّيل على الروضتين ، ص ١٥١ .

(٥) الصّقاعي ، فَضلُ الله ابن أبي الفَخر ، تالي كتاب وفيات الأعيان ، جاكلين سوبلة ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ١٩٧٤ - انظر : ص ١٥٢ .

(٦) تالي كتاب وفيات الأعيان : ص ١٧٧ .

ذَكَرَهُ ابنُ حَجَر ، (١) فجعلَ ولادتَه سنةَ ستّمائةٍ وثمانٍ وعشرين ، ووَصَفَه بأنّه من شيوخ الكُتّاب المعروفين بالكِفاية (٢) .

---

(١) أحمدُ بنُ علي بن محمّد بن محمّدِ بنِ عليّ ، الشّهابُ أبو الفضل الكِنانيُّ العَسقلانيُّ القاهريُّ الشافعيّ ، المعروفُ بابنِ حَجَر، وهو لَقَبٌ لبعض آبائه، ومَولده سنة ٧٧٣ بمصر ، وبها تلَقّى العِلمَ على عَدَدٍ من علمائِها ثمّ طاف بالبلاد يجمَعُهُ ، حتّى اجتمعَ لهُ من ذلك ما لَمْ يَجتمعْ لغيرِه في عصره . ومصنّفاتُه كثيرة ، ومنها " شرحُ صحيح البُخاري" و " المُشتَبه " و " التّهذيبُ " و " لِسانُ الميزان " ، وقد وَلِيَ القضاء مُدّةً تزيدُ على عشرين عاماً ، وتُوُفّي سنة ٨٥٢ هـ . (انظر : البدر الطالع ، ج ١ ، ص ٨٧)

(٢) ابن حجر العسقلاني ، الدُّرر الكامنةُ في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد سيّد جاد الحقّ ، مطبعة المَدَنيّ ، القاهرة ، انظر :ج ٥ ص ٢١١

الفصل الثاني

الحياة الأدبية :

لم يكن بدعاً أن يهتم أبناء منطقة نابلس بالدراسات اللغوية ، إذ أن الطابع العام لثقافتهم كان دينيا ، مما يستوجب الاهتمام بلغة القرآن الكريم وما كتب بها ، ولا سيما في ظروف كانت الثقافة العربية الاسلامية خلالها مهددة بسبب الغزو الأجنبي . وقد تجسد هذا الاهتمام بتجويدهم كتاباتهم لفظاً ومبنى ، فظهر فيهم نفر من أصحاب الأساليب البيانية ، في حين اتجه بعضهم إلى دراسة نحو اللغة من كتب الأصول ، أو على أيدي شيوخ برعوا في النحو . وقد حفظت لنا المصادر أسماء مجموعة من المتميزين في هذا الفرع من فروع المعرفة ، ومن هؤلاء ، خطيب الشام ، شرف الدين النابلسي ، المولود سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وقد كان فقيها محققا في فقه الحنابلة ، عالما باللغة العربية ، وصفه الصفدي بأنه " سريع الفهم ، بديع الكتابة ، إمام في تحرير الخط المنسوب "(١) وقال فيه غيره : " إنه كان يخطب من انشائه"(٢) ومن هؤلاء كذلك ، قاضي القضاة شرف الدين أبو الفضل الحسن ابن الشيخ الأمام شرف الدين أبي بكر عبدالله بن الشيخ أبي عمر المقدسي ،(٣) المولود سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وقد برع في اللغة ، وكان فيه أدب وحسن محاضرة . ومنهم أحمد بن محمد بن عبدالولي بن جبارة المرداوي (٤) ، المولود سنة سبع وأربعين وستمائة ، وهو ، وإن كان متأخرا زمنيا ، إلا أن في نتاجه اللغوي بشكل عام،والنحوي بشكل خاص،دلالة على أثر من سبقوه ، فقد كان ابن جبارة نحويا لغويا ، وترك مصنفات منها : " شرح ألفية ابن معطي "(٥)، و " شرح أتراب القصائد في أسنى المقاصد " (٦) للشاطبي .

---

(١) انظر : الوافي بالوفيات ،ج ٦ ، ص ٢٣١ ،وانظر كذلك : طبقات الشافعية السبكي ج ٨ ، ص ١٥ ، وبغية الوعاة : ج ١ ، ص ٢٩٤ .

(٢) انظر : درة الحجال ،ج ١ ، ص ٧٤ .

(٣) انظر : الوافي بالوفيات ، ج ١٢ ، ص ٩٣ ، والدارس : ج ١ ،ص ٥١ .

(٤) انظر ترجمته في : بغية الوعاة ، ج ١ ، ص ٣٦٣ .

(٥) كشف الظنون : ج ١ ، ص ٤٥٦ ، معجم المؤلفين : ج ٢ ، ص ١٢٥ .

(٦) كشف الظنون : ج ١ ، ص ١٢٣٣ ، معجم المؤلفين : ج ٢ ، ص ١٢٥ .

وممّن تميّزوا في مجال الدّراسات اللّغوية والنّحوية ، الفقيهُ المحدّثُ النّحويّ شمس الدّين أبو عبدالله محمّدُ بنُ عبدِالقوي بنِ بدران بن عبدِالله المقدسيّ المرداوي (١) المولودُ سنةَ ستّمائةٍ وثلاثينَ ، والمتوفّى سنةَ ستّمائةٍ وتسعٍ وتسعينَ ، وقد كانَ مولدُه بمَردا ، وإليها نسبتُه ، وكان ابنُ رجب قد جعل مولدَهُ سنةَ ثلاثٍ وستّمائةٍ ، والصّحيحُ ما تقدّم ، وهو ما عليه بقيّةُ المصادر الّتي ترجمت له . وقد سمع الحديثَ من خطيب مَردا (٢) ، ثم قدِمَ إلى الصّالحية وتفقّه على الشّيخ شمس الدّين ابن أبي عُمَرَ ، وسمع كذلك من محمّد بنِ عبد الهادي (٣) وعثمان ابن خطيب القَرافة (٤) ، ومظفّر بن الشّيرَجيّ (٥) وابراهيمَ بن خليل (٦) ، وتاجِ الدّين ابن عساكرَ (٧) ، وقرأ العربيّةَ على الشيخ جمالِ الدّين بن مالك وغيره .

---

(١) له ترجمة في : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ٢ ، ص ٣٤٢ * طبقات النحويين واللغويين / ابن قاضي شهبة ، ص ١٧٠ * الوافي بالوفيات : ج ٣ ، ص ٢٧٨ * درّة الحجال : ج ٢ ، ص ٢٦٠ * بغية الوعاة : ج ١ ص ١٦١ * شذرات الذّهب : ج ٥ ، ص ٤٥٢ * الأعلام : ج ٦ ، ص٢١٤ * معجم المؤلّفين : ج ١٠ ، ص ١٨٥ .

(٢) انظر : طبقات النّحويين واللّغويين : ص ١٧٠ .

(٣) شمسُ الدين محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبد الهادي المقدسي الحنبلي ، وقد كان فقيهاً بارعاً ومقرئاً مجوّداً ونحوياً بليغاً ، ودرّس بالصّدرية والضّيائية ، وصنّف شرحاً على "التّسهيل" في مجلّدين ، وله مناقشات مع أبي حيّان في اعتراضاته على ابن مالك . وكانت وفاته سنة ٧٤٤هـ . (انظر : بغية الوعاة ، ج ١ ، ص ٢٦) .

(٤) أبو عمرو عثمانُ بنُ عليّ بنِ عبدِالواحد القرشيُّ الأسديُّ الدّمشقيُّ الناسخُ وقد أجازَ له السِّلَفي ، وكانت وفاته سنة ٦٥٦ هـ . (انظر : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٢٧٨) .

(٥) نجمُ الدّين مظفّرُ بنُ محمّد بنِ الياسَ الأنصاريّ الدّمشقيّ ، ولي تدريسَ العَصرونية ، وكانت وفاته سنة ٦٥٧ هـ . (انظر : شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٢٨٩

(٦) ابراهيمُ بنُ خليل ، نجيبُ الدّين أبو اسحقَ الدّمشقي ، حدّثَ بدمشقَ وحلبَ وتوفي سنة ٦٥٨ هـ . (انظر : العبر ، ج ٣ ، ص٢٨٩) .

(٧) التّاجُ عبدُ الوهّاب بنُ زينِ الأُمَناء أبي البركات الحسنِ بنِ محمّد الدّمشقي ، ابنِ عساكر . وقد ولي مشيخة النّوريّة ، وكانت وفاته بمكّةَ سنة ٦٦٠هـ . (انظر : شذرات الذهب : ج ٥ ، ص ٣٠٢) .

وممّن قرأ عليه العربيّة، الشّيخ تقيّ الدّين ابن تيميّة . وقد وَلِيَ هذا العالمُ التدريسَ بالصّالحية ، وكان يَحضُرُ دارَ الحديث ويشتغلُ بها وبالجبل ، وقد قال فيه الذهبي : " كان حَسَنَ الدّيانةِ ، دَمِثَ الأخلاق ، كثيرَ الإفادة ، مُطَّرِحا للتّكلّف . . . . . . وكان من محاسن الشيوخ . . . . وجلستُ عنده وسمعتُ كلامَه ولي منهُ إجازة " (١) وشهدَ فيه ابنُ رجب أنّهُ بَرَعَ في العربيّةِ ونحوها ، (٢) وكذا ابنُ قاضي شهبة (٣) . ومن تصانيفه : القصيدةُ الداليّةُ المُسَمّاةُ " عِقدَ الفرائد وكنزَ الفوائد " (٤) وهي في خمسةِ آلافِ بيت أو تزيد ، نَظَمها في أحكام الفقه الحنبليّ . ومن مؤلفاته كذلك القصيدةُ المُسَمّاةُ " منظومةَ الآداب الشّرعية " (٤) ، وقد ترك أيضا " مُصَنّفا " سَمّاه " طبقاتِ الأصحاب " (٥) وآخرَ سَمّاه " النّعمة " (٦) ويقعُ في جُزئين ، وصَنّفَ كتابا " سَمّاه " مَجْمَع البَحرين " (٧) ولكنّه لم يُتِمّه ، وله كِتابُ " الفروق " (٨) . وممّا صَنّفَهُ ابنُ بدران في النّحو ، " المُنْتَقى من شَرح ابن مالك لكتاب عُمْدَة الحافظ وعُدّة اللافظ " (٩) فقد انتقاه وعلّقَهُ لنفسه . فمنه ما نقلهُ برُمّته ، ومنه ما نقلَه بمعناه ، ونسختُه الخطّيّةُ موجودةٌ في دار الكتُب الظّاهريّة ، وهي من نَسخ ابنِ بدرانَ نفسِه ، وتاريخُها سنةَ ستّمائةٍ وثلاثٍ وسبعين ، وتقعُ في مائةٍ وثماني وَرَقاتٍ . وقد استمرّ ابنُ بدرانَ يُحدّثُ ويُدرّسُ ، ويُعلّمُ النّحوَ والعربيّةَ عُمُرَا مايزيد على نِصفِ قَرنٍ من الزّمان، إلى أن توفّاهُ اللّهُ تعالى سنةَ تِسعٍ وتسعينَ وستّمائةٍ (١٠) .

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٣٤٢ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) انظر : طبقات النّحاة واللغويين ، ص ١٧٠ .
(٤) انظر ما كتبه الدّارس عنهما في باب الشّعر .
(٥) انظر : الذّيل على طبقات الحنابلة ، ج ٢ ص ٣٤٢ ، وشذرات الذهب ج ٥ ، ص ٤٥٢ .
(٦) المصدر السابق . وانظر : المدخل الى مذهب الأمام أحمد ، ص ٢١٠ .
(٧) الذّيل على طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٣٤٢ .
(٨) المصدر السابق .
(٩) فهرس مخطوطات الظّاهرية / النحو ، ص ٤٤٦ ، وانظر : معجم المؤلفين ج ١٠ ، ص ١٨٥ .
(١٠) انظر : دُرّة الحجال ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ ، والوافي بالوفيات : ج ٣ ، ص ٢٧٨ .

ومِمّن كانت لَهم اهتماماتٌ باللُّغةِ ، الشَّيخُ ابراهيمُ بنُ عبدِ الواحد بن عليّ بن سُرور (١) ، المعروفُ بالعِماد ، أخو الحافظِ عبدِ الغني بنِ عبدِ الواحد، وُلد بجمّاعيلَ سنةَ ثلاثٍ وأربعينَ وخمسمائةٍ ، وتَفقّهَ على مَذهب الأمامِ أحمدَ - رضي اللّهُ عنه - وسَمِعَ بِبغداد ودِمشقَ ، وحدّثَ وأقرأَ بدمشقَ مُدّةً . قال فيه المُنذري "لَقيتُه وسَمعتُ منه " (٢) ، ووَصَفهُ ابنُ تَغري بُردي (٣) بأنّه إمامٌ زاهدٌ عابدٌ حافِظٌ مُتَحدّثٌ فَقيه (٤)، وقالَ فيه غيرُهما إنّهُ صاحبُ أحوالٍ وكراماتٍ (٥)، وذُكِرَ أنَّهُ صاحبُ يدٍ باسِطةٍ في الفرائض والنّحو والخَطّ المَليح (٦) . وقد صَنّفَ كتابَ " الفُروق " في المسائل الفقهية (٧) . وكانت وفاتُه سَنةَ سِتّمائةٍ وأربعَ عشرةَ . ومن اللُّغويينَ النّابلسيّين ، الشّيخُ نَجمُ الدّينِ أحمدُ بنُ مُحمّدِ بن خَلَفِ بنِ راجح (٨) ، المُتَوفّى سَنةَ ثَمانٍ وثلاثينَ وستّمائةٍ، وقد كان حَنبليّاً

---

(١) له ترجمة في : مرآة الزمان ، ق ٢ ج ٨ - ص ٥٨٦ - ٥٨٩ * التكملة ج ٤ ، ص ٣٠٠ - ٣٠١ * الوافي بالوفيات : ج ٦ ، ص ٤٩ * فوات الوفيات : ج ١ ، ص ٣٣ * سِير أعلام النبلاء : ج ٢ ، ص ٤٧ * النّجوم الزّاهرة : ج ٦ ، ص ٢٢٠ * مرآة الجنان : ج ٤ ، ص ٢٩ * القلائد الجوهرية : ج ٢ ، ص ٣٣٥ .

(٢) انظر : التكملة ، ج ٤ ، ص ٣٠٠ .

(٣) الجمالُ أبو المحاسنِ يوسفُ بنُ تَغري بُردي الأتابكيّ ، المولودُ سَنة ٨١٣هـ وهو صاحب المُصنّفات التّالية : " المَنهل الصّافي " في ستة مجلدات ، و " مَورد اللّطافة فيمَن وَليَ السّلطنةَ والخِلافة " و " البِشارة في تَكميل الأشارة " للذّهبي ، و " حِلْيَة الصّفات " و " النُّجوم الزّاهرة ". وقد تُوفيّ في مصرَ سنة ٨٧٤ هـ . (انظر : البدر الطّالع ، ج ٢ ، ص٣٥٢.)

(٤) النّجوم الزّاهرة : ج ٦ ، ص ٢٢٠ .

(٥) مرآة الجِنان : ج ٤ ، ص ٢٦ .

(٦) فَواتُ الوَفَيات : ج ١ ، ص ٣٣ .

(٧) مُعجَمُ المُؤلّفين : ج ١ ، ص ٥٦ .

(٨) له ترجمة في : مرآة الزمان ، ق ٢ ، ج ٨ ، ص ٧٣٥ * الوافي بالوفيات ج ٨ ، ص ٢٥ * سِيَر أعلام النُّبلاء : ج ٢٣ ، ص ٧٥ * الدّارس : ج ١ ص ٣٦٨ * شَذَرات الذّهَب : ج ٥ ، ص ١٨٩ .

ثمَّ تَشَـفَّعَ (١) ، وقرأ "المقنع" على مؤلِّفه سنة ثلاث عشرة وستمائة (٢) ودرَّس في مدرسةِ الشيخ أبي عُمَرَ بقاسيون ، ثمَّ سافر إلى بغداد ، فسمعَ من أبي الفرج ابن الجوزي وغيره ، ورحَلَ إلى همدان ، فأخذ عن الركن الطاووسي (٣) ولازمه مُدَّة ، وبرَعَ في علم الخِلاف ، وصارَ له حديثٌ بتلك البلاد ومنزلة رفيعة ، ثمَّ عادَ إلى دمشق ، فدرَّس بالشاميَّة البرَّانيَّة ، وبأمِّ الصالح ، وبالعذراويّة والصارميَّة (٤) . ومن مُصنَّفاته : "شرح المعالم" لفخر الدين الرازي ، في الأصول ، وكتابُ "الفصول والفروق" . وقد شرَحَ "المُفصَّل" للزمخشري ، في النحو . وممَّن كانت لهم اهتماماتٌ باللغة من علماء المنطقة ، الزين خالد ، واسمه الكامل هو ، خالدُ بنُ يوسفَ بنِ سعدِ بنِ الحسنِ بنِ مُفرِّج بنِ بكَّار (٦) ، وكُنيتُه أبو البقاء (٧) . وُلدَ الشيخُ زينُ الدين في نابلس سنةَ خمسٍ وثمانينَ وخمسمائة ، ثم ارتحلَ في طلب العلم ، فانتقلَ إلى دمشق حيثُ التقى نُخبةً من علمائها ، فسمعَ فيها من أبي محمَّدٍ القاسمِ بنِ عساكرَ (٨)

---

(١) انظر : الدارس ، ج ١ ، ص ٣١٨ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) أبو الفضل عزيزُ بنُ محمَّد العراقيُّ القزوينيُّ ، المعروفُ بالرُّكن الطاووسي وقد كان صاحبَ طريقة ، وإماماً مناظراً مُفحماً للخصوم ، وتوفي بهمدان سنة ٦٠٠ هـ (انظر : العبر ، ج ٣ ، ص ١٢٩) .

(٤) انظر : الدّارس ، ج ١ ، ص ٣١٨ .

(٥) انظر : هدية العارفين ، المجلد الأول ، ص ٩٣ ، وإيضاح المكنون ج ٢ ، ص ٥٠٥ ، ومعجم المؤلفين ، ج ٢ ص ٩٩ .

(٦) له ترجمة في : الذّيل على الروضتين ص ٢٣٢ * تاريخ اربل ، القسم الأول ص ٣٢٧ * البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٢٤٦ * العبر : ج ٥ ، ص ٢٧٣ * ذيل مرآة الزمان ، المجلد الثاني ، ص ٣٦٦ * عيون التواريخ : ج ٢٠ ، ص ٣٢٧ * فوات الوفيات : المجلد الأول ص ٤٠٣ * تذكرة الحفاظ : ج ٤ ، ص ١٤٤٧ * شذرات الذهب : ج ٥ ، ص ٣٦٣ * طبقات الشافعية الأسنوي : ج ٢ ، ص ٥٠٥ الدّارس في تاريخ المدارس : ج ١ ، ص ٢٥ .

(٧) انظر : عيون التواريخ : ج ٢٠ ، ص ٣٢٧ .

(٨) القاسم ابن الحافظ أبي القاسم عليِّ بنِ الحسن بنِ هبة الله بنِ عساكر الدمشقي المولود سنة ٥٢٧ ، وقد سمع الكثير ، وكان محدِّثاً صدوقاً ، ومن مصنَّفاته كتابُ "فضائل القدس" وولي مشيخة دار الحديث النورية دونَ أن يتقاضى أجراً .

وحَنبَلِ الرُّصافـي (١) ، وعُمَرَ بنِ طَبَرْزَد ، وغَيرِهم ، ثُمَّ ذَهبَ إلى بغداد، فَسمعَ فيها من أبي مُحَمَّدٍ ابنِ الأخضرِ (٢) والحُسَينِ بنِ شُنَيف (٣) ، وعَبدِ العَزيز بنِ مُنَينا (٤) وطَبَقتِهم . وورَد اربلَ سَنَةَ تسعَ عشرةَ وستِّمائةٍ، وسَمِعَ فيها من راجيةَ بنتِ عبدِ اللّه (٥) وآخرين .

كان أبو البقاء إماماً في الحديث واللُّغة (٦) ، فَقيهاً ، نَحوياً ، ديِّناً ، ذَكيّاً شَديدَ التَثبُّت ، حافظاً لأسماءِ الرِّجال والكثيرِ من الألفاظ اللُّغويةِ وغَريبِ الحَديث (٧) . وكانَ يحفَظُ قِطعَةً جَيِّدةً من المُؤتَلِف والمُختَلِف من أسماء الرُّواة (٨) . وقد عُرِفَ بمُغالاتِه في مَذهب أهلِ السُّنَّة ، وبوُلَعِه في شراء الكُتبِ وبَيعِها ، وبالمُغالاة في التَعرُّفِ على خُطوط الأئمةِ بها (٩) ، على الرُّغم من أنه كان يُعاني من ضَعفٍ شَديدٍ في الكتابة (١٠) .

---

(١) حَنبلُ بنُ عبدِ اللّه الرُّصافي ، أبو عبدِ اللّه المُكبِّرُ ، قيلَ عنهُ أنَّهُ رَوى مُسنَدَ الأمام أحمدَ بكَماله ، وقد كانت وفاتُه سنةَ أربعٍ وستمائةٍ . (انظر : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ١٢) .

(٢) أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك الجُنابذي ، ثُمَّ البَغدادي ، ولد سنةَ أربع وعشرين وخمسمائة وسَمعَ من جماعة من العُلماء ، ونَسخَ وحَصَّل الأُصولَ الثَّمينةَ ، وحَدَّثَ نَحْواً من سِتِّينَ عاماً ، وكانَت لهُ حَلْقَةٌ بجامع القَصر ، وعُرِف بحُسن الخُلُق، ورقَّةِ الطَّبع والأَمانة ، وقد تَتلمذَ عليه الكثيرونَ، من بينهم ابنُ الدُّبيثي وابنُ النَّجّار والضِّياءُ المَقدسيّ ، وكانت وفاتُه إحدى عشرة وستّمائة (انظر : تذكرة الحفاظ ، ج ٤ ، ص ١٣٨٣) .

(٣) الحسينُ بنُ سَعيد بنِ شُنَيف ، أبو عبد اللّه . وكان مُحَدِّثاً ، سَمِعَ من هِبَةِ اللّهِ بنِ الطَّبَرِ وجَماعة ، وتُوفّي ببغدادَ سنة عشرٍ وستّمائة (انظر : العبر ، ج ٣ ، ص ١٥٧) .

(٤) أبو محمد ، عبدُ العزيز بنُ مُصالِ بنِ غُنَيمةَ البَغدادي الأُشنانيّ ، المُحدِّثُ العِراقيُّ ، وقد كانت وفاتُه سنةَ اثنتي عشرة وستّمائة . (انظر : العبر ، ج ٣ ، ص ١٥٧) .

(٥) راجيةُ بنتُ عبدِ اللّه (عَتيقةُ عبدِ اللطيف ابنِ أبي النَّجيب) مُحَدِّثةٌ ، سَمعَت من عبدِ الأَوّل السِّجْزيّ ، وسَمِعَ منها جماعةٌ ببغدادَ واربلَ . (انظر : اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام ، ج ١ ، ص ٤٣٥)

(٦) تاريخ اربل : ق ١ ، ص ٣٢٧ .

(٧) تذكرة الحفاظ : ج ٤ ، ص ١٤٤٧ .

(٨) ذيل مرآة الزمان : ج ٢ ، ص ٣٢٦ .

(٩) تاريخ اربل : ق ١ ، ص ٣٢٧ .

(١٠) فوات الوفيات : ج ١ ، ص ٤٠٣ .

دَرَّس أبو البقاء بدار الحَديث النّورية في دمشق ، ووليَ مشيخَتَها (١) . وتَرَدَّدَ إلى المدرسة الشّامية البَرّانية مُدّة سنتين، إلاّ أنّه عند ما قرأ كتابَ وقفها ، وجَدَ من شَرطها المَبيتَ بها ، فقامَ لِوَقته ، وحَسَبَ ما وَصَلَ إليه من الجامِكيّة (٢) في تلكَ المُدّة ، وباعَ من كتُبه ومَوجودِه بمقدار ما وَصلَ إليه ، وحَمَلَهُ إلى ناظر المَدرسة ، وتَوَقّفَ هذا في أخذه ، وقال : أنا أُسيغُ لكَ تناولَ ذلك . فقال : ليس نَحنُ كالنّصارى يُبيح لَهم القسّيسُ ويُحَرّمُ عَليهم (٣) وقد حَدّثَ عن الحافظ زَين الدّين جَماعةٌ من الفُضَلاء ، من بينهم الشّيخُ تاجُ الدّين الفِزاري (٤) والشّيخُ مُحيي الدّين النَّوَوي ، والشّيخُ تَقيُّ الدّين القُشَيريُّ (٥) ، وأبو عبدِ الله المُلَقّنُ (٦) والكَمالُ ابنُ النّحاس (٧) ومُحيي الدين يحيى ابنُ المَقدسيّ ، (٨) وغيرهم .

---

(١) البداية والنهاية : ج ١٣ ، ص ٢٤٦ .

(٢) الجامِكيّةُ : ج جامِكيّات ، وتَعني : مُرَتّبُ خُدّام الدّولةِ منَ العَسْكريّة والمَلَكيّة (تركية) انظر : المنجد في اللغة والأدب ص ١٠٢ .

(٣) عيون التّواريخ : ج ٢٠ ، ص ٣٢٧ .

(٤) تاجُ الدّين أبو محمد عبدُ الرحمن بنُ ابراهيمَ بن سِباع الفِزاريُّ الدّمشقيُّ الشافعيُّ ، وقد كان فقيهَ الشّام وبارعاً في المُناظرة ، وكانت وفاته سنة ٦٩٠ هـ (انظر : العبر ، ج ٣ ص ٣٧٣)

(٥) الشّيخُ تَقيُّ الدين مُحَمّدٌ ، أبو الفتح بنُ أبي الحَسن عَليّ بنِ أبي العَطاء وَهْب بن أبي السّمع مُطيع القُشَيري ، المَنفلوطي ، المعروفُ بابن دَقيق العيد ، (وقد تَقَدّمت ترجمته) .

(٦) الشّيخُ عليُّ المُلَقّنُ بنُ مُحَمّد بنِ عَليّ بنِ بُقاء الصّالحيّ المقرئُ البَغداديّ ، عاش ستّاً وثمانينَ سَنَةً ، وتوفيّ سنة ٦٩٨ هـ . (انظر : العبر ، ج ٣ ، ص ٣٩٢)

(٧) العَلاّمة بهاءُ الدّين أبو عبد الله محمّدُ بنُ ابراهيمَ الحَلَبيّ ، كانَ شيخَ العربية بالدّيار المصرية ، وتوفي سنة ٦٩٨ هـ (العِبَر ، ج ٣ ، ص ٣٦٢)

(٨) مُحيي الدّين يَحيى بنُ الشّيخ كَمالِ الدّين أحمدَ بنِ نِعْمةَ المَقدسيّ الشّافعيُّ ، وقد كان فَقيهاً مُحَدِّثاً ، وَمولدُه سنة ٦٣٠ هـ . (انظر : تالي كتاب الوفيات ص ١٧٨) .

وقيلَ في صِفاته الخُلْقيةِ أنّه كان أسمَر شديدَ السُّمرة ، قصيراً وبه عرج . وقد كان على جانب كبير من الفِطنة والذّكاء (١) . وقد قال فيه الذّهبي " وله صورة كبيرة تنطوي على صِدق وزُهدٍ وأمانة " (٢) . وذُكِر أنه كانت فيه سهولة في الأخلاق وخِفّة في الظّلّ ، فقد قال فيه الكُتُبيّ : " كان ظريفاً حلو النادرة " (٣) .
ولعلّ هذه المَزايا هي التي جعلته أثيراً لدى الملكِ النّاصر (٤) ، فقد كان يُحِبّه ويُكرمه . ومما يُروى ، أنّه كان يوماً في مجلس الناصر ، فأنشد شاعرٌ قصيدة يمدحُه بها ، فخلع الزّينُ خالدٌ سَراويله ورماه على الشّاعر ، فضحك الناصر وقال : ما حَمَلك على هذا ؟ ! قال : لم يكنْ معي ما أستغني عنه غَيرُه . فعجب الناصرُ منه ووَصلَه (٥) .
وفي عام ثلاثة وستين وستّمائة ، انتقل الشيخُ إلى جِوار ربّه ، وقد ذكر ذلك أبو شامة (٦) ، وقال : " وصلّيتُ عليه إماماً خارجَ باب الصّغير ، وكانت له جنازة حافلة ، ودُفِنَ في مقابرِ باب الصغير " (٧) .

---

(١) تذكرة الحُفّاظ : ج ٤ ، ص ١٤٤٧ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) فوات الوفيات : ج ١ ، ص ٤٠٣ .

(٤) الملك الناصر داوُدُ بنُ عيسى بن أبي بكرِ بنِ محمّد بنِ أيّوب بنِ شادي صاحب الكرك ، وقد وُلد الملكُ الناصر سنة ٦٠٣ ، ونشأ في حياة أبيه ملازماً للاشتغال بالعلوم على اختلافها وشارك في كثير منها وجعل منها طرفاً جيداً ، وقد دارت بينه وبين الملك الكامل منازعات . (انظر : ذيل مرآة الزمان ، ج ١ ، ص ١٢٨ . والسلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ، ق ٢ ص ٢٩١ وما بعدها) .

(٥) فوات الوفيات : ج ١ ، ص ٤٠٣ .

(٦) عبدُ الرّحمن بنُ اسماعيل بن ابراهيم بنِ عثمان شهاب الدين الدّمشقي الشافعي المشهور بأبي شامة . ولد سنة ٥٩٦ هـ بدمشق ، واعتنى بالقراءات والحديث ، وأتقن اللغة ودَرّس وأفتى ، ووَلي مشيخة دار الحديث الأشرفية ومن تصانيفه " نظم المُفصّل " للزمخشري ، و " مُقدّمة في النحو " و " الباعث على انكار الحوادث " و " مختصر تاريخ ابن عساكر " وغير ذلك (انظر : بغية الوعاة ، ج ٢ ص ٧٨ . وغاية النهاية في طبقات القُرّاء : ج ١ ص ٣٦٥) .

(٧) الذيل على الروضتين : ص ٢٣٣ .

أمّا فيما يتعلّق بالشّعر ، فيبدو للدارس أنّ الثّقافة الدّينية ، في منطقة نابلس ، قد غلبت على كلّ ثقافة ، وأنّ بعض الناس في هذه المنطقة كانوا يتحرّزون في مواقفهم من الشعر . ففقيههم الشيخ عبد الغني بن عبد الواحد مثلاً ، كتب رسالة سمّاها " أحاديث الشّعر " (١) ، عرض من خلالها لموقف الإسلام من الشّعر بوجهيه ، المتقبّل والمتحرّز ، وأورد مجموعة من الأحاديث والأقوال التي لا تشجّع على نظم الشّعر . ولذا فقد كان أغلب ما نجده من شعر أولئك ، شعر فقهاء ، لا شعر شعراء . أمّا أقدم ما وصلنا من شعر النابلسيين ، فهو ما أوردته المصادر من نتف تنسب للشاعر ادريس ابن يزيد النابلسي ، المعاصر لأبي تمّام . ثمّ انقضت فترة طويلة دون أن يظهر شاعر يحظى بالاهتمام ، وبقي الأمر كذلك إلى حين قيام الدولة الأيوبية ، إذ ظهرت طبقة من الفقهاء كانت تنظم الشعر ، وقد حفظت لنا كتب التّراث بعضاً منه . وفي نهاية القرن السادس برز شاعر حاز شهرة لدى معاصريه هو الرشيد النابلسي .

والناظر في شعر الفقهاء الذي أشرت إليه آنفاً ، تتبدّى له في هذا الشّعر ، بصورة واضحة ، الثّقافة الدينية التي حكمت موضوعاته ، كما يتبيّن على سبيل المثال في شعر نظمه فقيه نابلسيّ موفّق الدّين عبد الله ابن قدامة (٢) ، اذ يقول :

لا تجلسنّ بباب من   يأبى عليك دخول داره
وتقول حاجاتي إليه يعوقها إن لم أداره
فاتركه واقصد ربّها   تقضى وربّ الدّار كاره (٣)

وهذه الروح الدّينية تبدو كذلك واضحةً في شعر لهذا الفقيه ، تغلب عليه نزعة الزّهد والتّفكّر بمصير الانسان وما يؤول إليه بعد الموت .

---

(١) مخطوط رقم ٣٧٦٧ ، مجاميع ٣٠ / دار الكتب الظاهرية ، انظر : ص١٠٠ وما بعدها .
(٢) له ترجمة في باب الفقه من هذه الدراسة .
(٣) انظر : مرآة الزمان ، ق٢ ، ج ٨ ، ص٦٢٨ ، والبداية والنهاية : ج ١٣ ، ص١٠٠

يقول مُوفّق الدّين من قصيدة له :

أبَعدَ بَياضِ الشّعرِ أعمُرُ مَسْكناً ... سوى القبرِ ، إنّي إنْ فعلتُ لأحمَقُ
يُخبّرني شَيبي بأنّي مَيّتٌ ... وَشيكاً ، فيَنعاني إليّ ويَصدُقُ
يُخرّقُ عُمري كُلّ يومٍ وليلةٍ ... فهل مُستطاعٌ رقعُ ما يتخرّقُ
كأنّي بجسمي فوقَ نَعشٍ مُمدّداً ... فمن ساكتٍ أو مُعولٍ يتحَرّقُ
إذا سُئِلوا عنّي أجابوا وعَولُوا ... وأدمُعُهم تنهلّ : هذا المُوَفَّقُ
وغُيّبتُ في صَدعٍ منَ الأرضِ ضَيّقٍ ... وأُودِعتُ لَحداً فوقَه الصّخرُ مُطبِقُ
ويَحثو علَيّ التُّربَ أوثَقُ صاحبٍ ... ويُسلِمُني للقبرِ مَن هو مُشفِقُ
فيارَبّ كُنْ لي مُؤنِساً يومَ وَحْشَتي ... فإنّي بما أنزلْتَهُ لَمُصَدِّقُ
وما ضَرّني أنّي إلى اللّهِ صائِرٌ ... ومَن هو مِن أهلي أبَرُّ وأرفَقُ (١)

وهذه النّزعةُ الزّهديّةُ ذاتُها نَجِدُها كذلك عند أخي المُوَفّقِ ، محمّدِ بنِ أحمدَ ابنِ محمّدِ بنِ قُدامة (٢) ، كما يَتبيّن من بَيتيه التاليين :

ألمْ يكُ مَلهاةً عن اللّهوِ أنّني ... بَدا لِيَ شَيبُ الرّأسِ والضّعفُ والألَم
ألَمَّ بِيَ الخَطبُ الذي لو بَكيتُه ... حَياتي حتى ينفَدَ الدّمعُ لم أُلَم (٣)

وهذا نموذجٌ آخرُ من شِعرِ الفُقهاء ، يَتمثّلُ فيما قالَه الفقيهُ المحدّثُ عبدُ الرحمن ابنُ عبد المنعم بن نِعمة (٤) النابُلسي ، المُتوفّى سنة ستمائة وست وخمسين ، مُشيداً بعلمِ الحديث وفوائدِه :

ياطالباً علمَ خيرِ العِلمِ مُجتهداً ... علم الحديثِ تَحوزُ اليُمنَ والرّشدا
مافي العلومِ له مِثلٌ يُماثِلُه ... فاطلبْهُ مُقتصِداً ، تَسعَدْ به أبَدا
فالفقهُ يُبنى عليه ، حَيثُ كان إذ ... الأحكامُ مَأخذُها منه إذا وُجِدا (٥)

---

(١) انظر : مرآة الزمان ،ق ٢ ، ج ٨ ، ص ٦٣٠ وانظر أيضاً : البداية والنهاية ج ١٣ ، ص ١٠٠ .
(٢) هو الشيخ أبو عمر ، انظر ترجمته في باب الزهد وعلوم الحديث من هذه الدراسة .
(٣) ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٦٠ .
(٤) انظر ترجمته في باب علوم الحديث والزهد من هذه الدراسة .
(٥) انظر : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ .

غير أن النماذجَ المتقدمةَ لا تَعني بالضرورة أنّ الشُّعراءَ من الفقهاء قد أغلقوا د ونَهم جميعَ أبواب الشّعر الّا بابَ الفقه ، إذ قد نَجد لهؤلاء شِعْراً جَميلاً في غير هذا الباب ، من ذلك ما قاله في الوفاء والمودّة ، الفقيهُ أبو البقاء خالدُ ابنُ يوسفَ بنِ سَعْد النّابُلسي (١) ، المتوفي عام ستّمائة وثلاثة وستين إذ يقول :

أبا حَسَنٍ إنّي إليكَ وإن نَأَت — رِكابي إلى بَغداد ما عِشْتُ تائقُ
ولَو عَنّت الأقدارُ قَبْلي لِعاشِقٍ — لَما عاقَني عن حُسْنِ وَجهِكَ عائقُ (٢)

ويقول أيضاً في الغرض نفسه :

يا رَبِّ بالمَبعوثِ من هاشمٍ — وصِهْرِهِ والبِضْعَةِ الطُّهْرِ
لا تَجعلِ اليومَ الذي لا تَرى — عينايَ تاجَ الدّينِ من عُمري (٣)

ويقول عبدُ الحَميد بنُ مُرّي بنِ ماضي القَراوي الحَسّاني (٤) ، في مدح رجل اسمُه مُظَفّرُ الدّين :

مُظَفّرُ الدّين هذا قاصداً رَجُلٌ — ناداكَ وهو بحِمل الفقرِ مَوصوب
أبانَه الدّهرُ عن رَبْع فأبعَدَه — ومَن يُحارب هذا الدهرُ مَحْروب
يا مَن أعادَ عيونَ المَجد مُبصِرةً — قَميص نائله والمجد يعقوب
ومن له شَرَفٌ ما مِثلُه شَرَف — على قلوب عبادِ اللّه مكتوب
وعِرْضُه عن جَميع الذّمّ مُمْتَنِعٌ — ومالُه في ذَوي الحاجاتِ مَوهوب
وكُنتُ أُعِيذُ نَفسي منكَ بُغيَتَها — واليومَ ها أنتَ والدُّنيا وأيّوب (٥)

---

(١) وكان يُعرَف بالزَّين خالد ، انظر ترجمته أثناء حديثنا عن اللغة .
(٢) انظر : تاريخ اربل ، القسم الأول ، ص ٣٢٧ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) تجد له ترجمة في باب علوم الحديث والزّهد من هذه الدراسة .
(٥) هذا الشعر كتبه صاحبه لابن المستوفي سنة ٦١٨ هـ . انظر : تاريخ اربل القسم الأول ، ص ٣١٥ .

ولم يكن الجَمعُ بينَ الفقهِ والأدبِ أمْرًا غيرَ عاديّ ، فهذا أبو بكر محمّدُ بنُ عبدالواحد ابنِ عبدالجليل المَخزومِيّ اللُّبْنِيّ (١) ، الذي وُصِفَ بأنّهُ صاحبُ النَّظمِ الجَيّد ، له قصيدة خَسَرَج بها عن طريق الفقهاء ، يقول فيها :

هوى مافي فُؤادي أم حَريقُ ... وما في فيكِ ريقٌ أم رَحيقُ
وكيفَ يكونُ ريقُكِ غيرَ خَمرٍ ... وَطَرْفُكِ مثلُ قلبي لا يُفيقُ
لَقدْ حَمَّلتِ جسمي وهو بالٍ ... كَخصْرِكِ في الهوى مالا يُطيقُ
ولمّا أنْ نظمتِ بفيكِ دُرًّا ... تَناثَرَ من مَدامِعِيَ العَقيقُ
وفي نَعمانَ شُقّ عليكِ قلبي ... من الأشواقِ فاحمرَّ الشَّقيقُ (٣)

ومن الفقهاء الشعراء ، عونُ الدين أبو اسحقَ يَحيى بنُ عبدِالملكِ بنِ محمود النابُلُسي (٤) الّذي يقول :

ولو تَركَ العُقوقَ وحادَ عَنه ... حَمَلْتُ إليه من الاثقالِ وَقرا
ونالَ بذاكَ مايَهواهُ منّي ... ولم أقبلْ لِلَومٍ فيه عُذرا
وإنْ مادامَ مُرتكِبًا طَريقًا ... يُفرِّقُ بيننا سِرًّا وجَهرا
فلستُ أرى قطيعَتَهُ حَراماً ... ولا الفعلَ المضلِّلَ فيه نُكْرا (٥)

وذكر ابنُ كثيرٍ أنّ الشيخَ عبدَالله بنَ غانم بنِ عساكر (٦) ، صاحب زاوية الصوفية

---

(١) فقيه حنبلي ، وقد كان معيدًا للناصرية وقاضيًا لبعلبك ، وذكره صاحب المُشتَبه فجعل وفاتَه أيامَ هولاكو ، وهذا يعني أنه توفي في حدود سنة ٦٥٦ هـ واللُّبني نسبة إلى لُبْنَ من أعمال نابُلس (انظر : تكملة إكمال الاكمال ، ص٢٨٨ ، وانظر : المشتبه ، ج ٢ ، ص ٥٦١ ، وتبصير المشتَبه : ج ٣ ، ص١٢٢٧)

(٢) نَعْمان : وادٍ بأرض الشّام قرب الفرات . انظر : القاموس المحيط ، ج٤ ص ٨٢ !

(٣) انظر : تكملة اكمال الاكمال ، ص٢٨٨ .

(٤) ذكره صاحب " تلخيص مجمع الآداب " وأورد له الأبيات المذكورة دون أن يترجمَ له ، ولم أجد له ترجمة في أيّ مصدرٍ آخر (انظر: تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق٢ ، ص ٩٨٧)

(٥) المصدر السابق .

(٦) انظر ترجمته في باب الزهد وعلوم الحديث من هذه الدراسة .

بنابُلُس ، كانت له أشعارٌ رائقةٌ (١) ، وقد ذكره اليُونيني (٢) كذلك ، وأورد من شعره أبياتاً منها قوله :

لَكَ في القلوبِ منازلٌ ومَقامُ — لا العقلُ يدركُها ولا الأفهامُ
ولِروحِ مَن يهواكَ فيها شارةٌ — لا الطَّرفُ يلحظُها ولا الأوهامُ
ولِقلبيَ المشتاقِ فيكَ صَبابةٌ — لا الدهرُ يُنفِدُها ولا الأيّامُ
وسَرَت إلى الأرواحِ منكَ نُسَيمَةٌ — سَكِرَت بها العشاقُ فيكَ وهاموا
مَن أصبَحَت خَطَراتُ ذِكرِكَ قُوتَه — وفؤادُه مأواكَ ، كيفَ يُنامُ ؟!
ومَنِ التَجَت بجنابِ عِزِّكَ روحُه — واستمسَكَت بعُراكَ ، كيفَ يُضامُ ؟!
ومَن احرقَت نيرانُ حُبِّكَ قلبَهُ — شوقاً إليكَ وهامَ ، كيفَ يُلامُ ؟!
فالوجدُ وجداً ، إنْ عَراكَ ، ولا الهوى — إلا هواكَ ولا الغرامُ غَرامُ
وإذا خَلَت منكَ الخيامُ وأصبَحَت — تؤوي سِواكَ فما الخيامُ خِيامُ (٣)

وأورد له اليونيني كذلك أبياتاً أُخرى يَرُدُّ فيها على من يقول بتعميم الحُكم في تحريم السَّماع (٤) ، فيقول :

يا مُنكراً فضلَ أهلِ الفضلِ والأدبِ — وناسِباً فِعلَهم ظُلماً إلى اللَّعِبِ
قومٌ لهم عندَ ذِكرِ اللهِ أفئِدَةٌ — تَطيرُ شَوقاً لِفَرطِ الحُبِّ والطَّلَبِ
قلوبُهم بالغِنى باللهِ قد مُلِئَت — فما لهم حاجةٌ في الخَلقِ والسَّبَبِ

---

(١) انظر : البداية والنهاية ، ج ١٣ ، وفيات سنة ٦٧٢ هـ .
(٢) عبد الله بن عثمان بن جعفر اليونيني ، وقد كان شيخاً زاهداً عابداً ، عرف بشجاعته اذ قيل عنه أنه لم يكن يبالي بالرجال قلّوا أو كثُروا ، وكانت له كرامات ورياضات وإشارات . ومن مصنّفاته : " ذيلُ مرآة الزّمان " ، وتوفي ببعلبك سنة ٦١٧ هـ ، وقد جاوز الثمانين . (انظر : القلائد الجوهرية ج ٢ ، ص ٣٥٥) .
(٣) انظر : ذيل مرآة الزمان ، ج ٣ ، ص ٥٢ .
(٤) كان الشيخ جمال الدين عبد الرحمن بن سليمان بن سعد الحَرّاني المُتَوَفّى سنة ٦٧٠ هـ ، قد كتب أبياتاً يذمّ فيها السماعَ وأهلَه ، وأرسل بها إلى الشيخ عبد الله ، فكتب الشيخ أبياته هذه يَرُدّ فيها على أبيات الشيخ جمال الدين ، وذلك على طريقة المعارضات . (انظر : مرآة الزمان ج ٣ ، ص ٥٦) .

قـد أصبحَتْ في رياضِ القُربِ ساكنـةً — أرواحُهم فَفَدَت بالأُنسِ والطَّـرَبِ
عَجبتُ منكم ، وأنتم أيّها الفُقهـا — أهلُ الحديث وأهلُ الفضلِ والأدبِ
كَحُضْتُم القولَ في أهلِ السَّماعِ فلَـمْ — تُبقوا على أحَدٍ في السَّبِّ والغَضبِ
لا تُهلِكوا دينَكم بالذمِّ للفُقَـرا — أهلِ السَّماعِ فهذا غايةُ العَطَـبِ
هذا السماعُ له أهلٌ يُخَصُّ بهـم — وغيرُهم منه في لَهوٍ وفي لَعِـبِ
فاللهو منهُ حَرامٌ ليس يَحضُـره — إلّا العوامُ وأهلُ اللّغوِ والنَّصَـبِ
والحقُّ منه حلالٌ طَيِّـبٌ نَفِـسٌ — خالٍ من اللغوِ والأهواءِ واللَّعِبِ (١)

ومن لهم شعرٌ من المحدِّثين النابُلسيين ، زينُ الدين أحمدُ بنُ عبدالدائم بن نعمـة (٢) ، المولودُ بفندق الشيوخ سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وقد أورد لـه له الصَّـفدي بيتين من الشعر قالهما في الاجازة :

أجَـزْتُ لهم عنّي روايةَ كلِّ مـا — روايتُهُ لي مع تَوَقٍّ وإتقـان
ولستُ مُجيزاً للرُّواةِ زيـادةً — بَرئتُ إليهم من مَزيدٍ ونُقصـان (٣)

وذَكَـرَ له الكُتُـبي (٤) أبياتاً قالها لما أضَـرَّ (٥) ، منها قولُـه :

---

(١) ذيل مرآة الزمـان ، ج٢ ، ص ٥٢ .
(٢) له ترجمة في باب الزهـد وعلوم الحديث من هذه الدراسة .
(٣) الوافي بالوفيـات : ج٧ ، ص ٣٥ .
(٤) محمد بنُ شاكر بنُ أحمدَ بن عبدالرحمن بن شاكر ، صلاح الدين ، المـؤرخ الكُتُبي الداراني ، ثم الدمشقيّ ، وقد سمع من عدد من العلماء ، وكان فقيراً مُدقعاً ، ثم تعاطى بتجارة الكتـب فرزق منها مالاً طائلاً ، وكان ذا مـروءة. وهو صاحب " فوات الوفيات " المعجم التاريخـي المعروف ، وتوفي سنـة ٧٦٤ هـ . (انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ابن حجـر العسقـلانـي ، ج٣ ، ص ٤٥١)
(٥) أضَـرَّ : ذهبَ بَصـره ، يقال : رَجُلٌ ضَـريرٌ ، أيْ ذاهبُ البَصَـر ، والجمع أضِـراء (انظـر : لسان العرب ، ج٤ ، ص ٤٨٣) .

إن يذهب الله من عينيَّ نورهما فإن قلبي بصيرٌ ما به ضرر
والله إنّ لكم في القلب منزلةً ما نالها قبلكم أنثى ولا ذكر
وصالكم لي حياةٌ لا نفاد لها والهجر موتٌ فلا عينٌ ولا أثر (١)

وله شعرٌ تحدّث فيه عن منسوخاته ، فذكر أنّه نسخ في حياته ما يزيد على ألفي مجلّدة ، إذ يقول :

عجزتُ عن حمل قرطاسٍ وعن قلم من بعد ألفيَّ بالقرطاس والقلم
كتبتُ ألفاً وألفاً عن مجلّدة فيها علوم الورى من غير ما ألم
ما العلمُ فخرُ امرئٍ إلّا لعامله إن لم يكن عملٌ فالعلمُ كالعدم (٢)

وله أبياتٌ أخرى يتعجّل فيها الموت ، قال فيها :

أشكو إلى الله لا أشكو إلى أحد طول السقام وطول الهمّ والكمد
لو قيل لي ما الذي تهواه قلتُ إذن موتاً ، وأخرج عن مالي وعن ولدي
ألقى الإله وأرجو منه مغفرةً إني لأرجو رضاء الواحد الصمد (٣)

أمّا أكثرُ الفقهاء نظماً وأطولهم نفساً وأشيعهم ذكراً في هذا المجال ، فهو الشيخ شمسُ الدين أبو عبد الله محمدُ بنُ عبد القوي بن بدران المرداوي ، صاحبُ المنظومة الداليّة المعروفة باسم " عِقد الفرائد وكنز الفوائد " ، وصاحبُ المنظومة المسماة بـ " منظومة الآداب " . أمّا المنظومةُ الأولى ، فقد جمع فيها صاحبُها أحكامَ الفقه الاسلامي على مذهب الإمام أحمدَ بنِ حنبل ، وتقع في بضعة آلاف بيت من الشعر دونما تنويع في الرّوي والقافية والبحر .
والقصيدة شاهد على نفسٍ شعريٍ طويل ، وعلمٍ غزير في موضوعها ، وثروةٍ لغوية واسعة ، وهي في جزأين كبيرين ، وقد طبعت عام ألفٍ وتسعمائة وأربعة وستين .
وقد استهل ابن بدران منظومته تلك بحمد الله والثناء على رسوله الكريم ، ثم بيّن سبب وضعه لهذه المنظومة ، فذكر أنه وقف على منظومة ليحيى بن يوسف (٤)

---

(١) فوات الوفيات : المجلد الأول ، ص ٨١ .
(٢) انظر : نكت الهميان ، ص ٩٦ .
(٣) انظر : عيون التواريخ ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ .
(٤) أبو زكريا ، جمال الدين يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصاري الصرصري الضرير وقد كان فقيهاً زاهداً وأديباً شاعراً ، وله ديوان مدح به الرسول صلى الله عليه وسلّم ، وكانت له رواية . وقتل يوم دخل التتار بغداد سنة ٦٥٦هـ (انظر : مختصر طبقات الحنابلة ، ص ٥١)

علىٰ "مختصر الخرقي" فراقت له ، ولمّا كان النظم يُيسّر الأمر على المتعلم ويغنيه عن كثير من التفصيلات ، ويُسهّلُ عليه أمرَ الحفظ ، فإنه نَحَى هذا المنحى . ولا شكّ في أنّ الرّجلَ مُتأثّرٌ بما شاعَ في عصره في هذا المجال ، فظاهرةُ نظم العلوم من الظّوابع القائمة في عصره ، كما يُمكن أن يُستخلص من البيتين التاليين :

فَشَوّقَني لمّا تدبّرتُ نظمَه … فَكُنتُ لِسمعي نَظْمُهُ مثلُ مَنْ حُدي (١)
لَهُ فيه فَضلُ السّبْقِ ، والأسُّ أسُّهُ … ونحنُ على ما سَنّ نَجني وَنقتدي (٢)

وقد عدّد ابن بدران في منظومته المصادر التى أخذ عنها الأحكام الفقهية التى تمثل مضمون هذه المنظومة ، ثم شرع في بيان منهجه الذى جرى عليه في تقييده لهذه الأحكام ، ثم تناول أبواب الفقه باباً باباً ، محاولاً ما أسعفه النظم ، استيعاب الموضوع ضمن الباب الواحد من جميع جوانبه . ومن أمثلة ذكره لبعض مصادره في هذه المنظومة قولُه :

فَنَظَمْتُ مع نَزْرٍ له باستخارةٍ … على "مُقنِع" الشيخ الإمام المُمَجَّد
مُوفّقِ دينِ اللهِ حقّاً وحبرِهِ … ألا ذاك عبدُالله أعني ابنَ أحمد (٣)
تصانيفُ تَجلو للقلوبِ عن الصّدى … بها كلُّ مَعنىً شائعٍ غيرِ مُبْعَدِ
تلقّيتُه عنه بواسطةِ السّدى … تُشدُّ إليه اليَعمُلاتُ لِمَقصَد (٤)
إمامِ الهدى شمسِ الشريعةِ والهدى … أبي عُمرٍ قُطبِ الزّمانِ مُحمّد (٥)

---

(١) يشير الى المنظومة التى وضعها يحيى بن يوسف الصرصري ، من شعراء القرن السابع ، على "مختصر الخرقي" .
(٢) انظر البيتين في : عِقد الفَرائد وكَنز الفَوائد ، ص ٦ .
(٣) عَنى به الشيخَ مُوفّقَ الدين عبدَالله بنَ أحمد بنِ قُدامة . انظر ترجمته في الفصل الأول من هذه الدراسة .
(٤) اليَعْمُلات : مفردها يَعْمَلَة ، وهي الناقة النّجيبة . (انظر : القاموس المحيط ج ٤ ، ص (٢) .
(٥) الشيخ أبو عمر ، هو محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ قُدامةَ الجَمّاعيلي ، انظر ترجمته في حديثنا عن الحديث والزهد . وانظر الأبيات في : عقد الفرائد ، ص٧ .

ومن تلك المصادر ما ذكره بعد ذلك ، فقال :

وسُقتُ زياداتِ "المُحرَّر" (١) كلَّها — وما قد حوى من كلِّ قيدٍ مُجوَّد
فما فوقَ مرمى المجدِ في العلمِ مرتقى — وغايتُه القصوى على رغمِ حُسَّد
وما قد حوى "الاقناعُ" للعالِمِ الذي — بقبضته التحقيقُ غيرُ مُقلَّد
عليّ بنِ عبدِ الله ذاكَ ابنُ نَصرِهِم — أبو الحسنِ (٢) المشهورُ في كلِّ مَشهد
وشيئاً من الكافي الكفيل بُبغيَتي — وشيئاً من المغني المحيطِ بمَقصد (٣)
وضمَّنتُه من غايةِ المجدِ نُبذةً — وذلكَ في شرحِ الهداية فاقصد (٤)

وفي بيانه للمنهج الذي جرى عليه في تقييده للأحكام الفقهية في هذه المنظومة يقول :

وقد اكتفي في ضابطٍ بعُمومه — وأجمعُ ما بينَ النظائر فاهتد
لقصد اختصارٍ أو لتوضيح مُشكِل — فربَّ امرئٍ بالشيءِ للشيءِ يهتدي
وزدتُ عليهِ ما تيسَّر نظمُه — وقيَّدتُ فيه بعضَ ما لم يُقيَّد
وثنتانِ أو قولانِ عن أحمدٍ ترى — وجهان كُنّي عنهما بالتردّد
وأقوى اجعَلَنْ وجهاً وأولى روايةً — كذا القصدُ في المنصورِ ثمَّ المسدَّدِ (٥)

---

(١) المقصود هنا هو كتاب " المحرَّر في الفقه " للشيخ الأمام مجد الدين عبد السلام بن تيمية (وقد تقدمت ترجمته) .

(٢) أبو الحسن الزاغوني ، علي بن عبد الله بن نصر ، أحد أعيان المذهب الحنبلي ببغداد ، وقد كان مُحدِّثاً واعظاً ، وروى عنه خَلقٌ كثير وتفقّه عليه جماعةٌ منهم : أبو الفرج ابن الجوزي . ومن مصنفاته في الفقه : "الأقناعُ" في مجلد واحد و "الواضحُ" و "الخلافُ الكبير" و "المفرداتُ" و "الايضاحُ" في أصول الدين و "تاريخُ علماء السُّنيّين" من أوّل ولاية المسترشد إلى وفاته هو ، وغيرُها . وتوفي سنة ٥٢٧ ببغداد . (انظر : مختصر طبقات الحنابلة ، ص ٣٢)

(٣) " الكافي " و "المغني " المعنيّان هنا ، هما كتابا الشيخ الموفق بن قدامة المتقدم ذكرهما في باب الفقه .

(٤) في البيت إشارة الى كتاب الشيخ مجد الدين بن تيميّة الموسوم بـ " منتهى الغاية في شرح الهداية" ، انظر الأبيات في : عقد الفرائد وكنز الفوائد ، ص ٧ .

(٥) انظر : عقد الفرائد وكنز الفوائد ، ج ١ ، ص ٨ .

ومما قاله في باب الجهاد من هذه المنظومة :

وإن جهاد الكفر فرض كفاية ويفضل بعد الفرض كل تعبد
لأن به تحصين ملة أحمد وفضل عموم النفع فوق المقيد
فلله من قد باع لله نفسه وجود الفتى بالنفس أقصى التجود
ومن يغز إن يسلم فأجر ومغنم وإن يرد يظفر بالنعيم المخلد
وما محسن يبغي إذا مات رجعة سوى الشهداء كي يجهدوا بالتزيد (١)
بغدوة غاز أو رواح مجاهد لخير من الدنيا بقول محمد (٢)

وأما منظومته الثانية المسماة "منظومة الآداب" (٣)، فهي أيضاً "دالية"، وعدد أبياتها مائتان وواحد وستون بيتاً"، وقد جمعت نخبة من الآداب الشرعية، على أن بناءها لا يخلو من ضعف وركاكة في بعض المواضع. وبعد أن افتتح منظومته بحمد الله والثناء عليه، وبين مصادره التي استقى منها، ومقاصده التي رمى إليها، شرع في الحديث عن جملة من الآداب، ومن بين الآداب التي تضمنتها المنظومة أدب الجوارح، وأدب أحكام السماع، وأدب انكار الملذات، وآداب السلام والدخول واللقاء، وسواها. ومما قاله في آداب أحكام السماع.

ويحرم مزمار وشبابة وما يضاهيهما من آلة اللهو والردي
ولو لم يقارنها غناء جميعها ومنها ذو والأوتار دون تقيد

---

(١) يشير إلى حديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، المروي عن أنس بن مالك، ونصه: "ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة". انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٢.

(٢) يشير إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، المروي عن أنس بن مالك ونصه: "لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها". انظر: فتح الباري، ج ٦، ص ٩. وانظر الأبيات في "عقد الفرائد" ص ١٩١ وما بعدها.

(٣) طبعت على مطابع دار الفكر الاسلامي بدمشق.

وحَظْرُ الغِناءِ ، الإكثرونَ قَضوا بـه وعَن أبوَي بَكـرٍ (١) : إمامٍ ومُقتَـد
إباحتُه لا كرهُه ، وأباحَـه الأمامُ أبو يَعلى (٢) مع الكُرهِ فانشُدِ (٣)

وبعد أن عَرضْتُ نماذجَ مختلفةً لشعرِ الفقهاءِ النابُلسيين في العصر العباسي ولا سيّما في هذه الفترةِ المتأخرةِ من ذلك العصر ، أعودُ لأقفَ عند الشاعرين النابُلسيّين اللذين حَفظَتْ لنا المصادرُ شيئاً من أشعارهما ، أمّا الشاعرُ الأولُ، فهو ادريس النابُلسي ، المعاصرُ لأبي تَمّام ، وعلى الرَّغم من قِلّة المصادر التي ترجمتْ له ، فقد اختلفت تلك المصادرُ في تسميته ، فبعضُها ذكره على

---

(١) المقصودُ بهما ، أبو بكر الخَلّالُ وتلميذُه المعروفُ بغُلامِ الخَلّال . أمّا الأولُ منهما فهو الفقيهُ العَلّامةُ المُحدّث أبو بكر أحمدُ بنُ مُحمّد ابن هارونَ البَغداديّ الحَنبليّ المشهورُ بالخَلّال ، وقيل عنه بأنّه جَمَعَ عُلومَ أحمدَ بنِ حَنبل وسافرَ من أجل ذلك فكتبَها وصَنّفَها كُتُباً ، ومن مُصنّفاته " كتابُ السُّنّة " في ثلاث مُجلّدات ، و " كتابُ العِلَل " في عدّة مُجلّدات ، و " كتابُ الجامع " . وكانت وفاتُه سنةَ احدى عشرةَ وثلاثمائةٍ وله سَبْعٌ وسبعون سنةً . (انظر : تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ، ص ٧٨٥) ، وأمّا الآخر فهو ، أبو بكر عبدُ العزيز بنُ جَعفر بن أحمدَ بن يَزداد بن مَعروف المشهورُ بغُلام الخَلّال ، ذُكرَ بأنّه كان عالماً بمذهبِ الأمامِ أحمدَ ، معروفاً بالفَهمِ واتّساعِ الروايةِ ، وقد أخذ عن كثير من العلماء ، ولكنّه اختصَّ من شيوخه أبا بكر الخَلّالَ فعُرف به . ومن مصنفاته " المقنعُ " و " الشافي " و " كتابُ القَولين " و " مختصرُ السُّنّة " وغيرُها . وتوفي سنة ٣٦٣ هـ . (انظر ترجمته في مقدمة " مسائل عبد العزيز غلام الخلال " لأبي يعلى ، ص: هـ ، وانظر كذلك : مناقب الامام أحمد ، ص ٦ (٥) .

(٢) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفَرّاء القاضي ، وقد كان ممن برع في علوم القرآن والحديث والفقه . وذُكر أنه كان زاهداً في الدُّنيا حريصاً على الآخرة ، وقد صَنّفَ كُتُباً منها : " عيونُ المسائل " و " الرّدّ على الأشعرية والكَرّاميّة والباطنيةِ والمُجَسّمة " و " الكفايةُ " في أصول الفقه ، و " فضائلُ أحمد " و " الجامعُ الصَّغير " وغيرُها . وكانت وفاته ببغداد سنة ٤٥٨ هـ . (انظر : مسائل عبد العزيز غلام الخَلّال ، صفحة ج)

(٣) انظر : منظومة الآداب ، طبعة دار الفكر الاسلامي بدمشق ، ص : ٤ .

أنّه ادريسُ بنُ يزيدَ النابُلُسي (١) فحَسْب ، وبعضُها سمّاه ادريسَ بنَ عبدِ اللّه ابنِ اسحقَ اللّخميّ النّابُلُسي البَصري (٢) . وقد كَذّتُ أتوَهّم ، كما توَهّم غيري (٣) أنّ هذه المصادرَ جميعاً تعتمدُ على ما أوردَه شخصٌ واحدٌ هو أبوبكرالصولي (٤)، وقد اعتمدَ الصّوليّ في كتابه "أخبارِ أبي تمّام" يزيدَ النّابُلُسيّ مَصْدراً من مصادرِه في توثيقه لأخبارِ أبي تمّام ، ولكنّه في كلّ المواقع التي كان يأخذُ فيها عنه، كان يُسمّيه أبا سُليمانَ النّابُلُسيّ ، ولم يَزِد على ذلك ، ولعلّ ذلك كان من الأسبابِ التي جَعَلتِ المتأخّرينَ يختلفون في اسم والدِه . ووجَدتُ ابنَ عساكرَ وهو من أقربِ المصادرِ إليه زمناً ، يُسمّيه ادريسَ بنَ يزيدَ النابُلُسي ،(٥) وكذا ابنَ الأنباريّ (٦) في كتابه "نزهةِ الألِبّاء" ، وقد اعتمدَ ياقوتُ في

---

(١) انظر : تهذيب تاريخ دمشق ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ ، ونزهة الألباء : ص ١٥٦ ، ومعجم البلدان : ج ٥ ص ٢٤٩ .

(٢) انظر : نكت الهميان / الصفدي ، ص ١١٧ ، والوافي بالوفيات ج ٨ ، ص ٣١٦ .

(٣) انظر : بلادنا فلسطين / الدباغ ، (الدّيار النابلسية) ص : ١٠٦ .

(٤) محمّدُ بنُ يحيي بنِ العبّاس الصُّولي ، من الأدباء الظرفاء ، والجمّاعين للكتب وكان قديماً ومعلماً لأبناء الخلفاء ، فنادَم الراضي والمكتفي والمقتدر ، وعاش إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة ، وكانت وفاتُه بالبصرة ، ومن مصنّفاته : "الأوراق في أخبارِ الخلفاء والشعراء" و "كتابُ الوزراء" و "أدبُ الكاتب" و "أخبارُ أبي تمّام" وغيرُها . (انظر ترجمته في : الفهرست ، ص٥ (٢)

(٥) انظر تهذيب تاريخ دمشق ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ .

(٦) أبو البركات عبدُ الرحمن بنُ عُبيد اللّه الأنصاري الأنباري ، وكان من علماء اللغة والأدب وتاريخ الرّجال ، وقد درَس اللّغة في المدرسة النّظامية ببغدادَ واشتغل فيها بعد ذلك بتدريس اللّغة ، وأنقطَع في آخر عمره في بيته ببغداد مشتغلاً بالعلم والعبادة ، ومن مصنفاته : "نزهةُ الألبّاء في طبقات (طبقات) الأُدباء" و "أسرارُ العربيّة" و "الانصافُ في مسائل الخلاف" وكانت وفاته سنة ٥٧٧ هـ . (انظر : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٣٢٠ ، وانباه الرّواة : ج ٢ ، ص ١٦٩ .

"معجم البلدان" على ابن عساكر . أما الصفدي ، وهو متأخر نسبياً ، فقد ذكره على أنه ادريس بن عبد الله ، وذكر أنه اعتمد في ترجمته له على المرزباني (١) في كتابه "معجم الشعراء" . غير أنني لم أجد أي ذكر لادريس الشاعر في كتاب المرزباني المطبوع ، أو في أي من ذيوله التي ألحقت به . ولذا أجدني ميالا إلى الأخذ برواية ابن عساكر ، لقربه منه زمنا ومكانا ، ولما عرف عنه من تحر وضبط .

لم تذكر المصادر التي ترجمت لادريس النابلسي تاريخ مولده ، ولا تاريخا دقيقا لوفاته (٢) ، غير أن ابن عساكر في روايته عن أبي بكر الصولي ، يشير إلى الفترة التي عاش فيها هذا الشاعر ، فيقول :
" قال أبو بكر الصولي : كنا يوما عند ادريس بن يزيد النابلسي ... فقال : أنشدنا أبو تمام لنفسه ....." (٣) ويفهم من هذه الرواية أن ادريس هذا ، كان معاصرا لأبي تمام ، فاذا أخذنا بعين الاعتبار أن أبا تمام توفي سنة احدى وثلاثين ومائتين ، تبين لنا أن ادريس الشاعر كان حيا في مطلع القرن الثالث الهجري .

عرف ادريس بن يزيد النابلسي عند القدماء بأمرين : روايته لشعر أبي تمام ، وشعره الذي لم يصلنا منه إلا القليل . أما الأمر الأول فمرده إلى أن أبا بكر الصولي قد جعله مصدرا من مصادر تقييده لأخبار أبي تمام ، فروى عنه مجموعة من أشعاره وأخباره ، ومما رواه أبو سليمان عن أبي تمام وتفرد به ، ما ذكره ابن عساكر إذ قال : " قال أبو بكر

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى بن سعيد ، وأصله من خراسان وقد كان واسع المعرفة بالروايات كثير السماع ، ومن مصنفاته : "معجم الشعراء" و "كتاب الأزمنة" و "كتاب "الموثق" في أخبار الشعراء ، وكتاب "شعر حاتم الطائي" وكتاب "الهدايا" ، وكانت وفاته سنة ٣٧٨ هـ . (انظر : الفهرست ، ص ١٩٠)

(٢) نقل الصفدي عن المرزباني ، أن وفاته كانت بعد الثمانين ومائتين (انظر : الوافي بالوفيات ، ج ٨ ، ص٥ (٣))

(٣) انظر : تهذيب تاريخ دمشق ، ج ٤ ، ص ٢٨ .

(٤) روى الصولي عن أبي سليمان النابلسي عن تمام بن أبي تمام ، قوله : "ولد أبي سنة ثمان وثمانين ومائة ، ومات في سنة احدى وثلاثين ومائتين" (انظر : أخبار أبي تمام ، ص٢٧٣ ، وانظر كذلك : نزهة الألباء ، ص١٥٦) .

الصّولي : "كُنّا يوماً عند ادريسَ بنِ يزيدَ النّابُلُسي فقال : اعرضوا عَلَيَّ ماعندَكم من غَزَل أبي تمام ، فعرَضْناه . فقال : اكتبُوا ، أنشدَنا أبو تمام لنَفسه :

ظَبْيٌ يَتيه بِوَردَةٍ في خَدِّه — خَدٌّ عليه غَلائِلٌ من وَردِه
ماكنتُ أحسبُ أنّني مُتَمَتِّعٌ — في قُربه حتّى بُليتُ بِبُعْدِه
لا شيءَ أحسنُ منهُ ليلةَ وَصْلِنا — وقد اتَّخذْتُ مُخَدّةً من خَدّه
وفَمي على فَمِه يُساوِرُ ريقَه — ويَدي تَنزَّهُ في حدائق جِلدِه (١)

ومن الأخبارِ اللّطيفة الّتي أوردَها الصّولي في أخبارِه،روايةٌ عن أبي سليمانَ ، قولُه : "حدَّثني أبو سليمانَ النّابُلُسي ، قال : قيلَ لأبي تمام ، قد هَجاكَ مُخَلَّد ، فلَو هَجَوْتَه ؟ قال : الهجاءُ يَرفَعُ منه . قيل : أليسَ هُوَ شاعراً" ؟ قال : لو كان شاعراً" ماكانَ من الموصل . يَعني أنّ الموصلَ لَم تُخرج شاعراً" . قال أبو سُليمان : وأصْلُ مُخلّدَ من الرَّحْبة ، ثُمَّ أقامَ بالموصل"(٢) وأمّا الأمرُ الثاني الّذي كان وَراءَ شُهرةِ أبي سُليمانَ عندَ القُدَماء ، فهو شِعرُه ، وقد بَدا لي من خلال الأخبارِ البسيطةِ الّتي وَصَلَتْنا عنه ومن مُلازمته لأبي تمّام ، أنّه كان شاعراً" مُحسِناً" فقد قال فيه ابنُ عساكر : " وقد كانَ أديباً" شاعراً" "(٣) . وإنْ لم يَصِلْنا من شِعره الّا القليلُ .
غيرَ أنّ هذا القليلَ الّذي وَصَلَنا يكشِفُ عَن جوانبَ في شَخصيّته ، فقد كان أبو سليمانَ كفيفَ البَصر ، فَقيرَ الحال ، وهو وإن كانت الحاجةُ تُلجئه أحياناً" للوقوفِ على أبوابِ الأُمراء وأصحابِ الجّاه ، إلّا أنّه كان يُصوِّرُ نفسَهُ عَفيفاً" يأبى لنفسِه أنْ تُهان ، ومِنْ ذلك ماقالهُ رَدّاً" على أحد الأمراء لأنّه حَجَبَه عن الدّخول إليه ، فقد قال :

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق : ج ٤ ، ص ٢٨ .
(٢) انظر : أخبار أبي تمام / الصولي ، ص ٢٣٤ ، وفيه أنّ مُخلّداً هذا هو مُخلّد بنُ بكّارِ المَوْصِلي .
(٣) انظر : تهذيب تاريخ دمشق ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ ، وذكر الصفدي نقلاً" عن المَرزُباني أنّ أبا سليمان كان يُكاتب أبا الحسن أحمدَ بنَ مُحمّد بنِ المُدَبّر بالأشعار ، عند خروجه إلى الشّام . (انظر : الوافي بالوفيات ، ج ٨ ص ٦ (٣)

لَمّا تَفَكَّرْتُ في احتجابِك   عاتَبْتُ نَفسي عَلى عِتابِك
فَما أراها تَميلُ طَوْعاً   إلّا إلى اليأسِ من ثَوابِك
قَدْ وَقَعَ اليأسُ فاستَوَيْنا   فكُن كما شِئْتَ في احتجابِك
فإنْ تَزُرْني أزُرْكَ وإنْ   تَقِفْ ببابي أقِفْ ببابِك
واللهِ ما أنتَ في حِسابي   إلّا إذا كُنتَ في حِسابِك (١)

ومِمّا قاله فيمَن حَجَبَه كذلك ، البيتان التاليان :

سَأترُكُكم حَتّى يَلينَ حِجابُكم   عَلى أنّه لا بُدَّ أنْ سَيَلينُ
خُذوا حِذرَكُم مِنْ نَوْبةِ الدَّهرِ إنّها   وإنْ لَمْ تَكُنْ حانَت فَسوفَ تَحينُ (٢)

ومِن شِعره الّذي يَصِفُ فيه سوءَ حالِه ، قولُه :

صاحبُ الحاجةِ أعمى   وَهْوَ ذو مالٍ بَصيرُ
فَمَتى يُبصِرُ فيها   رُشْدَهُ أعمى فَقيرُ ؟ (٣)

وأمّا الشّاعرُ الآخرُ فَهو عبدُ الرحمن بنُ مُحَمَّد بنِ الحَسَنِ بنِ المُفَرِّج بن بَكّار ، المعروفُ بِرَشيد الدّين النّابُلسي ، والمُلَقّبُ بِمَذْلويه (٤) ، وذُكِر عنه أنّه تأدّب في صِباه على أبي اليُمْن الكِنْدي (٥) ، وقرأ عليه كثيراً من

---

(١) رَوى ابن عساكر فقال : " قال محمد بن يحيى الدِّيلي ، لَقِيَني يوماً أبو سليمانَ النّابُلسي في مُربَد البَصرة ، فقلتُ له : من أينَ أتيتَ ؟ فقال : مِن عند أميركم الفضلِ بن عَبّاس . فقلتُ أبياتاً ما سَمِعَها أحدٌ بَعد ، فقلتُ أنشدْنيها ، فأنشدَني ... " (انظر : تهذيب تاريخ دمشق ، ج ٢ ص ٣٤٠ ومعجم البلدان : ج ٥ ، ص ٢٩٤) .
(٢) قالها في الحَسَن بنِ يوسفَ اليَزيدي ، وعَقَّبَ عليهما بقوله : " فلما قرأ البَيتين رَدّني وقَضى حاجَتي " . (انظر تهذيب تاريخ دمشق ج ٢ ، ص ٣٤٠ ، وانظر كذلك : الوافي بالوفيات ، ج ٨ ، ص ٣١٦) .
(٣) انظر : الوافي بالوفيات ، ج ٨ ، ص ٣١٦ .
(٤) وفيات الأعيان : المُجَلّد الخامس ، ص ٢٦٦ ، وفوات الوفيات : ج ٢ ، ص ٢٧٥
(٥) تقدمت ترجمتُه في باب الزّهد وعلوم الحديث من هذه الدراسة (انظر ترجمة الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد) .

مسموعاته ، واشتغل كذلك على الشاعر فتيان الشاغوري (١) ، ثم رحل إلى بغداد وقرأ المقامات الحريرية (٢) على أبي الفضل البغدادي (٣) الكاتب، ثم عاد إلى دمشق . وقد ذكره بعضهم فوصفه بأنه " كثير الشعر، نبيه الذكر ذو نظم مستجاد ، أحسن في انشائه وأجاد ، فهو يجوّع في شعره بين السهولة والمتانة والعذوبة والرصانة" (٤) . وقال فيه الذهبي: " وكان شاعراً محسناً مليح القول " (٥) . والمعروف أنه كان أثيراً لدى الملوك من بني أيوب ملوك الشام ، فمدح الناصر وأولاده وأولاد العادل ، واتصل بأخرة بالملك المعظم عيسى، صاحب دمشق ، ولم يزل منقطعاً إليه إلى أن توفي (٦) . ولكن في منهم جميعاً " كل تكريم ، وقد مدح غيرهم من الأمراء والقضاة والوزراء والولاة (٧). وتقول المصادر أن الرشيد كان مشغوفاً " بشرب الخمر ، نزقاً مر المذاق شكس الأخلاق ، جافي الطباع (٨) وذكر الذهبي أنه أقلع عما كان عليه قبل موته من شرب للخمر وفساد في الطبع وصلحت حاله (٩) .

---

(١) الشيخ الأديب فتيان بن علي بن فتيان الأسدي ، المنعوت بالشهاب الشاغوري ، نسبة إلى الشاغور بظاهر دمشق ، وله حديث وشعر كثير ، وكانت وفاته سنة ٦١٥ هـ . (انظر : التكملة لوفيات النقلة ، المجلد الرابع ، ص ٣١٢ ، وانظر نماذج من شعره في كتاب الروضتين ، ج ٢ ، الصفحات ٨٤ ، ١١٨ ، ١٣٢ ، وغيرها) .

(٢) نسبة إلى القاسم بن علي الحريري ، الأديب المعروف ، من أهل البصرة وقد كان أحد أئمة عصره في علوم اللغة ، ومن مصنفاته " المقامات الحريرية " و" درة الغواص في أوهام الخواص " و " ملحة الأعراب " وغيرها ، وله شعر ، وكانت وفاته بالبصرة سنة ٥١٦ هـ . (انظر : الوفيات ، ص ٢٦٦)

(٣) أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسي ، البغدادي وصفه الذهبي بأنه أديب محدث ثقة ، وقد كانت وفاته سنة ٥٧٨ هـ (انظر العبر ، ج٣ ، ص ٧٥)

(٤) الكلام لابن الشعار ، نقله عنه صاحب فوات الوفيات (انظر : ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٥) تاريخ الاسلام ، نسخة خطية عن المخطوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبقة الثانية والستون صفحة ٣٧٦ ، ترجمة رقم ٦٠٨ .

(٦) انظر : فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٧) المصدر السابق .

(٨) انظر : فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٩) انظر : تاريخ الاسلام للذهبي ، النسخة الخطية ، الطبقة ٦٢ ترجمة ٦٠٨ ، ص ٣٧٦

ولقد صَحِبَ الرّشيدُ الشّاعرَ ابنَ عُنَين (١) مُدّةً ، وكانَ أثيراً لديه ، غيرَ أنّ هذه الصُّحبةَ لم يَطُل أمَدُها ، فانقلبَ الأخيرُ عليه يهجوه ويُقلّلُ من قدره بعد أن كانَ يُمجّدُه ويُعلي شأنَه أوّلَ الأمر . ولعلّ شراسة أخلاقِ الرّشيد ونَزَقَه كانا هما العاملَ في هذا التّحوُّل ، اضافةً لِما اتّصفَ به ابنُ عُنين من مَيْلٍ إلى التّقلّب وجُنوحٍ إلى العَداوة والمُغايَظة . وممّا مدح به ابنُ عُنينٍ الرّشيدَ أيامَ صَفاءِ الجَوّ بينهما ، قولهُ ، وقد بَعَثَ له بهديّة :

يا أيّها الصّاحبُ الصّدْرُ الذّي شَهِدَتْ بِفَضْلِه ونَداهُ البَدْوُ والحَضَرُ
عَساكَ تَقبَلُ شَيْئاً قَدْ بَعَثْتُ بهِ نَزْراً فإنّي إلى عَلياكَ أعتَذِرُ
ولو بَعَثْتُ على مِقدارِ فَضْلِكَ أرسَلْتُ الكَواكِبَ ، فيها الشّمسُ والقَمَرُ (٢)

أمّا هجاءُ ابنِ عُنينٍ للرّشيد فقد بدأ خَفيفاً مقبولاً ، ثُمّ انتهى قاسياً مؤذِياً ، وقد خَلَطَ في الأوّل السُّخريَةَ بالدُّعابة ، ومنه قولُه :

أنا وابنُ شيخٍ (٣) والرّشيدُ ثلاثةٌ لا تُرْتَجى فينا لِخَلقٍ فائدة
مِن كُلِّ مَنْ قَصُرَتْ يَداهُ عَنِ النّدى يومَ الجَدا وتَطولُ عَنْه المائدة
فكأنّنا واوُ بعمرٍو ألحِقَتْ أو أصبعٌ بينَ الأصابعِ زائدة (٤)

---

(١) شَرَفُ الدّين أبو المَحاسن مُحَمّدُ بنُ نَصرٍ الأنصاريُّ الدّمشقيّ ، ويُقال: إنّ أصلَه من الكوفة، والمَشهورُ أنّه من حَوْران . وُلِد بدمشقَ ونشأ بها ، وسافر عنها سنينَ فجابَ البلادَ شَرقاً وغَرباً وكان ظَريفاً وشاعراً مشهوراً . وقد صَنّفَ كتاباً سمّاه "مِقراضَ الأعراض" يَشتملُ على نحو خمسمائة بَيت من الشّعر ، كُلّه في الهجاء . ولقد نُفيَ إلى الهند فامتدحَ ملوكَها وحَصّل من جرّاء ذلك أموالاً جَزيلة . (انظر : ترجمته في البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ١٣٧)

(٢) ديوان ابن عُنَين : ص ١٢٠ .

(٣) تولّى الوزارةَ للملك المُعَظّم عيسى ، وتُوفّي بدمشق سنة ٦٢٥ ، انظر شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ١١٧)

(٤) انظر : ديوان ابن عُنَين ، ص ١٤٦ / ١٤٧ .

وأمّـا الثّاني فَفيه فُحشٌ واقذاع ، ومنـهُ قَولُ ابن عُنَيـن :

تَعَجّبَ قَومٌ لِصَفْـعِ الرّشيدِ ... وذلكَ مازالَ من دابِـهِ
رَحِمتُ انكسارَ قُلوبِ النِّعـال ... وقد دَنّسوهـا بِأَثوابِـهِ
فَواللّهِ ماصَفَعـوهُ بِهـا ... ولكنّهُمْ صَفَعوهـا بِهِ (١)

ولابن عُنَين في هجاء الرّشيد غيرُ ماتقدّم ، شِعرٌ كثيرٌ (٢) ، غيرَ أنّني لم أعثُـر للرّشيـد على بَيت واحـد قالَـه في هجاء ابن عُنَيـن (٣) .

هذا وقد كانَ الرّشيـدُ شاعراً "مُكثراً" ، إذ يقولُ ابنُ خِلّكان :(٤) "إنّـه تَـركَ ديوان شِعـرٍ يَقَعُ في مُجلّـدين". (٥) وبَقِيَ ينظِمُ إلى أنْ تُوفّـي ، وقـد كانت وفاتُه بدمشقَ في مُنتصَفِ صَفر ، سنةَ تسعَ عشرةَ وستّمائـة ، ودُفـن ببـاب الصّغـير (٦) .

---

(١) انظـر : ديوان ابن عُنَيـن ، ص ١٨٥ .

(٢) انظـر : ديوان ابن عُنَيـن ، ص ١٦٨ ، ١٨٧ .

(٣) ذكرَ الدّكتورُ محمّدُ زغلول سلّام في ترجمته للشاعر أبي محمّد القاسمِ بنِ القاسم بنِ عُمَـرَ الواسطيّ المُتوفّى بحلب سنة ٦٢٦ هـ ، أنّه دارت بينَ هـذا الشّاعـر وبينَ الرّشيـد النّابُلسيّ مُهاجاة ، ولم أتمكّن من الوُقـوف علـى شيء منها . (انظر : كتاب الأدب في العصر الأيوبي ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٨ ، ص ١٣٥)

(٤) أبو العباس أحمدُ بنُ ابراهيمَ بنِ أبي بكر بنِ خِلّكان البَرمكي ، المولـود في اربلَ سنةَ ٦٠٨ هـ ، وقد تَتلمذَ على يَد القاضي ابن شدّاد والحافـظ ابن الأثير وغيرهما ، وكانت له رحلةٌ إلى مصر واستقرّ في الشّام ، ودرّسَ فـي عدد من مدارسها ، وله شِعرٌ ومُصنّفاتٌ عديدةٌ أشهرُها كتابُه "وَفياتُ الأعيان". وتُوفّي ابن خلّكان في دمشق سنة ٦٨١ هـ . (انظر : البداية والنهايـة ج ١٣ ، ص ٣٠١ ، شذرات الذّهب ، ج ٥ ، ص ٣٧١

(٥) انظـر : وفيات الأعيـان ، ج ٥ ، ص ٣٦٦ .

(٦) المصـدر نفسـه .

ومن جَيِّد شعره ، ما أورده شهابُ الدين القوصيّ (١) في معجمه ، فقد قال : أنشدني رشيدُ الدين النابلسي ، وقد رأى مليحاً بديع الصورة بين أسودين قبيحي الصورة :

لِلّهِ مَنْ عايَنَتْ عيني محاسِنَهُ ... يوماً فعوّذتُه باللهِ مِنْ عيني
يختالُ كالغُصنِ تيهاً في شمائِلِه ... ما بينَ عبدين مِن لونِ الليل عِلْجَيْن (٢)
فقلتُ والشوقُ يطويني وينشرُني ... لمْ ألقَ قبلَك صُبحاً بين ليلين
فمرّ يضحكُ مِن قولي وقالَ: بلى ... كمْ قدْ رأى الناسُ سَعْداً بينَ نحسَيْن (٣)

وروي أنه أنشده لنفسه :

يا مَنْ عيونُ الأنامِ ترقُبُهُ ... رِقْبَةَ شهرِ الصيامِ والفِطْرِ
وإنّما يُرقَبُ الهلالُ فلمْ ... تُرقَبُ بعدَ الكمالِ يا بدري (٤)

ومن شعر الرشيد قصيدةٌ متعدّدةُ القوافي ، قال فيها :

كَمِ الحَشا مُعَذَّبُ ... موجَّعٌ على المَدى ... صَبُّ الفؤادِ مُغرَمُ
بنارِهِ يلتهِبُ ... مُلَذَّعٌ ما خمَدا ... أُوارُهُ والضَّرَمُ

---

(١) أبو العزّ اسماعيلُ بنُ حامدِ بن عبدِ الرّحمن الأنصاري القوصي ، وكان ظريفاً مطبوعاً حَسَنَ المحاضرة ، وقد جمع لهُ مُعجماً حكى فيه عن مشايخه أشياء كثيرة مفيدة ، وقيل: إنه وقف بيته على أهل الحديث ، وكانت وفاته سنة ٦٥٣ هـ . (انظر : البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ١٨٦)

(٢) العِلْج : الرّجلُ من كفّار العجم . انظر : القاموس المحيط ج ١ ، ص ٢٠٠ .

(٣) انظر فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٤) فوات الوفيات : ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

حُكِّمَ فيه أشنَبُ	مُمَنَّعٌ مِنَ الفِدا	فهو الأسيرُ المُسْلَمُ
مُبتَعِدٌ مُجتَنَبٌ	مُوَدِّعٌ تَعَمُّدا	وهوَ القريبُ الأمَمُ (١)
زمانُهُ تَعَتُّبٌ	وَوَلَعٌ قد أُكِّدا	مَنْ عزَّ فَهْوَ يُحْكِمُ
ما الحُبُّ إلّا لَهَبٌ	وَمَدْمَعٌ تَجَدَّدا	وَلَوْعَةٌ وَسَقَمُ
يا هَلْ إليهِ سَبَبُ	مُمَتَّعٌ يولي يَدا	مَنْ لُبُّهُ مُخْتَرَمُ (٢)
ما أنا إلّا أشعَبٌ	مطمَعٌ فيما عَدا	فَما إليهِ سُلَّمُ (٣)

ومنهُ في الحَنين :

مالَكَ والوُرْقِ على أوراقِها	تُعجِمُ ما يَعْرِبُ عَنْ أشْواقِها
دَعْها وما هَيَّجَها فإنَّها	أوالِفٌ تَفرَّقَ في فَراقِها (٤)
وإنَّما يَريبُ ذا الوَجدِ بِها	مُلبَسُها الحِليَّ في أطْواقِها
أَفْدي الأُلى فارَقتُهُم فَمُهجَتي	لا تَطْمَعُ الأُساةُ في إفْراقِها (٥)

ومن شِعرِه كذلك ، قولُه في أحدِ غِلمانِ التُّرك :

هَزَّ لَنا مِن قَدِّهِ سَمْهَرِيّا	ومِنَ اللَّحظِ صارِماً مَشْرَفِيّا (٦)
شادِنٌ أرسَلَ الجُفونَ سِهاماً	حينَ أبدى من حاجِبَيْهِ قِسِيّا (٧)

---

(١) الأَمَمُ : القَصد ، انظر القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٧٥ .

(٢) اختَرَم : استأصَلَ ، انظر : القاموس المحيط ج ٤ ، ص ١٠٤ .

(٣) انظر الأبيات في : فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٤) بالفَتح (فَراق) ويجوز فيه الكسر كَكِتاب : الفُرقة ، وقُرِئ : هذا فُراقُ بيني وبَينِك . انظر : القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ .

(٥) أفرَق من مَرضه : أبَلَّ وأفاقَ أو بَرِيءَ منه ، وقيل : لا يكونُ الإفراقُ إلّا فيما لا يُصيبُكَ غيرَ مَرَّةٍ كالجُدَري انظر : القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ .

(٥) انظر الأبيات في : فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٦) اسمَهَرَّ الشَّوك : يَبِسَ وصَلُبَ ، والسَّمْهَرِيّ : الرُّمحُ الصَّليبُ العود . (انظر : لسان العرب ، دار صادر ، ج ٤ ، ص ٣٨١) . والمَشْرَفيّ ، وَصفٌ للسَّيف يُطْلَقُ عليه إذا كان مَعمولاً بالمَشارف ، وهي قُرىً من أرض العَرب (انظر : فقه اللغة وسرّ العربية الثّعالبي ، ص ٢٥٥) .

(٧) الشّادنُ : وَلدُ الظَّبيَة . (انظر : كتاب العَين : ج ٦ ، ص ٢٤٣) .

ـــــنّ بَني التُّركِ مارُنا وَرِمى حَبَّـةَ قَلْبٍ إلاّ وأَصمى الرَّميّـــــا

مُخطِــفُ الخَصْــرِ بِالسِّهامِ وما أرْ ... شَـقَ في الرَّمي راشِقاً تُرْكِيّـا !

فَهْوَ شاكي السِّــلاحِ مانالَ مِن قَتْـلِ مُحِبّيـــهِ يَرْكَبُ المُنْهيّـا (١)

ومِن فَرائد الأبياتِ التي تُنسَـــبُ لِلرّشيـــد النّابُلُسـيّ ، قولُـــه :

وَكَمْ على الأرْضِ مِنْ خَضـراءَ مورِقـةٍ ... ولَيـْـسَ يُرْجَمُ إلّا مالَهُ ثَـمَـرُ (٢)

وَمِن جَيّـــد شِعرِه الأبياتُ التّالية الّتي قالها في مَدح المَلِك النّاصـــــر صَـــلاح الدّيـــــن :

أَلْمِمْ بدارِ النّاصــرِ المَلِكِ الـّـذي ... في كَفِّه للجُودِ سَبْعَةُ أبْحُـــرِ

فَإذا مَرَرْتَ بِمُلكِهِ وفُتوحِـــــــهِ ... فاسخَــرْ بِما يُروى عَن الأسْكَنْـدَر

وإذا بَصُـــرْتَ بِجاشِهِ وبِجَيْشِــــهِ ... فاحْثُ التُّرابَ على ذُؤابَةِ سِنْجِــر (٣)

ومنهُ مــا قالَه الرَّشيـــدُ في حِصار السُّلطانِ صَلاحِ الدّين لِحِصن كَـوْكَب (٤) بمنطقة بَيْســان وما قاسـاهُ من الأمطـــار والأوحـــال ، إذ قـــال :

---

(١) قالَ الزَّمخشَــري : الشَّكّــةُ ، هي السِّلاح، ويُقالُ : هو شاكُّ السِّلاح أو شاكٌّ في السِّلاح ، ويُقال شاكي السِّلاح ، أيْ خَرَجَ بتَمام سِلاحِه . (أساس البَلاغة : مادة شَكَكَ ص ٢٤٠ ، ومادّة شَوَكَ ص ٢٤٤). انظر الأبيات في : فَوات الوفيـــات ج٢ ، ص ٢٧٥ .

(٢) قالَه الرّشيدُ زِيادةً على أبياتٍ كان قَد بَعَثَ بها المَلِكُ الصّالحُ نَجْمُ الدّين أيّوب إلى النّاصر داودَ ابن عَمّه ، في الكَرك ، فكان مِمّا قالَه :
فَفي السَّماءِ نُجومٌ لا عِدادَ لَهـــا ... وليسَ يُكْسَفُ إلّا الشَّمسُ والقَمَـــرُ
(انظر : السّلوك لمعرفة دُوَل الملوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٩١)

(٣) أحسَبُه بِسِنْجِر شاه أتابك الجَزيرة ، وقد كانَ سَيِّءَ الخُلُق مُتَعَسِّفاً ، وناصَبَ صَلاحَ الدّين العِداء (الكامل في التّاريخ ج ١١ ، ص٢٠٩) انظر الأبيـــات فـــي الرَّوضَتيـــن ، ج ٢ ، ص ١٨ ( ) .

(٤) حِصن كَوْكَب بِمَنطِقة بَيْسان بفلسطين ، كان يُمَثِّلُ أحَدَ المَراكز الهامّة لِتَجَمُّع الصّليبيّين على أرض فلسطين، وذلك لِما كان يَتَمَتَّع به من استراتيجيّةٍ في المَوقع عَلاوةً على شِدّةِ تَحصينه ومَنَعَته ، وقد تَمَّ للسُّلطان فَتحُهُ على الرَّغم من رَداءَةِ الأحوالِ الجَوّيّة في حينه ، سنةَ ٥٨٤هـ . (انظر : الرَّوضتين ، ج ٢ ، ص ١٣٥) .

ماأبهج الدين والدنيا بمالكها الصديق يوسف لا لاذت به الغير (١)

مَلْكٌ تساوى جُمادى في الجهاد وتموز لديه وضاهى ناجرا" صَفَرُ (٢)
فليس يثنيه حَرٌّ انْ تَوَقّدَ عن رضى الإله ولا انْ أغدق المطرُ
ولا ينهنههُ عمّا يكابدُهُ ضجٌّ أعيذ معاليه ولا ضجرُ (٣)
ولا يرى الروح إلّا ظهرَ سلهبة في بطن معركةٍ مركوبها وعِرُ (٤)
صَبْرٌ جميلٌ كطعم الشهد في فمه وعند كلّ مليكٍ طعمه الصَّبِرُ (٥)

وقد نظم الرشيد قصيدةً طويلةً في فتح القدس (٦) على يد السلطان صلاح الدين يهنئ بها المسلمين ويسخر من الغزاة الصليبيين ، قال فيها :

هذا الذي كانت الآمالُ تنتظرُ فليوفِ لله أقوامٌ بما نذروا
بمثل ذا الفتح لا والله ما حُكيت في سالف الدهر أخبارٌ ولا سِيَرُ
الآن قرّت جنوبٌ في مضاجعها ونام مَنْ لم يزلْ حِلفاً له السَّهرُ
يابهجة القدس إذْ أضحى به علمُ الأسلام مِنْ بعد طيّ وَهْوَ منتشرُ
يانورَ مسجده الأقصى وقد رُفعت بعد الصليب به الآياتُ والسُّوَرُ

---

(١) غِيَرُ الدَّهر : أحداثه ومصائبه (انظر : القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٠٦)

(٢) ناجِر : شهرُ ناجر هو شهرُ رَجَب ، ويُقال : كلُّ شهر في صميم الحرّ ناجِر ، لأنّ الأبلَ تنجُرُ في ذلك الشهر ، أيْ يشتدُّ عطشُها حتّى تيبس جلودُها.
(انظر : كتاب العين ، ج ٦ ، ص ١٠٦) .

(٣) ينهنهه : يكفّه ويزجره . (تاج العروس من جواهر القاموس ، ج ٩ ، ص ٤١٧) .

(٤) سَلْهَبة : يُقال فرسٌ سَلْهَبٌ وسَلْهَبةٌ إذا طالَ وطالت عظامُه وعظُم . (انظر لسان العرب ج ١ ، ص ٤٧٤) .

(٥) الصَّبِر : كَكَتِف ، ولا يسكن إلّا لضرورة الشعر ، وهو عصارةُ شجرٍ مُرّ . (انظر : تاج اللغة وصحاح العربية " الصحاح " ج ٢ ، ص ٧٠٧)

(انظر الابيات في " الروضتين " ج ٢ ، ص (٢٢) .

(٦) تمّ فتح القدس واستعادتها من أيدي الصليبيين الغزاة سنة ٥٨٣ هـ .
(انظر : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٦٣) .

شَتّانَ ما بَيْنَ ناقوسٍ يُدانُ بِهِ ... وبَيْنَ ذي مَنْطِقٍ يُصغي لَهُ الحَجَرُ (١)
اللّهُ أكبرُ صَوْتٌ تَقْشَعِرُّ لَهُ ... شُمُّ الذُّرى وتكادُ الأرضُ تَنْفَطِرُ

وقال ساخراً بالصّليبيّين حينَ قَصدوا القُدسَ سنةَ ٥٨٧ هـ :

وَيْحَ الفِرَنْجَةِ ، بلْ وَيْلٌ أمّهمْ أوَما ... فيهم لبيبٌ على العِلّاتِ يَعْتَبِرُ
فَكَمْ نَثَرْتَهُمُ ضَرْباً إذْ انتظَموا ... وكَمْ نَظَمْتَهُمُ طَعْناً إذْ انتَثَروا
كَمْ قَدْ سَقَيْتَهُمُ ذُلّاً فلا عَجَبٌ ... إن عَرْبَدوا سَفَهاً فالقَومُ قَد سَكِروا
إنْ يَمْلِكوكَ فَلا بِدْعٌ لِجَهْلِهِمُ ... تَسْعى إلى الأُسْدِ في غاباتِها الحُمُرُ
زاروا نُموراً ولا تُغني وقاحَتُهُمْ ... إذا أسودُكَ في أبطالِهِم زَأَروا (٢)

وللرّشيد النّابلسي أبياتٌ جَيّدةٌ يُهَنّيءُ بها السُّلطانَ صلاحَ الدّين بعيد الأضحى قال فيها :

وأبيها لولا تَغَزُّلُ عَيْنَيْها لَما قُلْتُ في التَّغَزُّلِ شِعرا
ولكانَتْ مَدائحُ المَلِكِ النّاصر أوْلى ما فيهِ أُعْمِلُ فِكْرا

مَلِكٌ طَبّقَ المَمالِكَ عَدْلاً ... مِثْلَ ما أوْسَعَ البَرِيّةَ بِرّا
نِلْتَ ما تَبْتَغي مِنَ الدّينِ والدُّنيا ... فَتيهاً على المُلوكِ وفَخرا
فَتَمَلَّ الأعيادَ صَوْماً وفِطراً ... وتَلَقَّ الهَناءَ فِطراً ونَحْرا (٣)

---

(١) انظر : الرّوضتين ، ج ٢ ، ص ١١٨ .
(٢) انظر : الرّوضتين ، ج ١ ، ص ١٦٤ .
(٣) انظر الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ ، وتجد الأبيات كذلك في البداية والنّهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٥١ .

وقد ذكر الذهبي أنه مدح أمير المؤمنين الناصر لدين الله (١) بقصيدة مطلعها :

حَرَمُ الخلافةِ والمحلُّ الأعظمُ فانظرْ لنفسِكَ أيَّ دُرٍّ تنظِمُ (٢)

وقال يمدح الملك العادل حين حاصر حصن كوكب سنة ستمائة وتسع بقصيدة مطلعها :

وفى لكَ المسعدان : النصرُ والظفرُ وطاوعَ العاصيان : الدهرُ والقدرُ

ومنها :

خطتْ طرى وطفى حتى شهدتَ لهُ فلانَ جامحهُ اذْ أسهلَ الوعرُ

وشامخان رفيعا الأوجِ يحسُرُ عنْ أنْ يستطيعهما التأميلُ والنظرُ

في ذروتيْ مشمخرِّ العزِّ دونهما منْ أنْ ينالا تنالُ الأنجمُ الزهرُ

---

(١) المقصود هنا، هو الناصر لدين الله أحمد أبو العباس بن المستضيء بأمر الله ، أحد الخلفاء العباسيين ، ولقد كانت ولادة الناصر لدين الله سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، وبويع له عند موت أبيه سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، واستدت خلافته سبعة وأربعين عاما ، عرف خلالها بالاهتمام الشديد بمصالح الملك لا يخفى عليه شيء من أحوال رعيته ، وكانت له هيبة في نفوس الخلق وهو مع ذلك شهم جواد . ولقد كان مشجعا للعلم والعلماء ، وفي وسط ولايته اشتغل برواية الحديث ، وكتب للملوك والعلماء اجازات ، وممن حدث عنه ، ابن الأخضر وابن النجار وغيرهما . ونقل عن سبط ابن الجوزي أن الناصر لدين الله فقد بصره في آخر عمره (انظر : تاريخ الخلفاء ، السيوطي تحقيق محي الدين عبد الحميد ، ص ٤٤٨) .

(٢) ورد هذا البيت في كتاب " تاريخ الاسلام " للذهبي ، النسخة الخطية ، الطبقة ٦٢ ، الترجمة ٦٠٨ ، الا أنه لم يورد غيره من أبيات القصيدة ، ولم أتمكن من العثور عليها في المصادر التي وقفت عليها .

أوردْتَ حِصْنَكَ مِنْ تِلكَ الحُصونِ سُنىً ... لولاكَ عَزَّ على زُوّارِها الصَّدَرُ
لَقَدْ رأى كَوْكَبٌ في نفسِه عَجَباً ... وَكادَ كَوكَبُهُ الدُّرّيُّ يَنْكَدِرُ
أَضْرَمْتَ جُذْوَةَ بَأْسٍ في جَوانِبِهِ ... أنفاسُها في نُفوسِ الشِّرْكِ تَزْدَفِرُ
وَطَوَّقْتَهُ مَجانيقٌ يَلينُ لَها ... قَلْبُ الحَديدِ ولا يَسْتَمْسِكُ الحَجَرُ
هَوَتْ عليهِ بِمثلِ الشُّهْبِ قاذِفَةً ... فَخَدَّهُ بِصَعيدِ الأرضِ مُنْعَفِرُ
أضْحَتْ مَخانيقُ في أعْناقِ هَضْبَتِهِ ... عُقُودُ خَيْلِكَ مَسْدوداً بِها الثُّغَرُ
بادَرْتَهُمْ بِرِجالٍ لا يُنَهْنِهُهُمْ ... مِنْ رأيِكَ الحَزْمُ أوْ مِنْ كَفِّكَ البَدَرُ
مُعَوَّدينَ قِراعَ المَوتِ قَدْ أَلِفوا ... أنْ لا يَروعَهُمُ خَوْفٌ ولا ذُعُرُ
جَيْشٌ إذا جاشَ طامي لُجِّهِ غَرِقَتْ ... في جَنْبِ تَيّارِهِ الأفْهامُ والفِكَرُ
لَقَدْ بَطَشْتَهُمُ بَطْشاً لو ٱتَّهَموا ... صَرْفَ المَقاديرِ أو أحداثَها فَتَروا
فاسْتَشْعَروا الذُّلَّ جِلباباً وقادَهُمُ ... قَسْراً إليكَ سَطىً للأُسْدِ تَقْتَسِرُ (١)

وقال يُهنّي السُّلطانَ صَلاحَ الدّين بالفَتح ، بقَصيدةٍ أنشَدَه إيّاها بمَرج عَكّا ، مَطلَعُها :

حَدَقُ الغانِياتِ في القَلبِ أنكى ... من شِفارِ الظُّبى وأَعْظَمُ فَتْكا

ومنها :

مالِلجَيشِ الضَّلالِ في بَحْرِ هُلْكٍ ... لا يُحيلونَ للنَّجا منهُ فُلْكا
صاحَ فيهم داعي البَوارِ فَلِلأعْيُنِ أقذى ، وللمَسامِعِ سَكّا
فَتَراهُم من التَّضاؤُلِ كالوَهم وكانوا تَلَعُ المَناكِبِ يُمْكا

---

(١) صورة الصّليبيين في الأدب العربي / عبدالقادر أبو شريفة / رسالة ماجستير ، على الآلة الكاتبة : ص (٤٦ والأبيات مأخوذة من عقد الجُمان ، مخطوط ، ج ١٧ ، ق ٢ ، ورقة ٢٢٨ .

بِعُيونٍ بيضٍ يَرَوْنَ بِها الأَيّامَ مُسْوَدَّةَ اللَّونِ حُلْكا

بِهِم يا هُمامُ قَد ضاقَتِ الأَرضُ فَأَوْسِعْهُمُ بَوارًا وَهُلْكا

أَيْقَنوا بالبَلاءِ مِنكَ وقد كانَ يَقينُ الأَعْداءِ مِنْ قَبْلُ شَكّا

وَعَدَتْهُمْ بِكَ أَوْعَدَتْهُمْ نُفوسٌ كانَ ميعادُها غُرورًا وإِفْكا

وَلِبيضِ الهِنْدِ الرِّقاقِ وَسُمْرِ الخَطِّ آلَتْ رُؤُوسُهم دونَ عَكّا

فَقَتيلٌ مُعَفَّرٌ لِيسَ يُودى وَأَسيرٌ مُكَبَّلٌ لَنْ يُفَكّا

أَنجاةٌ وقد طَرَحْتَ عَلَيهِم كَلْكَلًا يَهْدِمُ الجِبالَ ، وَبِرْكا

وَتَوَخَّيْتَهُم بِبيضٍ ظُباةٍ كُلُّها يَهتِكُ الضَّرائِبَ هَتْكا (١)

---

(١) صورة الصليبيّين في الأدب العربي : ص ٤٦٢ ، عن عقد الجمان ج ١٧ ، ق ١ ، ورقة ١٧٨ ، ١٧٦ .

الفصل الثالث

دراسة تقويمية :

يبدو من خلال كل ما تقدم في هذه الدراسة ، أن الحياة الثقافية والأدبية في نابلس ، في العصر العباسي ، مرت بمراحل ثلاث : الأولى منها تبدأ بقيام الدولة العباسية ، وتنتهي باحتلال الصليبيين لنابلس ، والثانية تنتهي بخروج الصليبيين من نابلس وما حولها ، والثالثة تنتهي بسقوط الخلافة العباسية إثر اجتياح المغول بغداد .

وعلى الرغم من قلة المعلومات التي وصلتنا عن الحياة الثقافية والأدبية في المدينة وما حولها في العصر العباسي ، ولا سيما في القرون الثلاثة الأولى منه ، إلا أن ما وصلنا منها يمكن أن يقدم لنا تصورًا لما كان عليه أمر الثقافة والأدب في نابلس أيام العباسيين . ولا ريب في أن حالة الثقافة والأدب في المدينة وما حولها ، لا بد أن كانت فيها مشابهة كبيرة من حال الثقافة والأدب في أرجاء الدولة الأسلامية جميعها ، على الرغم من التفاوت الناتج عن اختلاف الظروف المحلية . ومما يتفق عليه عليه دارسو الحياة الثقافية والأدبية ، أن لكل فترة زمنية سمات تتسم بها أدبها وثقافتها . ولكن ذلك لا يعني أن بإمكاننا أن نقيم جدارًا فاصلًا بين نتاجين يمثلان فترتين متلاحقتين ، لأن بعض السمات العامة تبقى آثارها قائمة على الرغم من تلاحق الأزمان . ولذا فإن امتداد الفترة الزمنية لن يحول دون الخروج بتصور مقبول لما كان عليه أمر الأدب والثقافة في نابلس وما حولها في العصر العباسي .

وبما أن هذه الدراسة قائمة على استقراء الحياة الأدبية والثقافية في منطقة نابلس ، فقد يكون من الملائم أن يفرد لكل من الثقافة والأدب صفحات خاصة ، لا سيما أن للأدب مقوماته المتميزة عن ألوان الثقافة الأخرى .

فمن السمات البارزة للثقافة في المنطقة موضوع هذه الدراسة ، أنها قد غلبت عليها منذ البداية السمة الدينية ، وبقيت هذه السمة تلازمها طوال العصر المذكور ، إذ إنها كانت منبتًا صالحًا لعدد كبير من الفقهاء والمحدثين الذين تركوا آثارهم على ألوان الثقافة المختلفة في مدينة نابلس وما جاورها . ونظرًا لشيوع المذهب الحنبلي وسيادته في المنطقة كما بينت سابقًا ، بعد أن كان المذهب الشافعي هو السائد فيها ، فإن كلا المذهبين قد ترك طابعه في النتاج الثقافي لعلماء المنطقة ، وإن كان

أثر المذهب الحنبلي في هذه الثقافة أكبر من أثر المذهب الآخر، ولا سيما بعد أن ظهر علماء بارزون في هذا المذهب، من أمثال الشيخ عبد الغني بن عبد الواحد، والشيخ الموفق بن قدامة، خلال القرن السادس الهجري والقرن اللاحق به.

وعلى الرغم من أنه لم يصلنا من أخبار علماء الشافعية إلا القليل، فقد اتضح من هذا القليل أنه كان لهؤلاء العلماء دور في الحياة الثقافية في عصرهم وقد تعدى أثرهم هذا حدود منطقتهم إلى أجزاء أخرى في الدولة الاسلامية، فالشيخ نصر النابلسي، كانت له شهرة واسعة في عصره، وانتشر تلاميذه في البلاد، وذكرت المصادر أنه ترك عدداً من المؤلفات في المذهب وغيره.

وباستثناء ما ذكرته المصادر عن مصنفات الشيخ نصر، فإننا لم نسمع عن وجود حركة تأليف نشطة في المنطقة في القرون الأربعة الأولى من هذا العصر، إذ إن الحركة الثقافية في هذه الفترة، لم تكن، فيما يبدو، تتعدى الوعظ والإرشاد في المساجد التي كانت مجالس علم، فضلاً عن كونها أماكن عبادة.

ويبدو أن الزهد كان الصفة الغالبة على فقهاء القرون الأربعة الأولى من هذا العصر، على نحو ما وجدناه لدى الشيخ نصر النابلسي والشيخ أبي عبد الله الديباجي، والشيخ محمد بن أحمد بن سهل، مما بينته في الفصل الخاص بالزهد وعلوم الحديث من هذه الدراسة.

وبقي الأمر على ما هو عليه، حتى منتصف القرن السادس الهجري، حين بدأت تظهر بوادر حركة ثقافية واسعة، إذ أخذت مجالات البحث تتعدد وتتسع، وإن بقيت العلوم الدينية تستأثر بالاهتمام الأكبر بين سائر العلوم.

ومما امتازت به دراسات الفقه والحديث في هذه الفترة، وفرة العلماء وسعة علمهم واتساع دائرة محفوظهم، على نحو ما ذكر عن الشيخين: عبد الغني بن عبد الواحد والموفق بن قدامة، مما بينته آنفاً. ومن الواضح أن أولئك العلماء كانوا موسوعيين في ثقافتهم، وقد يكون الواحد منهم فقيهاً ومحدثاً في آن معاً، إضافة إلى معارفه الاخرى التي قد لا تقل بحال عن درايته بهذين العلمين.

ومما يميز فقهاء هذه الفترة الزمنية، بعدهم عن التعصب، على الرغم مما يشاع من أن الحنابلة كانوا شديدي التعصب لمذهبهم. فابن قدامة مثلاً، يورد في "المغني" الأقوال المختلفة للفقهاء، ثم يرجح أحدها دون تعصب منه لمذهبه.

وبالإضافة إلى علمي الفقه والحديث ، اهتمّ علماء المنطقة ، في هذه الحقبة ، اهتماماً كبيراً بعلم اللغة ، فبرز من بينهم عددٌ من اللغويين والكتّاب منهم : أحمدُ بنُ عبد الوليّ ، المشهورُ بابن جبارة المرداوي ، والشيخُ شمسُ الدّين ابنُ بدران ، وقد ترك كلٌّ منهما عدداً من المصنّفات في هذا الفرع من فروع المعرفة ، وعلى الرّغم من أنّه لم يصلْنا إلّا بعضُ هذه المؤلّفات ، وما وصلنا منها مازال مخطوطاً ، فإنّ السّمةَ الغالبةَ عليها هي سِمَةُ الشّرح والتّعليق والتّلخيص ، كما تدلُّ على ذلك عناوينُها . فمِن مصنّفات ابن جبارة : " شرحُ ألفيّة ابن معطي " و " شرحُ أشراب القصائد " للشّاطبي ، ومِن مصنّفات ابن بدران : " المُنْتقى مِن شرح ابنِ مالك لكتاب عُمْدة الحافظ وعُدّة اللافظ " .

أمّا ماكان ذا طابع فنّيّ في كتاباتِهم النّثرية ، فأنّ الموجودَ منها غيرُ وفير ، مع أنّ المصادرَ تحدّثت عن وجود فئة من الكُتّاب ممّن كانت لهم مساهماتٌ في النّثر الفنّي . فابنُ حجر مثلاً ، ذكر في كتاب " الدُّرر الكامنة " أنّ الشيخَ شَرَفَ الدّين بنَ مُزْهِر ، كان من شيوخ الكُتّاب المعروفين بالكفاية (١) . ووصف الصّفديّ خطيبَ الشّام ، شرفَ الدّين النابلسي ، بأنّه كانَ بديعَ الكتابة ، وأنّهُ كان يخطبُ من انشائه (٢) .

ومِن الأمور التي يوقَفُ عندها ، ظهورُ فئة مِنَ النُّسّاخ ممّن امتازوا بجودة الخطّ ودقّة الكتابة ، وعُرفَ عن بعضهم أنّه كان يعزفُ عن أن يتناولَ أجْراً على كتابِ نسخه ، ليكونَ عملُهم خالصاً لخدمة العلم . ولقد كان أولئك النّسّاخ في العادة ، مِن بين ذوي الأقدار مِنَ العلماء ، إذ إنّ أهمّ ماكان يُميّزُ النّاسخَ ، أن يكونَ من أصحاب المعرفة بالعلم الّذي ينسخُه . ومِن أشهر أولئك النُّسّاخ ، محمّدُ بنُ خلَفِ بنِ راجح ، والشّيخُ أحمدُ بنُ قُدامة ، اللّذان نسخا عدداً من المصنّفات الهامّة ، من بينها " الإبانةُ " لابن بطّة " و " المُغني " لابن قُدامة ، و " الحِليَةُ " لأبي نعيم ، و " مختصرُ الخِرَقي " وكثيرٌ غيرُها .

وكان لِعُلماء المنطقة اهتماماتٌ بعلومِ التّاريخ ، فقد ذُكر عن الحافظِ أبي محمّدٍ عبدِالله بنِ خلَفِ المِسْكيّ ، أنّه شرَعَ في كتابة تاريخ مصر ، إلّا أنّه عجَزَ عن اكماله لِضائقته المادّيّة (٣) . وذُكر عن عثمانَ بنِ ابراهيمَ النّابلُسيّ ، وكان حيّاً سنة ستّمائة واثنتين وثلاثين ، أنّ لهُ كتاباً في تاريخ

---

(١) الدُّرر الكامِنة : ج ٥ ، ص ٣١١ .

(٢) الوافي بالوفيات : ج ٦ ، ص ٢٣١ .

(٣) انظر : مُعجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٢٨ .

الدّواوين المصرية وتنظيمها زمنَ الأيّوبيين ، وقد سمّى كتابه هذا : "لُمَعُ القوانين المضية في دواوين الدّيار المصريّة (١) .

ووجد في المنطقة خلال هذه الفترة ، من له نظر في الأمور الطّبيّة كما يُستدلّ مما ذكره صاحب "درّة الحجال" في حديثه عن أيوبَ بن نِعْمة ابن محمّد النّابُلسي ، المولود قبل سنة ستمائة وتسع وثلاثين ، من أنّه كان حكيماً ماهراً" . وقد عقّب على ذلك بقوله : "والحكيم عندهم هو عبارة عن النّاظر في العيون لا في الأبدان"(٢) .

ويمكن القول إنّ كثيراً من العلوم والمعارف الّتي كانت شائعة في العالم الإسلامي في ذلك العصر ، لا بدّ أنّه كان لها وجود بالفعل في المنطقة ، لأنّ ذلك من الأمور الطّبيعيّة ، حتّى ولو أنّنا لم نعثر حتّى الآن على المصادر ذات العلاقة بتلك العلوم والمعارف ، ولعلّ مزيداً من التّنقيب في كتبنا التّراثيّة يكشف في المستقبل عن هذه المصادر .

أمّا الأسلوب الّذي كان متّبعاً في تأليفهم بوجه عام ، فهو الأسلوب التّقليديّ القائم على السّرد ، دون التّقيّد دائماً بما شاع في حقبة معيّنة من العصر العبّاسيّ ، من أساليب مثقلة بالزّخرف اللّفظي ، إذ إنّني لم أجد أثراً يذكر للسّجع في كتابات علماء نابلس وما حولها . ولعلّ من النّافع هنا ، أن أتناول نموذجين من مؤلّفاتهم ، أعرض فيهما للأسلوب الّذي انتهجه صاحباهما في تأليفهما ، وقد وقع اختياري على كتاب "المغني" لابن قدامة ، وعلى مخطوط بعنوان "أحاديث الشّعر" لعبد الغني بن عبد الواحد . أمّا الكتاب الأوّل ، فيعتبر من أنفس الكتب في الفقه الإسلاميّ . فقد أقام الشّيخ الموفّق كتابه المذكور على أبواب الفقه الإسلامي جميعها ، شارحاً "مختصر الخِرَقي" ، ومرتّباً أبوابه على نحو ما جاء في كتاب الخرقي ، فيقول : "ثم بنيت ذلك على شرح مختصر (أبي القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله الخرقيّ) رحمه الله ، لكونه كتاباً مباركاً نافعاً ، ومختصراً موجزاً جامعاً ، ومؤلّفه امام صالح ذو دين أخو ورع ، جمع فيه العلم والعمل ، فنتبرّك بكتابه ، ونجعل الشّرح مرتّباً على مسائله وأبوابه" (٣) ، ولكنّه لا يكتفي بما ورد عند الخرقيّ من أدلّة وشواهد ، بل يضيف إليها ما يكفل جلاء الصّورة ، ووضوح الدّليل إذ يقول : "ونبدأ في كلّ مسألة بشرحها وتبيينها ، وما دلّت عليه بمنطوقها

---

(١) فهرس المخطوطات العربية المصورة : ج ٣ ، ص ١١٦ .
(٢) انظر : درّة الحجال ، ج ١ ، ص ٢١٥ .
(٣) انظر : المغني والشرح الكبير : ص ٣ .

ومفهومها ومضمونها ، ثم يُتبِعُ ذلك مايُشابهُها ممّا ليسَ بمذكورٍ في الكتاب، فتحصُل المسائلُ كتراجم الأبواب" (١) . وقد وضّح في مُقدمتِهِ أنه أراد من كتاب " المُغني " أن يكون شرحاً " لمذهب الإمام أحمدَ بنِ حنبل ، رَضي اللّهُ عنه ، غيرَ أنَّ هذا لم يَحمِلْهُ على التعصُّبِ ، كما بيّنتُ ذلك آنفاً " فقد كان يورد في كتابه الأقوالَ المُختلفةَ للعُلماء ، مُوضّحاً " ما اختُلِفَ فيه وما أُجمِعَ عليه ، مُقدّراً " للجميع اجتهادَهم ، ومُرجّحاً لبعضِ الآراءِ دونَ غيرِها ، من غيرِ تعصُّب ، فهو يقول : " وكانَ امامُنا أبو عبدالله أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ محمّدِ ابنِ حنبل ، رَضيَ اللّهُ عنه ، من أوفى الأئمة فضيلة " ، وأتبعِهم لرسولِ اللّه صَلّى اللّهُ عليه وسلّم ، وأعلمِهم به . . . . . فلذلك وقعَ اختيارُنا على مذهبه ، وقد أحببْتُ أن أشرحَ مذهبَه واختيارَه ، ليعلمَ ذلك مَن اقتفى آثارَه ، وأبيّنَ في كثيرٍ مِنَ المسائلِ ما اختُلِفَ فيه ممّا أُجمِعَ عليه ، وأذكُرَ لكلِّ إمامٍ ما ذهبَ إليه ، تبرّكاً " بهم ، وتعريفاً " لمذاهبهم ، وأُشيرُ إلى دليلِ بعضِ أقوالِهم على سبيلِ الاختصار . . . . . . " (٢) .

وبالإضافة إلى اهتمام المُؤلّف بإيراد الآراءِ المختلفةِ للعُلماء ، فإنّه كان كثيراً " ما يتدخّلُ ليُقدّمَ رأياً " جديداً " ويُقيمَ عليه الدّليل ، ويُعبّرُ عن ذلك بقوله : " ولَنا . . . . . . " ، ومن ذلك قوله ، بعد أن أوردَ الآراءَ المُختلفةَ للعلماء في المقصود بالصّلاةِ الوُسطى : " ولنا ما رُوِيَ عن عليٍّ رَضيَ اللّهُ عنه ، قال : قال رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلّم يوم الأحزاب : " شَغَلونا عن صَلاةِ الوُسطى ، صلاةِ العَصر ، ملأ اللّهُ بيوتَهم وقبورَهم ناراً " . متّفقٌ عليه . وعن ابن مسعود قال : قال رسولُ اللّه صلّى اللّهُ عليه وسلّم : " صلاةُ الوُسطى صَلاةُ العَصر " . وعن سَمُرةَ مِثلُه . قال التّرمِذي : في كُلِّ واحدٍ منهُما : هذا حديثٌ حَسَنٌ صَحيح . وهذا نصٌّ لا يَجوزُ التّعريجُ معه على شيءٍ يُخالِفُه " (٣) .
وقد أورَد مَزيداً " من الشّواهد والأدلّةِ التي تُعزّزُ وجهةَ نظرِه . وقد لاحظ الدّارسُ من هذا الموقفِ وغيرِه اقتدارَ المُؤلّف على إيراد الدّليل المُقنِع المُستنبَط من القرآن والسّنّة ، مِمّا يَكشِفُ بجلاءٍ عن محفوظٍ واسعٍ وبديهةٍ حاضرة .

وممّا يُميِّزُ أسلوبَ ابنِ قُدامة في " المُغني " ، كثرةُ استشهادِه بالشِّعر من أجلِ جلاءِ معنىً أو ازالةِ غُموض ، من مثل استشهادِه بالبيتين

---

(١) المغني : ج١ ، ص٣ .
(٢) المغني : ج١ ص ٣ .
(٣) المغني : ج ١ ، ص ٣٨٩ .

التّاليــين علــى أنّ الصّــلاةَ في اللّغة تعني الدُّعــاء :

تقولُ بنتي وقد قرّبتُ مُرتَحِـلا ً يارَبِّ جَنِّب أبي الأوصابَ والوَجَعــا
عليكِ مِثلُ الّذي صَلّيتِ فاغتَمِضي نَوماً فإنّ لِجَنبِ المَرءِ مُضْطَجَعــا (١)

ومِن ذلك توضيحُه لِمَعنى كلمـة " شَطــر " في قوله تعالــى : " وحيثُما كُنتــم فوَلّــوا وُجوهَكم شَطــرَه " ، إذ استشهــد لتوضيحهــا بالبيتِ التّالــي :

أَلا مَنْ مُبلِــغٌ عَنّا رَسولاً وما تُغنــي الرسالةُ شَطــرَ عَمــرو (٢)

ومِما لاحظه الدارسُ عندَ المُوَفَّق في " المُغني " ، كَثرةُ إثارتِه للقضايا اللّغويــة ، وذلك من أجلِ توضيحِ مَفهومٍ أو تدعيمِ دَليــل . ومِثالُ ذلك ، قولُه أثناءَ حديثــه عن اليَمين وأحكامِها الفقهيّــة : " وحروفُ القَسَم ثَــلاثة : البــاءُ وهــي الأَصـــل ، وتَدخُل على المُظهَر والمُضمَــر جميعا " ، والواوُ وهي بَدَلٌ من البــاء ، تَدخُــل علــى المُظهَر دونَ المُضمَــر ، وهي أكثرُ استعمالا " ، وبها جاءَتْ أكثــرُ الأقسام فــي الكتاب والسّــنّة ، وإنّما كانت الباءُ الأصــلَ لأنّها الحرفُ الّذي تَصِــلُ به الأفعــالُ القاصِرةُ عن التّعــدّي إلى مَفعولاتِها ..... والتاءُ بَدَلٌ مِنَ الواو ، وتَختَــصُّ باسمٍ واحد من أسماءِ اللهِ تعالى ، وهو اللّهَ ولا تَدخُلُ على غيره .. " (٣)

أمّــا المخطوط ، فهو عبارةٌ عن رسالة بعنوان " من أحاديث الشّعــــر " للشيــخ عبدالغــني بن عبدالواحد ، ويَقَعُ هذا المخطوط في خمسَ عشـــرةَ وَرَقـــة ، تَشتملُ على ثَــلاثةٍ وأربعــينَ حَديثا " مَرويّةً بأسانيدِهــا عـــن الرســول صَلّى اللّهُ عليــه وسلّــم ، وقد قَــدّم لرسالتِه بقولــه :

بســم الله الرحمــن الرحيــم

" ولا حولَ ولا قُــوّةَ إلّا باللّه العَليّ العَظيم ، اللّهُــمَّ سَهّــل " .
ثُــمّ انتقــلَ إلى موضــوع الرّسالة ، فجعله في بابَــين ، سَمّــى البابَ الأوّلَ : بابَ ما وَرَدَ في الشّعر ، وقد ضَمّنَــه واحدا " وثلاثينَ حَديثا " مُسْنَــدا " تُوحــي جَميعُها بجَواز نَظــم الشّعــر وترديدِه ، في حينَ سَمّــى البابَ الثاني : بــابَ ما وَرَد في ذَمّ الشّعــر . وقد اكتفــى المؤلّفُ بإيراد الأحاديث ، سَواءٌ مِنهــا ما كان مُجيــزا " للشّعــر أم مُحَــرِّما " لَهُ ، دونَما تعليــق . ولَرُبّمـــا كان يُكَــرِّرُ الحَديثَ الواحد اذا اختلَفَ السّنَــدُ كُلُّه أو بَعــضٌ منــه ، أو اذا

---

(١) المغــني : ج ١ ، ص ٣٧٦ . الأبيات للأعشى ، انظر : ديوان الأعشى الكبير ص ١٣ .
(٢) المغــني : ج ١ ، ص ٤٤٧ ، لم أعثر على قائل هذا البيــت .
(٣) المغــني : ج ١١ ، ص ١٨٦ .

كان هناكَ اختـلافٌ في نـصِّ الحديث . فمِن الأحاديثِ الّتي أورَدها وتشعر بجَواز نَظم الشعر ، الحديثُ التّالي ، أُورِدُه بأسانيدِهِ ، لأنَّ في ذلك مايُعَزِّزُ ماعُرِفَ عَن الشيخ من قُدرةٍ فائقةٍ على حفظ الأحاديث بأسانيدها : " أخبرَنا أبو القاسم يَحيى بنُ ثابتِ بنِ بُندار البَغدادي بها، أخبرَنا أبو المعالي ثابتُ بنُ بُندار ، أخبرَنا أبو بكر أحمدُ بنُ محمدِ بن غالبِ البَرقاني الخَوارزمي ، أخبرَنا أبو بَكر أحمدُ بنُ ابراهيمَ بن اسماعيلَ الجُرجاني الاسماعيلي ، أخبرَني يَحيى بنُ محمدٍ والحَسَنُ قالا : حَدّثنا أبي وَحَدَّثَنا القاسمُ ، حَدّثنا محمدُ بنُ المُثَنّى ، حَدّثنا محمد بنُ جَعفر قالا : حَدّثَنا شُعْبَةُ ، عن عبد الملكِ بن عُمَير ، عن أبي سَلَمة بن عبدِ الرحمن عن أبي هُرَيرة ، عن النّبيّ ، صَلّى اللّه عليه وسَلّم ، قال : ماقالَت الشُّعَراء بَيْتا " هُو أصدقُ من قَولِهم :

أَلا كُلُّ شَيءٍ ماخَلا اللّهَ باطِلُ " (١) ×

---

(١) المخطوط : ص ١١

الحديث صَحيح ، وقد وَرَد في فتح الباري ، في الرّقاق ، تحت رقم (٦٤٨٩) ، في باب : الجَنّة أقربُ إلى أحدكم من شِراك نَعله والنارُ مثلُ ذلك . ورواه مُسلم من طَريق محمد بن المُثَنّى بهذا الاسناد تحت رقم (٢٢٥٦) الجزء الخامس ، باب الشعر .

وأخرجه الأمام أحمد من طريق مُحمّد بن جَعفر ، الجزء الثاني ، ص٤٥٨ .
وأخرجه أبو نُعيم في " الحِلية " : ج٨ ، ص ١٢٠ ، والبَيْهقي : ج١٠ ، ص ٢٣٧ .
وأخرجه ابن أبي شيبة ورفعه عنده ، (٦٠٦٧) وابن ماجة في سُنَنه انظر : الحديث رقم ٣٧٥٧ .
وأخرجه ابن أبي شيبة (٦٠٦٦) وأبو نعيم في " أخبار أصبهان " ج ١ ، ص ٢٦٦ ، من طريق أبي أسامة ، عن زائدة بن قدامة ، عَن عبدِ المَلِك بنِ عُمَير عن موسى بنِ طَلحة ، عن أبي هريرة .

× هذا شَطر بيت من الشّعر للشاعر الجاهلي لَبيد بن رَبيعة العامِريّ ، أمّا شَطرُه الآخر .... وَكُلّ نَعيم لا مَحالةَ زائِلُ .
انظر : كتاب الأمثال والحِكَم ، محمد بن أبي بكر الرازي ، ٦٦٦ هـ ، تحقيق : د. عبد الرزاق حسين
دار البشير ، عمان . ص : ١٥

ومن هذه الأحاديث التي يُفهمُ منها اباحةُ الشّعر ، ماروَاه بسَنَد طويل ، عَن أبي سَلَمَةَ بنِ عبدِالرّحمن أنّه سَمِعَ حَسّانَ بنَ ثابتٍ الأنصاريّ يستشهدُ أبا هُرَيرة :

«أنشدُكَ اللهَ ، هَلْ سَمِعتَ رسولَ اللهِ ، صَلّى اللّهُ عليهِ وسَلّم ، يَقول : " ياحَسّانُ أجِبْ عَن رَسولِ اللهِ ، صَلّى اللّهُ عليه وسَلّمَ - اللّهُمّ أيّدْهُ بِروحِ القُدُس " ؟ قالَ أبو هُرَيرة : نَعَم» (١) ومن الأحاديث التي أورَدَها المؤلّفُ شَواهدَ على إباحة نَظْم الشّعر ، مارواه عن أبي طاهر السّلَفي ، مَرفوعاً إلى البَراء بن عازب ، أنّ النّبيّ صَلّى اللّهُ عليه وسَلّم قالَ لحِسّانَ : أهجُ المُشركين ، فإنّ جبريلَ عليهِ السّلامُ معك (٢)» . وهو حديث صَحيح ، وقد استشهدَ به الأقدمونَ على جَواز نَظم الشّعر ، ولا سيّما مايَتَعلّقُ منه بهجاء المُشركين . وأورَدَهُ المؤلّفُ في مَوقع آخرَ عن طريقٍ مُختلف مَرفوعاً إلى البَراء كذلك ، وقد اختلفَ نَصُّه قليلاً ، فقال : أخبرنا مُحَمّدُ ابنُ عبدِالباقي بن أحمدَ بن سَلمانَ . . . . . . إلى أنْ يَرفَعَهُ إلى البَراء أنّه قال : قالَ رَسولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عليه وسَلّمَ لحِسّانَ بنِ ثابت " اهجُهم

---

(١) انظر : المخطوط ، ص٢ .
حديث صَحيح ، أخرجه البُخاري : ج١ / ١٣٤ - ١٣٥ ، في الصلاة باب الشّعر في المسجد ، وفي ج١٠ ، ص٥٠٠ ، في الأدب ، باب : هجاء المُشركين . وأخرجَه مُسلم : ١٦ / ٤٥ في فضائل الصّحابة ، باب : فضائل حَسّان ، وأخرجه النّسائي في " عَمَل اليوم والليلة " رقم ١٧٢ . وأخرجه الطّحاوي في " شَرح معاني الآثار " ج٤ ، ص٢٩٨ . والبَيْهَقي ١٠ / ٢٣٧ من طريق أبي اليمان بالإسناد نفسه .
وأخرجه البُخاري : ١٠ / ٤٥٠ في الأدب ، باب : هجاء المشركين ، والطّبراني ج٤ رقم ٣٥٨٧ . وأخرجه أحمد : ج٥ ، ص٢٢٢ ، وأخرجه النسائي في السنن ج٢ ص٤٨ في باب المساجد ، (الرخصة في انشاد الشعر الحَسَن في المسجد) وأخرجه أبو داود الطّيالسي ، حديث رقم ٢٢٢٣ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده : ج٤ ، ص٢٨٦ ، والطّحاوي في " شَرح معاني الآثار " ج٤ ، ص٢٩٨ وابو بكر الخطيب في " تاريخ بغداد " ج١٤ ، ص٣١ . وأخرجه ابن أبي شَيْبة (٦٠٧٣) وأخرجه البُخاري في المَغازي باب مَرجِع النّبي صَلّى اللّهُ عليه وسَلّمَ منَ الأحزاب : ج٧ ص٣٢٤ وأخرجه الطّبراني في مُعجَمه : ج٤ ، ص: ٣٥٩ ، والحاكم في " المُستدرَك " ج٣ ، ص٤٨٧ .

أو هاجهم وجبريل معك (١) ". وهو حديث صحيح . ومن الأحاديث التي أوردها في باب ذم الشعر ، ما رواه أبو هريرة ، رضي الله عنه عن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : " لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا ، خير من أن يمتلئ شعرا ". (٢) ومن ذلك ما رواه عن المبارك بن علي مرفوعا " إلى أبي حريز مولى معاوية ، أنه قال : " خطب الناس معاوية بحمص ، فذكر في خطبته أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حرم سبعة أشياء : وإني أبلغكم وأنهاكم عن النوح والشعر ، والتصاوير والتبرج وجلود السباع ، والذهب ، والحرير " (٣) ويرى الدارس أن المنهجي

---

(١) رواه البخاري عن سليمان بن حرب ، ومسلم بن عبيد الله بن معاذ بن ابن معاذ ، عن أبيه ، كلاهما عن شعبة . انظر : باب ذكر الملائكة ج٦ ، ص ٢٣٦ . انظر : المخطوط ، ص ٢ .

(٢) انظر : المخطوط ، ص١٢ .
أخرجه مسلم : ١٥/١٣ – ١٤ في الشعر ، وابن ماجة ، رقم (٣٧٥٩) وأحمد : ج ٢ ، ص ٤٧٨ ، وابن أبي شيبة (رقم ٦١٣٤) ، والبيهقي ج ١٠ ، ص ٢٤٤ ، والبغوي . رقم : ٣٤١٣ . وأخرجه الطحاوي في " المعاني " : ج ٤ ، ص ٢٩٦ . وأخرجه ابن حبان في صحيحه تحت رقم (٥٧٤٧) .
وأخرجه البخاري : ج ١٠ ، ص ٤٥١ ، في باب : ما يكره أن يكون الغالب على الانسان الشعر . وأخرجه الترمذي رقم (٢٨٥٠) .

(٣) المخطوط ص : ١٤ .
انظر الحديث في : مسند الإمام أحمد ، ج ٤ ، ص ١٠١ ، وأخرجه ابن ماجة (رقم ١٥٨٠) من طريق هشام بن عمار ، عن اسماعيل بن عياش بهذا الاسناد . وقال البوصيري في " مصباح الزجاجة " ورقة ١٠٢ : " هذا اسناد فيه حريز ، ويقال : أبو حريز ، لم أر من جرحه ، ولا من وثقه . واستأنف البوصيري قائلا " : وعبد الله بن دينار ، هو الحمصي قال فيه أبو حاتم : ليس بالقوي ، وقال أبو علي الحافظ : هو عندي ثقة وذكره ابن حبان في " الثقات ".
وأخرجه الطبراني : ج ١٩ (رقم ٨٧٦) من طريق عمرو بن خالد الحراني عن أبيه عن اسماعيل بن عياش ، بهذا الاسناد .
وأخرجه كذلك في : ج ١٩ (رقم ٨٧٧ ، ٨٧٨) من طريق محمد بن مهاجر الأنصاري عن كيسان مولى معاوية ، قال : " خطبنا معاوية فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نهى عن تسع وأنا أنهاكم عنهن ، ألا إن منهن النوح والغناء والتصاوير والشعر والذهب والتبرج والسروج والحرير ".

عنه هو الشّعر الخارجُ عن اطار الآداب الأسلامية كالهجاء الفاحش والوصف المُبتذل ومدح الرّجل بما ليسَ فيه ، إلى ماسوى ذلك من الشّعر الّذي لا يَربطه برباط العقيدة شيء ، فالرّسولُ صلّى اللّه عليه وسلّم إنّما أطلقَ الكُلّ وأرادَ الجزءَ ، إذ كيف يستقيمُ النّهيُ هُنا مَع الحثّ على استخدام الشّعر في المعركة وهجاء المُشركين في الاحاديث السابقة ؟ !

على أنّه ينبغي ألّا يُفهمَ أنّ كُلّ ماأورَدهُ الشّيخُ عبدُ الغني في " أحاديث الشّعر " من أحاديثَ مِمّا لا يَرقى إليه الشّكّ ، فَقَد أورَدَ بعض الأحاديث الضّعيفة ، على الرّغم مِمّا عُرِف عنه مِن تحرّزٍ وضبطٍ . ومثالُ مارَواه مِنَ الأحاديث الضّعيفة ، ماجاء في باب ذَمّ الشّعر ، حيث قال :

" أخبرَنا مُحمّد بنُ عبدِ الباقي ، أخبرَنا أحمدُ بنُ الحَسَن بن خَيرون أخبرَنا الحَسَنُ ابنُ أحمدَ بنِ ابراهيمَ بنِ شاذانَ ، أخبرنا عبدُ اللّه بنُ جعفر حدّثنا يَعقوبُ بنُ سُفيانَ ، أخبرَنا حُميدُ بنُ الرّبيع ، حدّثنا هُشَيم أخبرَنا أبو الجُهم ، عَن الزّهريّ ، عن أبي سَلَمَة ، عن أبي هُريرةَ ، قال : " قالَ رسولُ اللّهِ ، صلّى اللّهُ عليه وسلّم : امرؤُ القيس صاحبُ لِواء الشّعراء إلى النّار ". (١) ففي سَنَد هذا الحديثِ أبو الجُهْم ، وهو مَجهول ولم يُروَ هذا الحديثُ عن الرّسول ،صلّى اللّهُ عليه وسلّم،بغيرِ هذا الاسناد .

---

(١) انظر : المخطوط ، ص : ١٤ .
أخرجه البَزّار (٢٠٩١) وابن عَديّ في " الكامل " ج٧ ، ص ٢٧٥٥ ، وابنُ الجوزيِ في " العِلَل المُتَناهية " ج ١ ، ص ١٣٨ . وابنُ عساكر في تاريخ دمشق : ٣٩ / ٢٣٤ — ٢٣٥ . "وقال البزّار : لا نَعلمُه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم إلّا بهذا الأسناد . وأبو الجَهم الوارِدُ اسمُه بين الرّواة ، قال فيه أبو زُرعة : واهٍ ، وقالَ أحمدُ: مجهول ، وقال ابنُ حبّان : يَروي عَن الزّهري ماليسَ من حَديثه . وقال ابنُ عَديّ : لا نَعرفُ له سوى هذا الحديث ، وهو مُنكَر بهذا الأسناد . وقال ابنُ عبد البَرّ : لا يَصِحّ حَديثه". (انظر : الميزان : ج٤ ، ص ٢١(٥) ولسان الميزان " ج٧ ، ص ٢٨ — ٢٩ " وتَعجيل المنفعة : ص ٤٧٢ — ٤٧٣) .

أمّا فيما يتعلّقُ بالشّعر ، فإنّ أقدمَ ما وَصَلنا منه يعود إلى مطلع القرن الثالث الهجري ، وهو لا يتعدّى تلك المجموعات من الأبيات التي أورد تها في أثناء حديثي عن الشاعر ادريس بن يزيد النابلسي . ثم انقضت فترة طويلة من الزمن قبل أن يظهر الشّعر في حياة الأدباء النابلسيين ، مع أنّ الشّعرَ في السنين اللاحقة للقرن الثالث الهجري ، كان له شأنٌ كبير في النتاج الأدبي ، وكان يلقى اهتماماً من الخاصّة والعامّة على حدّ سواء . إلاّ أنّ الشّعر كان أوفرَ حظّاً في الحقبة المتأخّرة من العصر العبّاسي ، إذ تمكّن الدّارس من العثور على نماذجَ منه توحي بوجود عدد من الشّعراء النابلسيين ، كان من أبرزهم ، الرّشيد النابلسي الذي حظي في عصره بشهرةٍ فاقت شهرةَ غيره من الشّعراء .

ويرى الدّارسُ أنّ الرّوحَ الدّينيةَ كانت بارزةً في شعر المنطقة ، مثلما كانت بارزةً في ألوانِ الثّقافة الأخرى ، إذ يُمكن القولُ بأنّ ما نُظم من شعرٍ إبّان هذه الحقبةِ قد خضع بمُجْمَلِه للحِسّ الدّيني التزهّدي ، ولذا كانت موضوعاتُ الشّعر في الغالب مُستمدّةً من معتقدات الناس الدّينية وقيمهم الرّوحية . وقد أشاد الشّعراءُ في شعرهم بالمُشتغلين بعِلمَي الفقه والحديث ، باعتبار هذين العِلمين من أجَلّ العُلوم . ومن ذلك قولُ عبدِ الرّحمن بنِ عبد المنعم بنِ نعمة مُشيداً بعلم الحديث والمشتغلين به :

مافي العُلوم له مِثلٌ يُماثِلُهُ فاطلُبْهُ مُقتَصِداً ، تَسعَدْ به أبدا
وأهلُهُ خيرُ أهلِ العِلم قاطبةً فكُن مُحِبّاً لهم كيما تفوزَ غدا
لولا هُمُ زادَ قومٌ في الشّريعة ما شاؤا ، ولكنْ حَماها كونُهم أُسُدا
هل يَستوي مَن نأى عَن أرضِهِ طَلَباً لها وآخرُ عن تَحصيلِها قَعَدا ؟!
شانيهِمُ لا لَقيتَ الدّهْرَ مَحمَدَةً ولا وُقيتَ مُصاباً ، لا وَلا فَنَدا (١)

ونَجِدُ مِثلَ هذا المعنى في شِعر مُحَمّدِ بن عبدِ القَويّ بنِ بَدران (٢) ، وعبدِ الله ابنِ غانمِ بنِ عَساكر (٣) وغيرِهما من شُعَراء هذه الحِقبة من العَصر العبّاسيّ .

---

(١) انظر : الذّيل على طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٢٦٦ .
(٢) انظر : منظومة الآداب ، ص : ٣ .
(٣) انظر : ذيل مرآة الزمان ، ج ٣ ، ص ٥٦ .

وقد شاعَ النَّظمُ في الزُّهد ، إذ انطلقَ الشُّعراءُ من النَّظرةِ المعروفةِ للزُّهّاد إلى الحَياةِ الدُّنيا ، من أنّها لَعِبٌ ولَهو ، وأنّ الحَياةَ الأُخرى هي التي يَنبغي أن تكونَ غايةَ الأنسانِ فيما يَقولُ ويَفعلُ ولِهذا كثُرَ في شِعرهم التّذكيرُ بالمَوت ، والحَثُّ على الأعراضِ عن الدُّنيا ، والدَّعوةُ إلى الإقبالِ على الآخرة ، فقد قال المُوفّق :

أتغفَلُ يا ابنَ أحمدَ والمَنايا — شَوارِعُ يَختَرِمْنَكَ عَنْ قَريبِ ؟ !
أغرَّكَ أنْ تخَطّتكَ الرزايا — فكَم للمَوتِ مِن سَهمٍ مُصيبِ
كُؤوسُ المَوتِ دائِرةٌ علَينا — وما للمَرءِ بُدٌّ مِنْ نَصيبِ
إلى كَمْ تَجعَلُ التَّسويفَ دَأباً — أما يَكفيكَ انذارُ المَشيبِ ؟ !
أما يكفيكَ أنّكَ كُلَّ حينٍ — تَمرُّ بِقَبرِ خِلٍّ أوْ حَبيبِ
كأنّكَ قد لَحِقْتَ بِهم قَريباً — ولا يُغنيكَ إفراطُ النَّحيبِ ! ! (١)

ومن الموضوعاتِ التّقليديّةِ الّتي أكثرَ شُعراؤُهم النَّظمَ فيها ، ما يَدخلُ في بابِ الأخوانيّات ، أو عَلاقةِ الأنسانِ بالأنسان ، مِثل : الوفاءِ واظهارِ المَوَدّةِ ، إذ يَكادُ يَكون هذا الغَرَضُ من أغراضِ الشِّعر قاسِماً مُشتَركاً بينَهم . ومِنْ جَيّدِ ما قيلَ في هذا الموضوعِ ، ما قالَه الحافظُ ابنُ بَكّار (٢) :

شَفيعي إليكُمْ ذِلّتي وخُضوعي — وَفَرطُ غَرامي فيكُمُ وَوُلوعي
وَشِدّةُ أشواقي إليكُمْ وحُرقَتي — عَلَيكُمْ وأنفاسي وفَيضُ دُموعي
جَنابُكُمُ لي مَوطِنٌ وَحِماكُمُ — مَلاذٌ ، وأنتُمْ مَفزَعي وَنُزوعي
تَقضّى زَماني في هَواكُمْ فَلا أرى — سِواكُمْ إليهِ مَوئِلي ورُجوعي (٣)

---

(١) المُغني والشَّرح الكبير : ج١ ، ص٧ .

(٢) يوسفُ بنُ الحَسَنِ بنِ بَدرِ بنِ الحَسنِ بنِ مُفَرِّجِ بنِ بَكّار ، المعروفُ بشَرفِ الدّين النّابُلُسي ، المولودُ سنة سِتّمائةٍ وثلاث ، وقد تَفَقّهَ وحَدّثَ بدمشقَ والاسكندرية وروى عنه جماعة ، وَوَلِيَ مَشيخةَ دارِ الحديثِ النّوريةِ بدمشق مُدّة . وكانت وفاته سنة ٦٧١ هـ (انظر : فوات الوفيات ج٤ ، ص٣٤٠) .

(٣) انظر فوات الوفيات ، ج٤ ، ص٣٤٠ .

وكان للمدح ، وهو من الأغراض التّقليدية كذلك ، نصيبٌ كبيرٌ في شعرهم ، وكان بعضهم يَصْدُرُ في مدحه عن رَغْبةٍ في المكافأة والثّواب ، وقد يُبيّن ذلك صراحةً ، كما في الأبيات التالية لمنصور بن محمّد بن عليّ النابلسي (١) :

جُبِلتُمْ على الأحسانِ آلَ مُهاجرٍ وحُزتُمْ رِقابَ الفَخْرِ والحَمْدِ والمَجْدِ
وجودُكُم قد سار شَرْقاً ومغرباً وطبّق عُرضَ الأرض غَوْراً إلى نَجْدِ
غدَتْ وتمَّ لِجيدِ الدّهر عِقْداً مُنَظَّماً بِيُسْرٍ ، وعِزُّ الدِّينِ واسطةُ العِقْدِ
أيَجْمُلُ أنْ يَحيا بجودِكُمُ الورى جَميعاً ، وأعرى مِنْهُ دونَهُمُ وَحْدي؟(٢)

وهو مدحٌ لا يخلو من مُبالغةٍ وإفراطٍ كما هو واضح .

وقد يصدُرُ الشّاعرُ في مَدحِهِ عَنْ اعجابٍ صادقٍ بالممدوح ، دون النَّظر إلى مُكافأةٍ أو ثواب . ولعلّ من أفضلِ الشّواهد على هذا النّوع من شعر المدح ، تلك القصائدُ الّتي نَظَمَها الرّشيدُ النابُلسي في السُّلطان صلاح الدّين الأيّوبي ، مُطرياً جِهادَه وانتصاراتِه الكبيرةَ على الصّليبيّين .

وكان الحنينُ أحدَ الأغراضِ الّتي نَظَمَ فيها شعراؤُهم ، ولا سيّما الحنينُ إلى المحبوب البعيد . والحنينُ في هذا الشّعر ، يَستبينُ فيه الصّدقُ الشّعوري ، وحَرارةُ التّعبيرِ ، وانسيابيّةُ النّظم . وقد ساروا في حنينهم على نهج القُدماء ، من ذكر الأماكن وريحِ الصّبا وأزهارِ الرّند ، وخطراتِ البرق والبَوْحِ بالشّكوى ، إلى ما سوى ذلك مِمّا كانَ يَرِدُ في شعر القُدماء . ومن ذلكَ قولُ الحافظ ابنِ بَكّار :

سَلوا عَذَباتِ الرَّنْدِ أو نَسمةَ الصَّبا إلى غيركُمْ هَلْ مالَ قلبيَ أو صَبا ؟
فَعِندَهُما أخبارُ كُلِّ مُتَيَّمٍ مُحِبٍّ لَكمْ ما حالَ مِنْ زَمَنِ الصِّبا
يَحِنُّ إليكُمْ كُلّما لاحَ بارِقٌ ويُشتاقُكمْ ياساكِني ذلكَ الخِبا
ويَرتاحُ نحو المُنْحَنى وطُوَيْلِعٍ ويَهفو إلى تلك المَعالِمِ والرُّبى (٣)

---

(١) أبو محمد منصورُ بنُ مُحَمدِ بنِ عَليّ النابُلسي (من سنة ٦٠٠ هـ ، إلى مابعد سنة ٦٣٠ هـ) ، وقد ذُكر أنّه وَرَد إرْبِلَ غيرَ مرّة ، حيث كان يَعمَلُ بالتّجارة . وذَكَرَ ابنُ المُستَوفي أنّه قرأ على ابنِ عُنَيْنٍ بعضاً من شِعره ، وكان يَحفظ شعراً كثيراً . (انظر : تاريخ اربل ، ق ١ ، ص ٤٤٦)

(٢) انظر : تاريخ اربل ، ق ١ ، ص ٤٤٦ .

(٣) انظر : فوات الوفيات ، ج ٤ ، ص ١٣٤ .

ومنه قوله :

رأى البرقَ نجديّاً فحنّ بما يهوى ولاحت له نارٌ فحنّ إلى حُزْوى
وهبّت له من جانب الغور نفحةٌ أتتْهُ بريّا ساكني السفح من رضوى
تحيّتُ لهمْ مغرى بهم كلِفٌ جَسِيرِ إلى اللّثمِ فيهمْ ما أصاخ ولا ألوى
يناجي نسيمَ الصّبحِ عندَ هبوبِه بأخبارِ ذاك الحيِّ ، يا طيبَها نجوى
ويشكو إليه ما يُلاقي من الهوى كذا كلُّ صبٍّ يستريحُ إلى الشّكوى (١)

ومن الموضوعات التّقليديّة التي طرقها الشّعراءُ النابلسيّون ، الغزلُ . وباستقراء ما عثرتُ عليه من شعرٍ في هذا الغرض ، يتبيّنُ أنّ غزلهم قد اتّسم بطابع التّحرز والعِفّة ، إذ لم يكن الشّعراءُ يذكرون من الحبيب إلّا ما لا يجدون حرجاً في ذكره . وهم لا يُصرّحون باسم الحبيب ، بل يكتفون بذكر ما حسُنَ من أوصافه الظّاهرة ، وما تركهُ لِقاؤه من أثرٍ في النّفس . وكما في الشّعر العُذريّ القديم ، كان هؤلاء الشعراءُ يتحدّثون عن العذاب الذي يُكابده المُحِبُّ حينَ ينأى عنه محبوبُه . وقد أوردوا في غزلهم المعانيَ والتّشبيهات التي كان القُدماءُ يستخدمونها : فالمحبوبةُ تُشبهُ القمرَ عندَ اكتماله ، ونشوةُ الحبِّ خمرٌ ، وعذابُ الحبِّ مُتّبع ، والظّمأُ إلى الحبيب لا يُروى . ومن شعرهم الغزليّ ، قولُ الرّشيدِ النّابلسي :

يا مَن عيونُ الأنامِ ترقُبُه رِقْبةَ شهرِ الصّيامِ والفِطْرِ
وإنّما يُرقَبُ الهلالُ فلِمْ تُرقَبُ بعدَ الكمالِ يا بدري (٢) ؟

ومنه قولُ ابنِ بكّار :

سلامٌ على أهلِ الغرامِ جميعِهم وخفّفَ عنهمْ ما يُلاقونَ من بلوى
عذابُ الهوى مُستعذبٌ عندَ أهلِه وغُلّتُهم فيه ، مدى الدّهر ، لا تُروى
سكارى بما دارتْ على القومِ خمرةٌ سِوى أنّ خمرَ الحُبِّ طرّحهمْ نشوى (٣)

---

(١) انظر : فوات الوفيات ، ج ٤ ، ص ٣٤٢ .
(٢) انظر : فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .
(٣) انظر : فوات الوفيات ، ج ٤ ، ص ٣٤١ .

وقد لاحَظَ الدّارسُ أنّ شِعرَهم الّذي وَصَل إلَيْنا ، قَد خَلا مِن عَدَدٍ مِن أغراض الشّعر التّقليديّة الّتي شاعت في عَصرهم وقَبل عَصرهم كذلك ، كالوَصف والفَخرِ والهجاءِ ، مَع أنّ هذه الأغراضَ الثّلاثة كانت مِن الأغراض الشّائعة في الشّعر العَربي .

أمّا الأغراضُ الجَديدةُ الّتي نَظَمَ فيها شُعَراءُ هذا العصر ، ولا سيّما في القَرنين الأخيرين منه ، فقد كانَ من أبرَزِها نَظْمُ العُلومِ . وقَد قَدّمَ الدّارسُ عند حَديثِه عَن الشّعر في باب الحياة الأدبية من هذه الدراسة ، نَماذجَ مُختلفةً اقتَبَسها مِن قَصيدَتَي اللّغَويّ الشّاعرِ ابنِ بَدران ، اللّتين نَظَمَهُما في أحكام الفِقه والآداب الشّرعيّة .

ولَم يَخلُ شِعرُهم مِن ذِكر الغِلمان عَلى نَحوِ ماكان شائعاً في هذا العصر ، وقد اقتصروا في حديثهم عن الغلمان على وَصف محاسِنهم وآثارِها في النّفوس ، ولكن دونَ أن يُفحِشوا في القَول . ومِن ذلك قَولُ الرّشيد النّابُلُسي يَصِفُ غُلاماً تُركيّاً :

هَـزّ لَدْناً مِن قَـدِّه سَمهَرِيّـا ... ومِنَ اللّحظِ صارماً مَشرَفيّـا
شادِنٌ أرسَلَ الجُفونَ سِهامـاً ... حينَ أبدى مِن حاجبَيه قِسِيّـا
مِنْ بَني التُّركِ ما رَنا ورَمى حَبّـةَ قَلبٍ إلّا أصابَ الرَّمِيّـا (١)

ومِنَ المَوضوعات الّتي تَرتَبِطُ بالنّزعة التّصوّفيّة لَدى شُعراء العَصر ، ما تَعَلّقَ بالذّات الإلٰهيّة والحبّ الإلٰهي . وأبيَنُ ما يُمَيّزُ أولئك الشّعراءَ ، استخدامُهم للرّموز والمُصطلحات والإشاراتِ الصّوفيّة مِمّا هو مَعروفٌ لَدى المُتَصوّفة ، ومِمّا لَه دَلالاتٌ يُدرِكُها الصّوفيّون . ومِثالُه ، ما قالَـهُ عَبدُ اللّهِ بنُ غانمٍ في حَديثه عن الذّاتِ الإلٰهيّة :

لَكَ في القُلوبِ مَنازِلٌ ومَقـامُ ... لا العَقلُ يُدرِكُها ولا الأفهـامُ
وللرّوحِ مَن يَهواكَ فيها شـارَةٌ ... لا الطّرفُ يَلحَظُها ولا الأوهـامُ
وسَرَت إلى الأرواحِ مِنكَ نُسَيْمَةٌ ... سَكِرَتْ بِها العُشّاقُ فيكَ وهاموا (٢)

ولقد جَرى الشّعراءُ النّابُلُسيّون في نَظمهم للشّعر على سُنَنِ مَن عاصَرهم ، إذ حافَظوا على الطّريقة التّقليديّة في النّظم ، مِن حَيثُ التّقيّدُ بالوَزن والقافيةِ على طَريقةِ المُتَقدّمين . ولَم يَخرُج عن الالتزام بالقافية المُوَحّدة سوى الرّشيدِ النّابُلُسيّ الّذي نَظَمَ قَصيدةً على قَوافٍ مُتَعَدّدة (٣) .

والجَديرُ بالذّكر أنّ هذا النّمَطَ مِنَ النّظم لا يمثل ظاهرة مشتركة عند شعراء

---

(١) انظر : فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .
(٢) انظر : ذيل مرآة الزمان ، ج ٣ ، ص ٥٦ .
(٣) انظر القَصيدة أثناء حديثنا عن الشعر في هذه الدراسة .

العصر في منطقة نابلس أو غيرها . ويلاحظ أن البحر الطويل احتل المركز الأول بين البحور التي نظموا عليها ، ولا سيما في موضوعات المدح والحنين والزهد والتصوف ، يليه البحر البسيط ، فالوافر ، فالكامل ، فالخفيف . والمعروف أن هذه البحور هي من أكثر ما نظم عليه الشعراء في العصر العباسي وقبل هذا العصر كذلك . وقد لاحظ الدارس أنهم لم ينظموا على البحور التي لم يشع نظم القدماء عليها ، كالمديد والمضارع والمقتضب والمجتث ، كما لاحظ أنهم قللوا النظم في البحور المجزوءة ، إذ يغلب عليهم الميل إلى النظم على الأوزان ذات التفعيلات الكثيرة .

أما بالنسبة إلى القوافي ، فقد لاحظ الدارس أن الشعراء النابلسيين قد نوعوا في قوافيهم كعادة غيرهم من الشعراء ، مع تواتر استعمالهم لحروف روي معينة وهي تلك التي يكثر استخدامها ، مما يمكن تسميته بالقوافي الموطأة .

أما الأساليب التي اتبعها الشعراء في نظمهم ، فقد كانت متباينة ، تختلف باختلاف الأغراض التي نظموا فيها ، والمعروف أن شكلاً من أشكال الارتباط يوجد غالباً بين الموضوع والأسلوب الشعري ، وقد ربط القدامى بينهما كما فعل القاضي الجرجاني الذي رأى أن "تقسم الألفاظ على قدر المعاني ، فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجاؤك كاستبطائك ، ولا هزلك بمنزلة جدك ، ولا تعريضك مثل تصريحك ، بل ترتب كلاً مرتبته ، وتوفيه حقه ، فتلطف إذا تغزلت ، وتفخم إذا افتخرت ، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه ، فأن المديح بالشجاعة والبأس ، يختلف عن المديح باللباقة والظرف ، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام ، فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به ، وطريق لا يشاركه الآخر فيه" (١) .

ولقد نهج الشعراء النابلسيون في أساليبهم نهجاً يتفق مع ما ذكره الجرجاني ، فهم في مديحهم وحديثهم عن الحرب ، يتصف أسلوبهم بالقوة والجزالة ، ويتسم أسلوبهم في الغزل والحنين والشكوى والعتاب بالرقة والعذوبة والسهولة . واستخدم بعضهم أسلوب الحوار في الشعر كما في قول الرشيد النابلسي :

فقلت والشوق يطويني وينشرني	لم ألق قبلك صبحاً بين ليلين
فمر يضحك من قولي وقال بلى	كم قد رأى الناس سعداً بين نحسين (٢)

---

(١) انظر : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ص ٢٤ .

(٢) انظر : فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .

ومِنَ الظَّواهرِ الّتي لاحَظَها بَعضُ الدّارسينَ المُعاصِرين ، ظاهِرَةُ التَّكرار ، وقد اعتُبِرَت ظاهرةً عامّةً عندَ شُعَراءِ الشّام في هذا العَصر (١) ، ويَبدو التَّكرار واضِحاً في مَواقعَ مُتَعَدِّدَةٍ من شِعرِ الرَّشيد النّابُلُسي .

وقد لاحَظَ الدّارسُ كذلكَ لجوءَ شُعَراءِ المِنطَقَةِ إلى الاقتباس والتَّضمين في شِعرِهم، فمِنَ الاقتباس قَولُ ابنِ بَدران :

وغَدْوَةُ غازٍ أَوْرَواحُ مُجاهِدٍ لَخَيْرٌ مِنَ الدُّنيا بقَولِ مُحَمَّد (٢)

والاقتباسُ في البَيتِ واضِح ، وهو مأخوذٌ مِن قَولِ الرَّسول،صَلّى اللّهُ عَليه وَسَلَّم :
" لَغَدْوَةٌ في سَبيلِ اللّهِ أَو رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنيا وَما فيها ".(٣)
ومِنَ التَّضمين ، قَولُ ابن بَدران :

فَلِلّهِ مَن قَد باعَ لِلّهِ نَفسَهُ وَجودُ الفَتى بالنَّفسِ أَقصى التَّجَوُّدِ (٤)

فالشَّطرُ الثّاني مأخوذٌ مِن قَولِ الشّاعرِ مُسلِم بن الوَليد :

يَجودُ بالنَّفسِ إذ ضَنَّ البَخيلُ بِها والجَودُ بالنَّفسِ أَقصى غايَةِ الجودِ (٥)

أمّا بالنِّسبَة إلى الصّورة الفَنّية الشِّعرية في شِعر النّابُلسيين ، فإنّها تَتَمَثَّلُ في أَشكال البَيان المُعتادة ، مِن تَشبيهٍ واستِعارةٍ وكِنايَةٍ وغَيرِها مِن الصُّوَر . وقد كانوا في حديثِهم عن المَرأة يَستَمِدّونَ صُوَرَهم الفَنّيّة من شِعر الجاهليين ، كأنْ يُصَوِّروا وَجهَها بَدْرا وقوامَها غُصناً غَضّاً ، وأَسنانَها دُرّاً ، ورُضابَها خَمرا ، إلى غيرِ ذلك من التَّشبيهات المَألوفة الّتي نَجِدُها في شِعرِ الجاهليّين . واستَمَدَّ الشُّعَراءُ الكثيرَ من صُوَرِهم الشِّعريَّة مِمّا حَولَهم مِن مَظاهرِ الطَّبيعة ، فَأَسودُ اللَّون لَيلٌ ، وأَبيَضُه نَهارٌ ، والمَحبوبُ شادِنٌ ، والدَّمعُ عَقيقٌ ، والجودُ بُحورٌ سَبعة ، إلى ما سوى ذلك من الصُّوَر والتَّشبيهات . وقد لاحَظَ الدّارسُ أنَّ شُعَراءَ نابُلُس لم يكونوا مُغرَمين باستخدام البَديعِ إلّا ما جاءَ مِنهُ دونَ تَعَسُّفٍ وتَعَمُّل . وفيما استَخدَموهُ مِن أَلوانِ البَديع ، طَغى الجِناسُ على الأَلوانِ الأُخرى ، سَواءٌ كان جِناساً تامّاً أَمْ ناقِصاً ، كَقَول الحافِظِ ابنِ بَكّار :

---

(١) انظر : الحياةُ الأَدبيةُ في الشّام في القرن الخامس الهجري ، ص٣٨٥ .
(٢) انظر : عِقد الفَرائد ، ص ١٩١ .
(٣) انظر : فَتح الباري ، ج٦ ، ص ٩ .
(٤) انظر : عِقد الفرائد ، ص : ١٦١ .
(٥) انظر : جَواهر الأدب / أحمد الهاشمي ، ج ٢ ، ص ١٦٠ . البيت في مَدح داودَ بنِ يَزيدَ المُهَلَّبيّ .

هَـوايَ الهَوى المعهودُ لَيسَ بزائلٍ   وإن بَعُدَتْ داري وَوَجْدي بِكُم وَجدي (١)

وقَـولِـه :

سَلوا عَذَباتِ الرَّندِ أو نسمَةَ الصَّبا   إلى غيرِكم ما مالَ قَلبيَ أو صَبا (٢)

ومـِنَ الجِّناس كذلك ، قولُ الرَّشيـد :

وَأبيها لولا تَغـزُّلُ عَينيْها لَما قُلتُ في التَّغَزُّلِ شِعـرا (٣)

وقـولُه :

زاروا نُموراً ولا تُغني وَقاحَتُهُم   إذا أسودُكَ في أبطالِهِم زَأرُوا (٤)

وقَـولُـه :

وإذا بُصُرتَ بجاشِهِ وبِجَيْشِهِ   فاحتْ التُّرابَ على ذُؤابة سِنجِر (٥)

ومِنَ المُحَسِّنات البَديعيَّةِ الّتي وَرَدَت في شِعرِهم ، الطِّباقُ ، ويَأتي في كثرة استعماله بَعدَ الجِّناس ، ومِن أمثلته ما جاء في قولِ مَنصـور النّابُلُسـي :

وَجَودُكُمْ قَد سارَ شَرقاً ومَغرِباً   وطَبَّقَ عُرضَ الأرضِ غَوْراً إلى نَجْد (٦)

وَفي قولِ التَّرشيـد :

فَكَمْ نَثَرْتَهُمْ ضَرْباً إذْ انتَظَموا   وكَمْ نَظَمْتَهُمْ طَعْناً إذ انتَشَروا (٧)

وَلَم يُلاحظ الدّارسُ ظهوراً واضحاً لأنواع البَديع الأخرى في شِعرِهـم .

---

(١) انظر : فوات الوفيات ، ج ٤ ، ص ٣٤٤ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) انظر : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ .
(٤) انظر : الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٦٤ .
(٥) المصدر السابق .
(٦) انظر : تاريخ اربل ، ق ١ ، ص ٤٤٦ .
(٧) انظر : الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .

خاتمة :

في دراستي للحياة الأدبية والثقافية في نابُلُس وما جاوَرها في العصر العبّاسي ، لم يَغِب عن ذهني ، أنّ العصرَ العباسيَّ عَصرٌ مَديد ، فقد امتدَّ أكثر من خمسمائةِ عام ، وكان عصراً مُزدهراً علماً وحضارةً وفكراً ، بل لعلّه كان أكثرُ العُصور الأسلامية امتداداً وازدهاراً ، ومع ذلك كلّه ، بقي أمرُ الثّقافة والأدب في مَنطقة نابُلُس بالمقارنة مع غيرها من المناطق الأخرى في العالم الاسلامي ، مَجهولاً . ويَرى الدّارسُ أنَّ سببَ ذلك يَعود إلى بُعدها عن مراكز الثّقافة والاشعاع الفكري في الدولة الأسلامية ، اضافةً إلى ضيق الرُّقعة الجُغرافية الّتي تشغلُها . ولمّا كانت دراسةُ حِقبةٍ محدودةٍ من هذا العصر لا تتوافَرُ لها المادةُ الكافيةُ ، بسَبب افتقارنا إلى معلوماتٍ كافيةٍ عن المنطقة ، في المصادر الّتي وَصلَت إلينا أيدينا ، فقد لجأتُ إلى دراسة الحياة الأدبية والثقافيّة فيها عبر سِنيّ العصرِ كُلّه ، لكي استفيدَ من أكبر قَدْرٍ من المَصادر وأوفرِ نَصيبٍ من المعلومات .

وقد تَبَيّنَ لي من خلال هذه الدراسة ، أنّ القرون الأربعة الأولى من هذا العصر ، التي تبدأ بقيام الدولة العبّاسية ، سنة مائة واثنتين وثلاثين وتنتهي بسقوط نابُلُس بيد الصّليبيين ، سنة خمسمائة وأربع ، كانت فترةً شحيحةَ الأنتاج ، سواءً في مجال الأدب أم في مجال الثّقافة . ففي مجالِ الأدبِ ، لم تَذكُر لنا المصادرُ سوى عددٍ مَحدودٍ جداً من الشُّعَراء ظَهَروا في هذه الفترة ، من أبرزهم الشّاعر ادريسُ بنُ يزيدَ النّابُلُسي الذي كان معاصراً لأبي تمّام ، وحتّى هذا الشاعرُ ، لم تَحْفظ لنا المصادرُ من شِعرِهِ الّا القليلَ . وفي مجال الثّقافة العامّة كان ما أوردَتْهُ المصادرُ من أمرِها ، في هذهِ الفترةِ ، يَكادُ يَقتصرُ على الدراسات الفقهيّة ، والدينيّة بشَكلٍ عامّ . فقد ظَهرَ في المنطقة عَددٌ من الفُقهاء ، كان لهم أثرٌ في مجال العلوم الدينيّة ، وكان

من أجلّهم ، الشيخ نصر بن ابراهيم النابلسي (٤٩٠ هـ)، الذي رأى بعض معاصريه ، أنّه لا يقلّ بحالٍ عن أئمة السّلف . وتذكر المصادر أنّه ترك عدداً من المصنّفات القيّمة في الفقه الشافعي وغيره، وقفها جميعها على بيت المقدس ، وإليه يرجع الفضل في نشر مذهب الشّافعية في بلاد الشّام . ومن أولئك الفقهاء ، ابن النابلسيّ الشّهيد (٣٦٣ هـ) ، والشّيخ أبو عبد الله الدّيباجيّ النابلسيّ (٥٢٧هـ) . ولم يصلنا شيء ذو قيمة عن ألوان الثّقافة الأخرى في المنطقة في ذلك العهد .

أمّا الفترة التالية الّتي تبدأ بالغزو الصّليبي لنابلس سنة خمسمائة وأربع ، وتنتهي باشتداد حركة الهجرة من المدينة وما حولها سنة خمسمائة واثنتين وخمسين ، فمن الطّبيعي أن لا نستبين فيها معالم لنشاطٍ أدبيّ أو ثقافيّ ، وذلك لانشغال الناس بمدافعة العدو، عدم إحساسهم بالأمان والاطمئنان ، وهذا أمرٌ طبيعيّ في ظلّ الظّروف الّتي كانوا يمرّون بها . أمّا الفترة المتبقيّة من العصر العبّاسيّ ، فقد كانت أفضل بكثيرٍ من الفترتين السّابقتين ولا سيّما بعد طرد الصّليبيين من المدينة وما حولها . إذ ظهرت في المنطقة بوادر حركةٍ ثقافيّةٍ وأدبيّةٍ نشيطة ، تجلّت في مجالات المعرفة المختلفة : في الفقه وعلوم الحديث ، وفي اللّغة ونحوها ، وفي الشّعر والتّاريخ ، وعلوم الهيئة والنّجوم وتعبير الرّؤيا وبعض العلوم الطّبيّة وغيرها ، والملاحظ على الثّقافة في هذه الفترة ، أنّها لم تقتصر على المدينة نفسها ، بل لقد استبانت آثارها في المنطقة المحيطة بها بشكلٍ واضح ، فبرزت أسماء قرىً كثيرة ، كان لعلمائها دورٌ كبيرٌ في إغناء الحركة الثّقافيّة داخل المنطقة وخارجها ولا سيّما قرية جمّاعيل وقرية مردا . وقد ظهر في مجال الدّراسات أنّ الموسوعيّة غلبت على علماء هذه الفترة ، وأنّ علم الفقه وعلوم الحديث ، قد استأثرت بالاهتمام الأكبر من بين سائر العلوم

إذ ظهر من بين العلماء النابلسيين ، عددٌ كبيرٌ من المهتمين بهذه العلوم ، نالَ بعضُهم حظّاً بعيداً من الشهرة في عصره وما تلاه من عصور . ففي مجال الفقه مثلاً ، حقّق الشيخُ موفّقُ الدين بنُ قدامةَ شهرةً واسعةً ، حتّى قال فيه بعضُ معاصريه : "إذا خرجَ هذا الفتى من بغداد احتاجت اليه" . وكتابُه "المُغني" يُعتبر من أشهر كتب الفقه الأسلامي ، وكذلك كتاباهُ "الكافي" و "المُقنع". وإلى المُوفّق نفسِه يرجعُ الفضلُ في نشر مذهبِ الحنابلة في بلاد الشّام . أمّا في علوم الحَديث ، فقد اشتهر أمرُ الشيخ عبدِ الغني بن عبد الواحد ، الّذي امتاز بكثرة محفوظِه من الأحاديث بأسانيدِها ، حتى قالَ فيه بعضُ مُعاصريه: "ولم يكن بعد الدّار قُطْني مثلُ الحافظِ عبدِ الغني". وكتابُهُ "الكمال في معرفة الرّجال" من كتب الرّجال المشهورة. وتَجدُر الاشارةُ هنا إلى أنّ الدراساتِ الفقهيةَ في هذه الفترة المتأخرةِ من العصر العبّاسي عُنِيَت بمذهب الامام أحمد بن حنبل ، في حينَ أنّ المذهبَ الشّافعي كان هو المذهبَ السائدَ في القرون الثلاثة الأولى من هذا العصر .

وقد عُني العلماءُ النابُلُسيّون باللّغة ونحوِها عنايةً خاصةً ، فظهر من بينهم من تَركَ آثاراً واضحةً في هذا الفرع من فروع المعرفة ، ومن أشهر هؤلاء الشيخان : أحمدُ بنُ محمد بنِ عبد الوليّ ، المشهورُ بابن جبارة المَرداوي ، من علماء القرن السّابع ، ومحمدُ بنُ عبد القوي بن بُدران المَرداوي ، من علماء القرن نفسِه . واشتهرَ من كُتّاب المنطقة في هذه الفترة ، شرفُ الدين النابُلُسي ، وشرفُ الدين يعقوبُ بنُ نُزهر .

وقد اتّبع العلماءُ النّابُلُسيون في مُعظم كتاباتِهم ، على اختلاف موضوعاتِها الأسلوبَ التقليديّ القائمَ على السّرد ، وهذا يعني أنهم لم يتأثروا بما شاعَ في فتراتٍ معيّنةٍ من العصر العباسي من أساليبَ زُخرفيّة في الكتابة .

وفيما يتعلّقُ بالشّعر في هذه الفترة ، فإنّ عددَ الشّعراء

النابلسيين كان محدوداً ، إذا حكمنا على عددهم من خلال المصادر المتوافرة لدينا حتى الآن ، إذ إنّ ما وصلنا من شعرهم ، يُعتبرُ قليلاً، وبخاصةٍ ونحنُ نتحدثُ عن عصر ازدهر فيه الشعرُ أيما ازدهار. ويرى الدارسُ أنّه كانَ لسيطرة الروح الدينية على حياة الناس بشكل عامّ وعلى الحياة الثقافية في المنطقة بشكلٍ خاصّ نتيجةً لما عانت منه المنطقة من غزو الفرنج، أثرٌ كبيرٌ على قلّة المادة الشعرية ، كما يتّضح من مضمون رسالة وضعها أحدُ فقهاء المنطقة ، وجمع فيها أحاديث تدعو إلى التحرّز من نظم الشعر ، ولا سيّما من أنماطٍ معيّنةٍ منه . وليس من قبيل المصادفة أنّ معظمَ ما وصلنا من شعر النابلسيين في هذه الفترة كان شعرَ فقهاء ، وهو شعرٌ تشيعُ فيه الموضوعاتُ الدينيّة ، وإن لم يخلُ كليةً من ألوانٍ من الشعر الجميل في غير هذه الموضوعات ، على أنّه يبقى في مجمله مطبوعاً بطابع الآداب الاسلاميّة. ومع شعر الفقهاء هذا، وصلنا شعرٌ آخرُ، فقد ظهرَ في هذه الفترة المتأخّرة من العصر العبّاسيّ عددٌ من الشعراء النابلسيين اشتهرَ من بينهم الرشيدُ النابلسي والحافظُ بنُ بكّار . وقد نظمَ هؤلاء الشعراءُ في كثير من أغراض الشعر التقليديّة ، وبخاصةٍ في المديح والأخوانيات ، فيما أكثرَ الرشيدُ من الأشادة بانتصارات صلاح الدين على الصليبيين . ومن الشعر الذي ينبغي الوقوفُ عنده في هذه الفترة في نابلسَ وما جاورها ، نظراً لشيوعه، الشعرُ التعليميّ الذي نظمتْ فيه أنماطُ العلوم والمعارف، فقد وضع ابنُ بدرانَ السرداوي منظومةً طويلةً يربو عددُ أبياتها على خمسةِ آلاف بيت ، اشتملت على معظم أبواب الفقه . ويمكنُ القولُ بصورة عامّة إنّ الشعراء النابلسيين قد جروا في نظمهم للشعر على سنن من عاصروهم ، فحافظوا على الطريقة التقليديّة في النظم ، ولم يتكلّفوا استعمالَ المحسّنات البديعيّة التي كان لها شأنٌ كبيرٌ في شعر معاصريهم . والقارئُ لشعر النابلسيين يجدُ فيه سهولةً ووضوحاً وانسيابيةً وبعداً عن الغموض

والتوعّر .

وختاماً ، يمكن القول بأنّ منطقة أنجبت أمثال أولئك العلماء ، من فقهاء ومحدّثين ولغويّين وشعراء ، لا بدّ أن تكون قد أنجبت غيرهم من ذوي المعرفة في الفنون المختلفة . وقد تكشف الأيّام عن أسماء جديدة كان لها دور معلوم في حضارة تلك الفترة، لمّا تزل آثارهم وتراجمهم حبيسة المخطوطات الّتي ما زالت تنتظر من ينفض عنها غبار الزّمن ، إن لم تكن قد اندثرت وانطوت مع ما اندثر وانطوى من فكر هذه الأمّة وعلمها نتيجة التّغييرات الاجتماعيّة والهزّات السّياسية الّتي كانت تتعرّض لها الدّولة الإسلامية بين الحين والآخر . وإلى أن يأتي ذلك اليوم ، أرجو أن أكون قد وفّقت في هذه الدراسة باعطاء فكرة واضحة عن حال الأدب والثّقافة في نابلس وما جاورها في العصر العبّاسيّ ، والله وليّ التّوفيق .

فهـــــرس الموضوعات

فهـــــرس الآيـــات الكريمـة

	الآيـــــــــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٠١	" ايـاك نعبد واياك نستعـين "	الحمـد	٥	٣٩
٠٢	" وحيثما كنتم فولّوا وجوهكم شطره "	البقـرة	١٤٤	٩
٠٣	" سُبحـان الّذي أسرى بعبـده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حولَه لِنُرِيَه من آياتِنـا إنّه هو السَّميع البَصير".	الاسراء	١	١

فهـــرس الأحاديـــث النبوية

فهـــرس الأشعـــار

حـــرف البـــاء

حـــرف الـــدال

حرف الراء

حـــــرف العـــين

حـــرف القـــاف

حرف الكاف

اللام

الميم

النون

الـــــواو

اليـــاء

فهـــــرس الاعـــــلام

الهمـــــزة

البـــاء

التــــاء

الجيم

الحاء

الخاء

الدال

الـــــــذال

الــــــراء

الـــــزاي

الســـين

الشين

الصاد

الضاد

الطــــــــا*

العــــــين

الغين

الفاء

القاف

الكاف

اللام

الميم

النون

الهـــــاء

الـــــــواو

اليـــــاء

فهرس الأماكن

فهـــــرس المخطوطات

١ . البوصـــيري ، شهـــاب الدين أحمـــد (ت ٨٤٠هـ)

مصبـــاح الزجاجـــة في زوائـــد ابن ماجة (مخطـوط) :
نسخة مصـــورة عن المخطـــوط محفوظة في مؤسســـة الرسالـة
عمـــــان : مؤسســـة الرسالـــة .

٢ . الجمّاعيلـــي ، عبد الغني بن عبد الواحـــد .
أحـــاديث الشعـــر (مخطوط رقم ٣٧٦٧ مجاميع ٣٠ .
دمشـــق : المكتبـــة الظاهـــرية .
الكـــال في معرفة الرجـــال (مخطوط رقم ١١٥٧) .
دمشـــق : المكتبـــة الظاهـــرية

٣ . الذهـــــبي .
تاريخ الاســـلام (نسخـــة مكتوبـــة باليـــد عن المخطوط)
عمـــان : مؤسســـة الرسالـــة .

ثبت بفهارس المكتبات

١. أسماء الحمصي .

فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (النحو) . ـ دمشق : مجمع اللغة العربية ، ١٩٧٣ .

٢. خالد الريان .

فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (التاريخ وملحقاته) دمشق : مجمع اللغة العربية ، ١٩٧٣ .

٣. رياض عبد الحميد مراد .

فهرس مخطوطات الكتب الظاهرية (الأدب) . ـ دمشق ١٩٨٢ .

٤. عدنان البخيت وآخرون .

فهرس المخطوطات المصورة . ـ عمان : الجامعة الأردنية ، ١٩٨٦ .

٥. فؤاد سيد .

فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية (القسم الثاني) القاهرة : مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٢ .

الدوريات

١ . مجلة معهد المخطوطات العربية . - م ٢٧ ، ٢٨ . -
الكويت : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٨٣

٢ . مجلة معهد المخطوطات العربية . - م ٢٩ . - الكويت
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٨٥ .

٣ . مجلة المورد العراقية . - م١٢ ، ع٤ ، ١٩٨٣

ثبت المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - ابن الأثير . عزالدين (ت ٦٣٠ هـ)
- الكامل في التاريخ - الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، ١٣٩٨ هـ
- اللباب في تهذيب الأنساب . القاهرة : مكتبة القدسي ، ١٣٥٦هـ
- اللباب في تهذيب الأنساب . بيروت : دار صادر ، ١٩٨٠ .

٣ - أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)
- مسند الامام أحمد . بيروت : بالمكتب الاسلامي ، دار صادر .

٤ - أحمد الهاشمي .
- جواهر الأدب في أدبيات وانشاء العرب . ط ٢١ - القاهرة مطبعة السعادة ، ١٩٦٤ .

٥ - الأسنوي ، جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن (ت ٧٧٢ هـ)
- طبقات الشافعية ، تحقيق عبدالله الجبوري ، بغداد ، ١٣٦١ هـ

٦ - الاصطخري ، ابراهيم بن محمد (ت ٣٦٥ هـ)
- المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر الحسيني . القاهرة وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦١ .

٧ - الأعشى الكبير ، ميمون بن قيس .
- ديوان الأعشى الكبير ، شرح محمد محمد حسين. . بيروت دار النهضة العربية ، ١٩٧٤ .

٨ - الأنباري ، أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن (ت ٥٧٧ هـ)
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .. القاهرة : دار نهضة مصر ، ١٩٦٨ .

٩ - البابانى ، اسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩ هـ)
- ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون . استانبول : وكالة المعارف الجليلة ، ١٩٤٥ .

- ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون . حيدرآباد وكالة المعارف ، ١٣٦٤ هـ .

- هدية العارفين . بغداد : مكتبة المثنى ، ١٩٥١ .

١٠ - البخاري ، محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦ هـ)

- التاريخ الكبير .. حيدرآباد : المطبعة العثمانية .

١١ ـ ابنُ بَدران الدِّمَشقي ، عبدُ القادر بنُ أحمد (ت ١٣٤٦هـ)
ـ المَدخَل إلى مَذهب الامام أحمد بن حنبل .. القاهرة المَطبعة المنيرية ، ١٣٣٨ هـ .

١٢ ـ البشاري المُقدسيّ ، (ت ٣٩٠ هـ)
ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . ط٢ . ـ ليدن ، ١٩٠٩ .

١٣ ـ ابن بَطوطة .
ـ تُحفَة النُّظّار في غرائب الأمصار وعَجائب الأسفار ، تحقيق علي المنتصر الكتّاني ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٥ .

١٤ ـ البَعلي ، شمسُ الدّين (ت ٧٠٩ هـ)
ـ المُطلع على أبواب المُقنع ، محمد زُهير الشّاويش . ـ ط ١ ـ دمشق : المكتب الاسلامي ، ١٩٦٥ .

١٥ ـ البَغدادي ، عبدالحق (ت ٧٧٣)
ـ مراصدُ الأطّلاع . بيروت : دار أحياء التراث العربي .

١٦ ـ البَلاذُري ، أبو الحَسن أحمدُ بنُ يَحيي (ت حوالي ٢٨٠ هـ)
ـ فتوح البلدان ، رضوان محمد رضوان . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٧٩ .

١٧ ـ البَيْهَقي ، أبو بكر أحمدُ بنُ الحسين بن علي (ت ٤٥٨ هـ)
ـ السُّنَن الكُبرى . بيروت : دار المعرفة .

١٨ ـ التّبريزي ، وليّ الدين (توفي بعد ٧٣٧ هـ)
ـ مشكاة المصابيح ، محمد ناصر الدين الألباني . ط١ ـ دمشق : المكتب الاسلاميّ ، ١٩٦١ .

١٩ ـ التّرمذي ، أبو عيسى ، محمد بن عيسى بن سَورة السُّلَمي الضَّرير (ت٢٧٩هـ)
ـ صحيح التّرمذي . ـ ط١ . القاهرة : المطبعة المصرية ، ١٩٣١ .

٢٠ ـ ابن تَغري بَردي ، جمال الدين أبو المحاسن (ت٨٧٤ هـ) .
ـ النجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة . ـ القاهرة : وزارة الثقافة والارشاد القومي (نسخة مصورة)

٢١ ـ التّلمساني ، شهاب الدين أحمد بن محمد المُقَّري (ت ١٠٤١هـ)
ـ أزهار الرّياض في أخبار عياض . الرّباط ، ١٩٧٨ .

٢٢ . ابـن تيميـة ، عبد السـلام مجد الدين أبو البركـات (ت ٦٥٢هـ)
- المحـرر في الفقه . ـ بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٣٦٩هـ

٢٣ . الثعـالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمـد (ت ٤٣٠ هـ)
- فقه اللغة وسر العربية . ط١ . ـ القاهرة : مطبعـة السعـادة ، ١٩٢٣ .

٢٤ . ابـن جبـير ، أبو الحسن محمد بن أحمـد (ت ٦١٤)
- رسالة اعتبـار الناسك في ذكـر الآثار الكريمـة والمناسـك = رحلة ابن جبـير . ـ بيروت : مكتبة الهلال ، ١٩٨١ .

٢٥ . الجرجـاني ، علي بن عبد العـزيز .
- الوسـاطة بين المتنبي وخصومـه ، تحقيق محمد أبو الفضـل ابـراهيم ، علي محمد البجاوي . ط٣ ـ القاهرة ، ١٩٥١ .

٢٦ . الجرجانـي ، علي بن محمـد الشريـف (ت ٨١٦ هـ)
- كتـاب التعريفات . ـ بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٥ .

٢٧ . ابن الجـزري ، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمـد (ت ٨٣٣ هـ)
- غايـة النهاية في طبقات القـراء . ـ ط٢ ـ بيروت : دار الكتب العلميـة ١٩٨٠ .

٢٨ . ابن الجوزي ، أبو الفـرج عبد الرحمن بن علـي (ت ٥٩٣ هـ)
- مناقب الأمام أحمد بن حنبل . ـ ط١ . ـ القاهـرة : مطبعـة السعـادة ، ١٣٤٩ هـ .
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . ـ ط١ . ـ حيدرآبـاد : دار المعارف العثمانيـة ، ١٣٥٨ هـ .

٢٩ . الجوهـري ، اسماعيل بن حمـاد .
- الصحـاح = تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمـد عبد الغفور عطـار . ط٢ ، ١٩٨٢ .

٣٠ . ابن الحـاج ، محمد بن محمد العبدري الفاسي (ت ٧٣٧ هـ)
- المـدخل . ـ ط١ . ـ القاهـرة : المطبعة المصريـة بالأزهـر ، ١٩٢٩ .

٣١ . حاجـي خليفة ، (ت ١٠٦٨ هـ)
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . ـ استانبول ، ١٩٤٣ .

٣٢ - ابن حبّان ، محمد بن يحيى (ت ٣٥٤)
- الثّقات . - القاهرة : المطبعة المنيرية ، ١٩٦٩ .

٣٣ - ابن حَجر العَسقلانيّ ، أحمدُ بنُ علي (ت ٨٥٢ هـ)
- تَبصير المُنتَبه بتَحرير المُشتبه ، تحقيق علي البَجّاوي ، محمد علي النجّار . - القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد سَيّد جاد الحق . - القاهرة : مطبعة المدني ، ١٩٦٦ .
- الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . - بيروت : دار الجليل .
- فَتح الباري بشرح صَحيح البخاري . - القاهرة : المطبعة الخيرية ، ١٣١٦ هـ .
- لسان الميزان . - ط٢ . - بيروت : مؤسّسة الأعلمي ، ١٣٩٠ .
- المطالب العالية بزوائد المَسانيد الثّمانية ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي . - الكويت : ١٩٧٣ .

٣٤ - ابن حَزم ، علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ)
- طوق الحَمامَة في الألفة والألّاف ، تحقيق حسن كامل الصَّيرفي القاهرة : مطبعة الاستقامة ، ١٩٦٤ .

٣٥ - حسن عبد الحميد صالح
- الحافظ أبو طاهر السِّلَفي . - بيروت : المكتب الاسلامي ١٩٧٧ .

٣٦ - الحَموي ، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ)
- معجَم الأُدباء . - بيروت : دار إحياء التّراث العربي .
- مُعجَم البُلدان . - بيروت : دار إحياء التّراث العربي ، ١٩٧٩

٣٧ - الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت حوالي ٩٠٠ هـ)
- الرّوض المِعطار في خَبر الأقطار ، تحقيق احسان عَبّاس . - ط٢ - بيروت : مؤسسة ناصر للثقافة ، ١٩٨٠ .

٣٨ - الحَنبلي ، أبو اليُمن مُجير الدين (ت ٩٢٨هـ)
- الأنس الجَليل بتاريخ القدس والخليل . - بيروت : دار الجليل ١٩٧٣ .

٣٩ - الخِرَقي ، أبو القاسم عمرُ بنُ الحسين (ت ٣٣٤ هـ)
- مُختَصَر الخِرَقي ، محمد زهير الشاويش . - دمشق : مؤسسة دار السّلام للطباعة والنشر ، ١٣٧٨ هـ .

٤٠ . الخَطيـــب ، أبو بكــر أحمد بن علـــي (ت ٤٦٣ هـ)
ـ تــاريخ بغداد . ـ بيروت : دار الكتــاب العــربي .

٤١ . ابن خِلّكــان ، أبو العَبّــاس شمس الدّين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ)
ـ ـ وفيــات الأعيــان وأنباء أبناء الزمــان ، تحقيق احسان عَبّــاس
بيروت : دار صـــادر ، ١٩٧٧ .

٤٢ . دائــرة المَعارف الأســلاميّة ، نقلها إلى العربيّــة محمد ثابت الأنصــاري
ورفيقــه . ـ ط٢ ، ١٩٣٤ .

٤٣ . ابن الدّميــاطي ، أحمد بن أيبــك الحُسَيْــني (٧٤٩ هـ)
ـ المُستَفــاد من ذَيْــل تاريخ بغــداد ، تحقيق قَيصـــــــر
أبو فَــرَج . ـ بيروت : دار الكتاب العـــربي .

٤٤ . الـــدَّلَجـــي ، أحمد بـــن علـــي .
ـ الفِــلاكــة والمُفْلَكــون ـ النَّجَــف : مطبعة الآداب ، ١٣٨٥هـ

٤٥ . الذَّهـــبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمــان (ت ٧٤٨ هـ)
ـ تذكــرة الحُفاظ . ـ حَيدر آباد : بيروت : دار إحياء التُّراث
العـــربي .
ـ تذكــرة الحُفّاظ . ـ القاهرة : دار أحياء التُّراث العربي ، ١٩٥٨
ـ سِير أعلام النُّبــلاء ، تحقيق بشّار عوّاد معروف ، يحيي هلال
سرحان . ـ ط١ . ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤ .
ـ [illegible] .
ـ العِبَر في خَبَر مَن غَبَر ، تحقيق صلاح الدّين المُنَجّد . ـ الكويــت
١٩٦١ .
ـ المُختَصَر المُحتاج إليه من تاريخ ابن الدُّبيثي ، تحقيق مصطفـــى
جـــواد . ـ بيروت ، ١٣٦٩ هـ .
ـ المُشتَبه في الرّجـــال أسمائِهم وأنسابهم ، تحقيق علي محمـــد
البجّاوي . ـ ط١ ـ القاهرة : دار أحياء الكتب العربية ، ١٩٦٢
ـ ميزان الاعتدال في نقــد الرِّجال ، تحقيق علي محمد البجّاوي
بيروت : دار المعرفـــة .

٤٦ . ابن رجب ، زين الدّين عبد الرحمن بن شهاب الدّين البغدادي (ت ٧٩٥)
ـ الذّيل على طبقات الحَنابلـــة ، تصحيح محمد حامد الفقـــي
القاهــرة : السُّنّــة المحمديّــة ، ١٩٥٣ .

٤٧ . الرّبيــع بن حَبيـــب .
- الجّامــع الصّحيح . ـ ط٣ . ـ القـدس : دار الأيتـــام الأســلاميــة ، ١٣٨١ هـ .

٤٨ . الزَّبَـيدي ، مُحمّد مُرتضــى .
- تاج العَـروس من جَواهر القاموس . ـ بيروت : دار مكتبـــة الحيــاة .

٤٩ . الزِركْـلي ، خيرُ الدّيــن .
- الأعــلام . ـ ط٢ . ـ القاهرة : مطبعة كوستاتسوماس ، ١٩٥٩ .

٥٠ . ـ الأعــلام . ـ بـيروت : دار العلم للملايـين . ١٩٧٩ .

٥١ . الزّمخــشري ، محمود بن عُمـرُ (ت ٥٣٨ هـ)
- أساس البلاغة ، تحقيق عبد الرحيم محمـود . ـ بيروت : دار المعرفة ١٩٨٢ .

٥٢ . الزّوزَنـــي ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين .
- تاريخ الحكمــاء = المُلتَقطــات من كتاب اخبار العُلماء بأخبــار الحُكَمــاء لجَمال الدين بن القفطـــي . ـ بغداد : مكتبة المثنى .

٥٣ . سبــط ابن الجَوزي ، شَمس الدّين أبو المظفّــر يوسف بن قزاوغلي (ت ٦٥٤هـ)
- مرآة الزّمـــان في تاريخ الأعيان . ـ ط١ . ـ حيدرآباد : مجلـــس دائرة المعــارف العثمانيـــة ، ١٩٥٢ .

٥٤ . السُّبكـــي ، عبد الوهاب بن علـــي (ت ٧٧١هـ)
- طبقــات الشّافعيّـــة الكبرى ، تحقيق عبد الفتّاح الحلو ، محـمود الطّنـــاحي . ـ ط١ . ـ القاهـــرة : مطبعة عيسى البابـــي الحلـــبي ، ١٩٢٨ .

٥٥ . السّجستــاني ، أبو داود سليمان بن الأشعــث (ت ٢٧٥ هـ)
- سُنــن أبي داود ، ضبط محمد محيي الدّين عبد الحميد . ـ القاهرة المكتبـــة التجاريـــة الكــبرى .

٥٦ . السّخـــاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ)
- الضّوء اللاّمع لأهل القرن التّاسع . ـ ط١ . ـ القاهرة : مكتبـــة القـــدس ، ١٣٥٣ هـ .

٥٧ . السّفّاريني ، أبو العون شمس الدين محمّد بن أحمد بن سالم (ت ١١١٤هـ)
- نَفثات صَدر المُكمَد وقُرّة عين المُسْعَد بشرح ثلاثيات مسند الأمام أحمد .
- ط١ . - دمشق : المكتب الاسلامي ، ١٣٨٠ هـ .

٥٨ . السّمعاني ، عبدالكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢ هـ)
- الأنساب ، مرجليوث . - بغداد : مكتبة المُثنّى ، ١٩٧٠ .

٥٩ . السّيوطي ، جلال الدّين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ)
- بُغية الوُعاة في طبقات اللّغويين والنُّحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . - ط٢ . - بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٩
- بُغية الوُعاة في طبقات اللّغويين والنُّحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . - ط١ . - القاهرة : دار أحياء الكتب العربية ، ١٩٦٤
- تاريخ الخُلفاء ، تحقيق محمد محيي الدّين عبدالحميد .
- حُسن المُحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . - ط١ . - القاهرة : دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦٨ .

٦٠ . أبو شامة المقدسيّ ، شهاب الدين أبو محمّد عبدالرحمن بن اسماعيل (ت٦٦٥هـ)
- تراجم رجال القرنين السادس والسّابع = الذّيل على الرّوضتين ، تصحيح محمد زاهد الكوثري . - ط٢ . - بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٤ .
- الرّوضتين في أخبار الدّولتين . - بيروت : دار الجّيل .

٦١ . ابن شَدّاد ، عزالدّين محمد بن علي (ت٦٨٤ هـ)
- الأعلاق الخَطيرة في ذكر أمراء الشّام والجّزيرة ، تحقيق يحيي عبارة . - دمشق : دار الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٧٨ .

٦٢ . الشّطّي ، جميل .
- مُختصر طبقات الحنابلة . - دمشق : مطبعة الترقي ، ١٣٣٩ هـ .

٦٣ . الشّوكاني ، محمد بن عليّ (ت ١٢٥٠ هـ)
- البَدر الطّالع بمحاسن من بعد القرن السّابع . - بيروت دار المعرفة .

٦٤ . الشّيرازي ، أبو اسحق (ت ٤٧٦ هـ)
- طبقات الفُقَهاء ، تحقيق احسان عباس . - ط٢ . -
بيروت : دار الرائد العربي ، ١٩٨١ .

٦٥ . ابن الصّابوني ، جَمال الدّين أبو حامد محمد بن علي (ت ٦٨٠ هـ)
- تكملة اكمال الأكمال ، تحقيق مصطفى جواد . - بغداد :
مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٥٧ .

٦٦ . الصّالحي ، محمد بن طولون (ت ٩٥٣ هـ)
- القَلائد الجُوهرية في تاريخ الصّالحيّة ، تحقيق محمد أحمد
دَهمان . - دمشق : مكتب الدّراسات الاسلاميّة ، ١٩٤٩ .

٦٧ . الصّفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ)
- نُكت الهِميان في نُكت العِميان ، اشراف أحمد زكي . - القاهرة :
المطبعة الجماليّة ، ١٩١١ .
- الوافي بالوفيات ، اعتنى به ديدرينغ وآخرين . - دمشق : المطبعة
الهاشميّة ، ١٩٥٣ .

٦٨ . الصّقاعي ، فضل الله .
- تالي كتاب وفيات الأعيان ، تحقيق جاكلين سوبلة . - بيروت :
المطبعة الكاثوليكيّة ، ١٩٧٣ .

٦٩ . صلاح الدّين المنجّد .
- المخطوطات العربية في فلسطين . - ط١ . - بيروت :
دار الكتاب الجديد ، ١٩٨٢ .

٧٠ . الصّولي ، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥ هـ)
- أخبار أبي تمّام ، تحقيق محمد عبده عزّام . - القاهرة :
لجنة التأليف والترجمة والنّشر ، ١٩٣٧ .

٧١ . طاش كُبري زاده ، أحمد بن مُصطفى .
- مفتاح السّعادة ومصباح السّيادة ، تحقيق كامل بكري ورفيقه . -
القاهرة : مطبعة الاستقلال الكبرى ، ١٩٦٨ .

٧٢ . الطّبراني ، أبو القاسم سليمانُ بنُ أحمدَ (ت ٣٦٠ هـ)
- المُعجَم الكبير ، تحقيق حمدي عبد المجيد السّلفي . -
ط٢ . - الموصل : مطبعة الزّهراء الحديثة ، ١٩٨٥ .

٧٣ . الطّبري ، محمد بن جرير . (ت ٣١١هـ)
- تاريخ الأمم والملوك . - بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٩ .

٧٤ . عبد الجليل حسن عبد المهدي .
- الحياة الأدبيّة في الشّام في القرن الخامس الهجري . - ط١ .-
عمان : مكتبة الأقصى ، ١٩٧٧ .

٧٥ . عبد القادر شريف أبو شريفة .
- صورة الصّليبيّين في الأدب العربي (رسالة ماجستير) ،
١٩٧٨ .

٧٦ . ابن العبري ، غريغوريوس بن أهرون . (ت ١٢٨٦ م)
- تاريخ مختصر الدُّوَل ، تصحيح انطون صالحاني . - بيروت :
دار الرائد اللبناني ، ١٩٨٣ .

٧٧ . ابن عُبَيدان ، عبد الرحمن الحنبلي الدّمشقي (ت ٧٣٤ هـ) .
- زوائد الكافي والمحرر على المقنع . - ط١ . - دمشق :
: المكتب الاسلامي ، ١٣٧٩ هـ .

٧٨ . ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١ هـ)
- تبيين كذب المفتري . - دمشق : مكتبة القدسي .
- تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، عبد القادر بن بدران . - ط٢ .-
بيروت ، ١٩٧٩ .

٧٩ . العُلَيمي ، مُجير الدّين عبد الرحمن بن محمّد (ت ٩٢٨هـ) .
- المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الأمام أحمد ، تحقيق
محمد محي الدّين عبد الحميد . ط١ - القاهرة :
مطبعة المدني ، ١٩٦٣ .

٨٠ . العماد الأصفهاني ، (ت ٥٩٧ هـ)
- خَريدة القصر وجَريدة العصر - قسم شعراء الشّام
(الشعراء الأمراء من بني أيّوب ، تحقيق شكري فيصل .-
دمشق : المطبعة الهاشمية ، ١٩٦٨ .

٨١ . ابن العماد الحَنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩)
- شذرات الذّهب في أخبار مَن ذَهب . - بيروت :
دار الآفاق الجديدة .

٨٢ • عمر رضا كحالة .
- أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام . ـ ط ٥ . ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤ .
- معجم المؤلفين . ـ دمشق : مطبعة الترقي ، ١٩٥٧ .

٨٣ • العُمَري ، ابن فضل الله . (ت ٧٥٠ هـ)
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . ـ القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٢٤ .

٨٤ • ابنُ عُنَيْن ، شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر .
- ديوان ابن عُنين ، تحقيق خليل مردم بك . ـ دمشق : مطبوعات المجمع العلمي العربي ، ١٩٤٦ .

٨٥ • الفَرّاء ، أبو الحسين محمد بن أبي يَعلى (ت ٥٢٦ هـ)
- مسائل عبد العزيز غلام الخلال التي خالف فيها الخِرَقي ، تحقيق محمد زهير الشاويش . ـ دمشق : المكتب الاسلامي .

٨٦ • الفَراهيدي ، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ)
- كتاب العين ، تحقيق مهدي المخزومي ، ابراهيم السامرائي . ـ بغداد : دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٢ .

٨٧ • ابن فَرحون ، برهان الدين ابراهيم بن علي (ت ٧٩٩ هـ)
- الدّيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور . ـ القاهرة : دار التراث ، ١٩٧٠ .

٨٨ • ابن الفُوَطي ، كمال الدين أبو الفضل (ت ٧٢٣ هـ)
- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تحقيق مصطفى جواد . ـ دمشق : المطبعة الهاشمية ، ١٩٦٣ .

٨٩ • ابن القاضي ، أحمد بن محمد المكناسي .
- دُرّة الحِجال في أسماء الرّجال . ـ القاهرة ، ١٩٧٠ .

٩٠ • ابن قاضي شهبة ، بدر الدين (ت ٨٧٤ هـ)
- الكواكب الدرّية في السّيرة النّورية ، تحقيق محمود زايد . ـ بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٧١ .

٠٦١ ابن قاضي شهبة ، تقي الدين (ت ٨٥١ هـ)
- طبقات النحاة واللغويين ، تحقيق محسن عياض ٠ـ النجف
مطبعة النعمان ، ١٩٧٤ ٠

٠٦٢ ابن قدامة ،موفق الدين عبد الله (ت ٦٢٠ هـ)
- عمدة الفقه ، بيروت : دار العباد ٠
- الكافي ٠ ـط١ ٠ دمشق : المكتب الاسلامي ، ١٩٦٣٠
- المغني والشرح الكبير ٠ ـ القاهرة : مطبعة المنار ، ١٩٧٢٠

٠٦٣ القزويني ، زكريا بن محمد (توفي ٦٨٢ هـ)
- آثار البلاد وأخبار العباد ٠ ـط٢ ٠ ـ بيروت : دار صادر ،
١٩٧٦ ٠

٠٦٤ القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ)
- صبح الأعشى في صناعة الانشا ٠ ـ القاهرة : المؤسسة
العامة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ٠

٠٦٥ ابن قنفذ القسنطيني ، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي (ت ٨٠٩هـ)
- الوفيات ، تحقيق حسنين محمد مخلوف ٠ ـ القاهرة : مطبعة
المدني ، ١٩٦٠ ٠

٠٦٦ القنوجي ، السيد أبو الطيب صديق بن حسن (ت ١٣٠٧ هـ)
- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ،
تصحيح عبد الحكيم شرف الدين ٠ ـط٢ ٠ ـ الهند :
المطبعة الهندية العربية ، ١٩٦٣ ٠

٠٦٧ الكتبي ، محمد شاكر (ت ٧٦٤ هـ)
- فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس ٠ ـ بيروت : دار صادر ،
١٩٧٣ ٠

٠٦٨ ابن كثير الدمشقي ، الحافظ أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ)
- البداية والنهاية ٠ ـط١ ٠ ـ بيروت : مكتبة المعارف ، ١٩٦٦

٠٦٩ لويس معلوف ٠
- المنجد في اللغة والأدب والعلوم ٠ ـط١٩ ٠ ـ بيروت :
المطبعة الكاثوليكية (ـ ١٩٦) ٠

١٠٠ . ابن ماجة ، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ)
- سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي . بيروت : دار الفكر (نسخة مصورة) .

١٠١ . محمد زغلول سلام .
- الأدب في العصر الأيوبي . - القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٨ .

١٠٢ . المرداوي ، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان (ت ٨٨٥هـ)
- التنقيح المشبع في تحرير أحكام المقنع . - القاهرة : المطبعة السلفية .

١٠٣ . المَرداوي ، شمس الدّين محمد بن عبدالقوي (ت ٦٩٩ هـ)
- عِقد الفرائد وكنز الفوائد . - ط١ . - دمشق : المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ .
- منظومة الآداب . - دمشق : مطابع الفكر الاسلامي .

١٠٤ . المَرزُباني ، محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤ هـ)
- معجم الشّعراء ، تحقيق عبدالستار أحمد فرّاج . - القاهرة : دار أحياء الكتب العربية ، ١٩٧٣ .

١٠٥ . ابن المُستَوفي ، شرف الدّين أبو البركات الأربلي (ت ٦٣٧ هـ)
- تاريخ اربل المعروف بنباهة البلد الخامل بمن وَرَدَه من الأماثل ، تحقيق سامي بن السّيد خماس الصّقار . بغداد : دار الرشيد ، ١٩٨٠ .

١٠٦ . المَسعودي ، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ)
- مروج الذّهب ومعادن الجَوهر . - ط١ . - بيروت : دار الأندلس ، ١٩٦٥ .

١٠٧ . مصطفى مراد الدبّاغ .
- بلادنا فلسطين : الدّيار النابلسية . ط١ . - بيروت : دار الطليعة ، ١٩٧٠ .
- القَبائل العربيّة وسلائلُها في بلادنا فلسطين . - بيروت : دار الطليعة ، ١٩٧٦ .

١٠٨ . المَقَّري ، أحمد بن محمد التِّلمُساني (ت ١٠٤٢ هـ)
- نَفحُ الطّيب من غُصن الأندلس الرَّطيب ، تحقيق احسان عباس . - بيروت : دار صادر ، ١٩٨٢ .

١٠٩ . المقريزي ، أحمد بن علي (ت ٨٤٦ هـ)
- السّلوك لمعرفة دول الملوك ، صَحّحه محمد مصطفى زياده . - ط٢ . - القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٣٤ .

١١٠ . الملك المُعَظّم عيسى .
- السَّهمُ المُصيب في الرّدّ على أبي بكر الخطيب . - القاهرة : مطبعة السّعادة ، ١٩٣٢ .

١١١ . المُنذري ، زكي الدّين أبو مُحمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦ هـ) .
- التكمله لوفيات النَّقَلَة ، تحقيق بشارة عَوّاد معروف . - ط٢ . - بيروت : مؤسسة الرّسالة ، ١٩٨١ .

١١٢ . ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم (ت ٧١١)
- لسان العَرب . - بيروت : دار صادر .

١١٣ . ابن النّجّار ، محب الدّين محمد بن محمود بن الحسن (ت ٦٤٣ هـ)
- ذَيل تاريخ بغداد ، صُحّحَ بمُشاركة قيصر فرح . - بيروت : دار الكتاب العربي .

١١٤ . النَّجدي ، عثمان بن حَمَد (ت ١١٠٠ هـ)
- هداية الرّاغب ، تحقيق حسنين محمّد مخلوف . - القاهرة : مطبعة المدني ، ١٩٦٠ .

١١٥ . ابن النّديم ، محمد بن اسحق (ت ٣٨٥ هـ)
- الفهرست . - بيروت : دار المعارف ، ١٩٧٨ .

١١٦ . النّسائي ، أحمد بن شعيب بن علي (ت ٣٠٣ هـ)
- سُنن النسائي ، بعناية حسن المَسعودي . - بيروت : دار احياء التراث العربي .

١١٧ . النَّصيبي ، أبو القاسم بن حَوقل (ت ٣٨١ هـ)
- صورة الأرض . - بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٩٧٦ .

١١٨ . النُّعَيمي ، عبد القادر بن محمد الدّمشقي (ت ٩٢٧ هـ)
- الدّارس في تاريخ المدارس ، جعفر الحسيني . - دمشق : مطبعة الترقي ، ١٩٤٨ .
- الدّارس في تاريخ المدارس . دمشق : مطبعة التَّرقّي ، ١٩٥١ .

١١٩ . النووي أبو زكريا محيي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ)
- تهذيب الأسماء واللغات . - القاهرة: المطبعة المنيرية .

١٢٠ . هاني صبحي العمد .
- معجم النابهين في جنوبي بلاد الشام : فلسطين والأردن -
ط١ . - عمان : دار الكرمل ، ١٩٨٥ .

١٢١ . الهيئة العربية العليا لفلسطين .
- المقدسات الاسلامية في فلسطين والمطامع اليهودية
الخطيرة . ط١ - بيروت ، ١٩٦٨ .

١٢٢ . ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧ هـ)
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق حسنين محمد
ربيع . القاهرة : مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٢ .

١٢٣ . الواقدي ، أبو عبدالله محمد بن عمر (ت ٢٠٨ هـ)
- فتوح الشام . - بيروت : دار الجليل للنشر ، ١٩٥٣ .

١٢٤ . وزارة الأوقاف والشؤون الأسلامية .
- معجم الفقه الحنبلي . - الكويت : المطبعة العصرية
. ١٩٧٣

١٢٥ . اليافعي ، أبو محمد عبدالله بن سعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨)
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان فيما يعتبر بن حوادث الزمان .-
ط٢ ، بيروت : مؤسسة الأعلمي ، ١٩٧٠ .

١٢٦ . اليحصبي ، أبو الفضل عياض بن موسى (ت ٥٤٤هـ)
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك
، تحقيق أحمد بكير محمود . بيروت : طرابلس : دار
مكتبة الحياة ; دار مكتبة الفكر ، ١٩٦٧ .

١٢٧ . اليعقوبي ، محمد بن واضح (ت ٢٨٤ هـ)
- البلدان . -ط٣ - النجف : المطبعة الحيدرية ، ١٩٥٧ .

١٢٨ . اليونيني ، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (ت ٧٢٦هـ)
- ذيل مرآة الزمان . - حيدرآباد : مطبعة مجلس
دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٥٤ .

Abstract

Despite all hindrances , this study has finally been implemented to reveal to the reader facts and information in respect of the cultural and literary life of the Nablus area during the Abbasid period .

The study shows that Nablus witnessed during epochs in the Abbasid period certain cultural activities which contributed to the overeall cultural and literary movement in the islamic state .

Its scholars wrote books , taught students and had their own scholary disciples in the Nablus area as well as in other parts of the Caliphate . Among these scholars were renowned figures such as Sheikh Nasr al-Maqdisi who played aprominent role in spreading the Shafii school of jurisprundence in Palestine and other provinces in greater Syria in the fifth - century A. H.

Another famous scholar Muwaffaq ed-Din Ibn Qudama is known for introducing the Hanbalite school of jurisprudence in Syria in the second half of the sixth century A . H .It ought not be thought however that the Knowledge of these scholars was restricted to fiqh studies , since they actually contributed to other fields of study , such as Hadith studies , i.e, the traditions of the Prophet , peace be upon him . Sheikh Abdul Ghani Ibn Abdel Wahed was among those who distinguished themselves in the Hadith studies , while other scholars in the Nablus area carried serious and useful studies in the field of Arabic language and grammar. Most renowned among these was Mohammad Ibn Abd al-Qawi Ibn Badran .

Other Nabulsi scholars dealt with history , and some of them complied books on certain branches of medicine . The area produced also a number of literateures who left us a heritage of prose and poetry . In this latter field , we are acquainted with a number of versifiers in spite of the comparative paucity of verse in general .

The two leading poets in the area were Al Rashid Al-Nabulsi and Ibn Bakkar . Among the Nabulsi poets there were those whose verses were strongly linked with religious themes . In general the size of the substance we inherited in the field of culture and literature is compatible with the long period in which this substances was produced. Hopefully , the acquirement of new sources , and so - far unknown manuscripts will reveal more information regarding the cultural and literary activities of the area during the Abbasid period.

I do persume that many of the old sources and writings in the area were lost due to different reasons , among which was the occupation of the area by the Crusaders in the sixth century A.H., and also as a result of social and political changes and upheavals.

How ever I really hope that this study , modest as it is , has revealed some useful and new information in its field , and has shed light on a certain aspect of life in Nablus and its surroundings.